

# عبر النساء

## وفسيفساءات الآثام

شذرات  
من ماضي  
مجنون

الكتاب الأول  
نباريس الموت  
يحيى عمري

لجی عمری

نبا رپس الموت

شذرات من ماضی مجنون

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم السلسلة: عهد النشاك وفسيفساءات الآثام  
اسم الرواية: نابريس الموت - شذرات من ماضي مجنون - ( الجزء الأول )  
تأليف: يحيى عمري  
غلاف الكتاب: الفتاة ذات القرط اللؤلؤي - يوهانس فيرمير  
تصميم الغلاف: مُحمَّد مجاهد  
الناشر الأصلي: مسار للنشر والتوزيع - ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك  
الزقازيق - الشرقية - مصر  
سنة النشر: ١٤٤٤ هـ - 2023 م. (الطبعة الأولى)  
الترقيم المحلي: 2022 / 20021  
رقم الإيداع الدولي: 9-9-86272-977-978 ISBN



شارع حسن خطاب - قسم يوسف بك - الزقازيق - الشرقية

هاتف: 01020439639

البريد الإلكتروني: massar.pub1@gmail.com

يضم هذا الكتاب طبعة جديدة لرواية

نباريس الموت

**The Lanterns of Death** - Fragments from a past of a madman

Original Copyright © 2021 / 2025 by

**Yahia Amri**

**All right reserved**

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أجزء منه، أو نقله بأي شكل أو  
واسطة من وسائط نقل المعلومات. سواء أكانت تصويرية أو إلكترونية  
أوميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو أية وسيلة نشر أخرى،  
أو حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من المؤلف.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله، والحمد لله، هادي كل قلب ومولاه، مؤنس القلب في شكواه، وميسر المرء إلى رجواه، وأصلي على سيدنا وحبيبنا، هاديننا وصفوة الباري فينا، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ما سارت كواكب السماء، وتلاقى عيون الوفاء، في الليالي الظلماء، وفي النهار الوضاء، وعند الصبح والإمساء... فصلّ يا ربّ عليه وبارك وسلم تسليما كثيرا.

أولا، وقبل كل شيء، الحمد لله الذي لولا توفيقه لما كان هذا العمل ليتقدّم ولو خطوة واحدة، ولولا تنبيته عزّوجلّ، لاستسلم كل شيء داخلي وتمّ التخلي كلّيا عن هذا المشروع، ولولا منّته العظيمة، لضاع مجهود سنين جدّ مضنية خلال لحظة خاطفة... فله الحمد في الأولى والآخرة.

الكثير من الذكريات لا تزال راسخة ببالي، والكثير من الذكريات لا تزال تداعب خيالي. إذن، تقديري في المقام الأول، موصول من أعماق عمق في أعماق قلبي إلى آلاف، بل ملايين من الفراشات البديعة التي حلّقت في سمائي وما فتأت تحوم حولي حتى بعد رحيلها من هذا العالم. وامتناني العظيم موصول كذلك إلى اليراعات المضيئة، التي لا تزال تنير دربي من خلال دعمها وبقائها قربي في اللحظات الصعبة والأوقات المريرة، بكلّ صدق، ودون أيّة مبالغة، ما أنا إلا مجرد ريشة صغيرة ارتفعت في السماء ولم تسقط على الأرض، لأنّ الكثير من الأجنحة لا تنفكّ تحفّق بقربي...

ختاما أودّ القول أنّه بالرغم من كلّ المراجعات، المرهقة والمتعبة، الطويلة والعديدة، بالرغم من كلّ خطوة تسدّد، وكلّ خطأ يصحّح، ستبقى هناك بعض الأخطاء - (على الأقلّ العفوية) - فأرجو أن تتقبلوها، لأنها أخطاء عفوية ارتكبت ببراءة تامة.

عجبا، ذلك المعشوق الجميل أين صار؟	عجبا ذلك السّرويُّ القَدْ أين صار؟
كان بيننا كالشمع ينثر النور	فأين صار، واعجبا! من دوننا أين صار؟
إن قلبي يهتز كالورق كل يوم:	المعشوق، في منتصف الليل، وحيدا أين صار؟
فاذهب إلى البستان، واسأل البستاني	عن ذلك الشبيه بغصن الورد الجميل: أين صار؟
أهيم في الصحراء كالجنون:	ذلك الغزال، في هذه الصحراء، أين صار؟
صارت عيناى كنهر جيحون من البكاء:	ذلك الجوهر، في هذا البحر، أين صار؟
إنني أسأل القمر، والزهرة في كل ليلة:	ذلك الذي وجهه كالقمر فوق هذا المرتفع، أين صار؟
فإذا كان لنا، فكيف يكون مع الآخرين؟	وإذا لم يكن هنا، هناك أين صار؟
وإذا كان قلبه وروحـه متّصلين بالله	حين غاب هذا الماء وهذا الطين، أين صار؟
فقل بصدق: شمس الدين التبريزي	حين قال: «الشمس لا تخفى» أين صار؟

مولانا جلال الدين الرّومي

## مقدّمة

" الاكتشاف امتياز لدى الطفل، أقصد الطفل الصغير: الطفل الذي لا يخاف من أن يكون مخطئاً مجدداً، من أن يبدو مثل أحمق، من أن لا يكون جدّياً، و أن يعمل بطريقة مختلفة عن أي شخص آخر. هو أيضاً ليس خائفاً من المذاق السيئ للأشياء التي هو مهتم بها، أو أنها تتغير لتكون مختلفة عن توقعاته، عمّا يجب أن تكون عليه. أو إلى حد ما هو ليس خائفاً مما ستكون عليه في الواقع. "

ألكسندر غروتينديك

عبقريّة وشغف، من عالمين مختلفين كلياً، امتزجا في عقل بطل هذه القصة: لونغفيرو كيمراي، الذي مات منذ ما يقارب الثلاثة قرون. رحل تاركاً لغزاً محيراً حول حجم الإرث الذي خلفه بعد رحيله. فهو سه بمهيّة الروح المسجونة، ولّد لديه عبقرية مجنونة، شغفه الشديد لرسم المحبوبة الروحية، دفعه لتجسيد مفاهيمها السحرية. بهذا بقي إرثه محصوراً بين عبقريته الجاحمة، واضطراباته الواضحة، بين أحاسيسه المكبوتة، وانفعالاته الموقوتة، بين دعواته الخافتة وتوسلاته الصامتة... بين دموع حزنه العارمة، ودموع فرحه الناعمة... مضت عقود دون أن يُفند أو يُؤكد وجود إرثه من عدمه بالنسبة للكثيرين.

حين اقتربت أيادٍ تعمل في الخفاء من قطع شوط كبير نحو كشف الإرث، وطَيّ آخر الصفحات في قصة لونغفيرو كيمراي تحرّرت عصافير عوالمه وتألّأت نجوم معالمه، رُفرت أجنحة العصافير في سماء أفكاره، وسطعت أنوار النجوم في سماء أسرارهِ، بهذا انهار كل شيء بالنسبة لهم، والسبب أنهم اتخذوا خطوة خاطئة والطرق الخاطئة تغري



من يتخذها دون أن توصله إلى وجهته!... وبهذا فقد أشرقت بداية جديدة لقصة  
لونفيرو كيمراي.

إذن، هذه القصة سوف تتبع مسار الأحداث التي ستكشف الغطاء عن أحد  
أهم الأسرار الغامضة في تاريخ أرض هورايكام المتوارية، وهذا بعد تعاقب عدة أجيال،  
ابتداء من الشرارات الأولى، ومرورا بكل الأسرار التي تركها لونفيرو كيمراي وعمل على  
حمايتها، والظلال السوداء التي رغبت بشدة في ملامستها، وكذلك الدوافع العميقة  
التي أدّت إلى كل ما حدث، انتهاء بالوصول إلى: الأسود الجميل للونفيرو كيمراي.

أحبّتي، هناك صنفان من العباقة، عباقة عاديون، وعباقة غير عاديين، عباقة  
مجانين، الفرق بينهما كالفرق بين القمر والشمس.

إذا دفن الصنف الأول نفسه، فسوف يزهو، إذا أحرق نفسه، فسوف يضيء، إذا  
أغرق نفسه، فسوف يتحول إلى لؤلؤ ومرجان... العبقري العادي يرضيه التفتح.  
لكن إذا دفن العبقري المجنون نفسه، فلن تستطيعوا تفادي الزلزال، إذا أحرق العبقري  
المجنون نفسه، فلن تستطيعوا الفرار من ثوران البركان، إذا أغرق نفسه، لا تفروا، سوف  
يدرككم الطوفان.... العبقري المجنون، لا يرضيه إلا الاكتساح... لا يمكن الصمود في  
وجهه، ولا يمكن تفاديه... لكن بعد الزلزال والبركان والطوفان، ستفتح الأرض من جديد  
وتزهو في حلة خلافة لتستقبل الربيع الجديد... فالعبقريّ المجنون ليس شريرا، إنه يفعل  
ذلك بدافع الحبّ المطلق... هذا الحب يجعل العبقري المجنون في كل لحظة، يبحث عن  
إفناء نفسه كليا.

أجل، حبّه دوامة بحرية دون مركز، بحر متقد دون شاطئ، إعصار هائج دون وجهة،  
زلزال مدمر دون بؤرة... لكن الطريقة التي سطرّ الله بها هذا الحب في حياته، تجعله يحترّ  
ساجدا في كل لحظة...

## مقدمة خاصة

" المذهب عند أهل السنة والجماعة [السادة الأشاعرة والماتريدية] أن العقول متفاوتة بأصل الفطرة خلافا للمعتزلة. وإنكاره إنكار المشاهدة والعيان، فكم من صبي صغير يستخرج بعقله من العلوم ما يعجز عنه العاقل البالغ الكبير من غير سابقة تجربة ولا تعلم، وذلك هبة من الله يختص به من يشاء. "

الإمام نور الدين الصابوني رضي الله عنه

الكفاية في الهداية / ص 52

أحد أجمل القوانين، قانون التجاذب الكوني لأب العلم الحديث بشكل عام، و الميكانيكا الكلاسيكية بشكل خاص، اسحاق نيوتن:

$$F = -G \frac{M_1 M_2}{r^2}$$

في غاية البساطة والروعة، حيث أن  $M_1, M_2$  كتلتان - (في الصورة الخاصة)، والبعد بين مركزيهما هو  $r$ ، و  $G$  هو ثابت نيوتن. الكون جميل ورائع، ونيوتن لم يفكر أبدا فيما سيحدث حين يقترب  $r$  من الصفر، الحمد لله فالقمر والكواكب والشمس، كلها تبعد مسافة آمنة عن بعضها البعض، كل ما عليها فعله هو الدوران ورسم مداراتها بأناقة.

كان نيوتن سعيدا، وكانت الفيزياء جميلة ورائعة، باسمه وضاحكة، إذ لا شيء يقلقنا حيال القانون أعلاه. لكن لما اكتشفت الإلكترونات التي تدور حول نواة الذرة، اتضح أن المسافة أصبحت قريبة جدا من الصفر، وهذا يفجرنا في قوة لانهاية، وفكرنا أن قانون نيوتن في حالة التفرد  $r = 0$ ، سيأخذنا إلى الهاوية!

جاء فيرنر هايزنبرج بمبدأ عدم التأكد سنة 1925، وابتهجت العقول لأن المسافة لن تكون صفرا أبدا، فجأة تفاقمت المشكلة عند استدعاء النسبية الخاصة لألبرت آينشتاين، والتي كانت قد ظهرت سنة 1905. لتركز قليلا. في النسبية الخاصة، مشاهدان مختلفان،

لديهما مفهوم مختلف عن نفس اللحظة، أي لا يمكننا التحدث عن حدث لحظي وفق مسافة، لكنه موجود بشكل صريح في قانون نيوتن من خلال مربع المسافة. بدأت تظهر مشاكل خطيرة جدا، وبعد خطوات متقدمة، لا يزال شبح الجاذبية الكمومية قائما. بدأت الرياضيات والفيزياء تكشفان عن وجه مغاير، نزعنا لتوحيد جميع القوى في الكون الرياضي أو الكون الفيزيائي، تصطدم بجمال يذيب أرواحنا في كل لحظة نحاول فيها اختراق أسرار هذا الكون العظيم والمدهش... لذلك يستحيل على المرء أن لا يعيش مشدوها بشكل كلي إلى خالقه... سبحانك ما أعظمك...

أتمنى أني لم أكن ثقيلا بهذه الافتتاحية، لكن ما أودّ قوله من خلالها هو أن البراءة والعبقرية، إذا توحدتا، وتلامستا في نفس اللحظة، سيكون هناك دمار هائل لا محالة، لكنه سيكون جميلا ورائعا!

قبل الولوج إلى صلب الموضوع أحبّتي، دعوني أقول بأنّ روايتنا هذه، نباريس الموت، تمّ إنهاؤها أواخر سنة 2018، فجأة تعقّدت الأمور، وما حصل لم أجد له تفسيراً البتّة. فبعد الانتهاء منها تجمّدت القصة وشلّت تماما، شعرت أني لم أكتب فصلا واحدا، ولم ألق إلى عالم الرواية قطّ. آلاف الأفكار، الأوراق والمخططات، كلها عجزت عن اختراق النهاية المظلمة لهذه الرواية، حتى أني فكرت بتركها كما هي!

هذا ومن الجليّ أنّ ذلك التوقف الرهيب الذي عاشه عالمي الروائي تزامن مع التوقف الرهيب الذي عاشه العالم بسبب استفحال جائحة كورونا - كوفيد 19 في العالم بأسره، ما أدى إلى إغلاق جميع دور النشر، ولهذا لم أقدم النسخة الأولى لنباريس الموت إلا منتصف سنة 2022، لكن الحمد لله، لا شيء يتأخر بما أنّ كلّ شيء مقدّر، ودون شك، الأمر أتاح لنا القيام بالكثير من اللمسات التي لم تغن عن الكثير من الأخطاء!

الحمد لله أني مع بداية سنة 2020 استأنفت الرحلة، من خلال براءة نادرة امتدت

لتضيء أعماق روحي. اليوم، وبعد أن صار بإمكانني القول بأن الرحلة على وشك بلوغ المقصد، قلت للبطللة الرئيسية، دميّتي البديعة إستانارا: هل تتذكرين يا صغيرتي ذلك التوقف الرهيب الذي عاشته القصة، كادت تبقى مفتوحة، وأبقى لغزاً!

قالت: أنت لغز يستحيل فكّه!. على أيّة حال، الحمد لله أن القصة تكاد تنتهي، لكن الآن، عليك العودة إلى البداية، نباريس الموت، وسدّ الثغرة التي شلّت الأحداث.

قلت: الحمد لله الذي نبّهنا ووفّقنا لسدّ هفوات وسقطات كان يجب أن تحدث لمبتدئ، «أقصد وأركّز على طفل صغير»، باستثناءها، فالرواية تُسجّت بعناية فائقة.

قالت: حسناً... أعلم أنّ عبقريتك ترفض الاعتراف مباشرة، لذلك سنلعب لعبة. قالت دميّتي: ذكرني أولاً بأسطورة زيوكس وبارهاسيوس.

- تقول الأسطورة أن زيوكس تحدّى بارهاسيوس في مسابقة رسم، لتحديد الرسام الأعظم بينهما. رسم كل واحد منهما لوحة مميزة ولما حان وقت تحديد الفائز رفع زيوكس الستار عن لوحته، وكان قد رسم حبات عنب بدت حقيقية، إلى درجة أن الطيور نزلت وبدأت تنقر على اللوحة ظناً منها أنه عنب حقيقي. ولما طلب زيوكس من بارهاسيوس أن يرفع الستار عن لوحته، قال بارهاسيوس أنّ لوحته غير مغطاة بأيّ ستار، وبهذا تغلب بارهاسيوس على زيوكس!

قالت دميّتي: الآن، حاول صياغة نهاية أخرى للأسطورة، وإعادة ختمها بكلّ عفوية، نظراً لقدرك الرهيبة على إظهار العبقرية الساحرة في صورة براءة آسرة.

قلت: تعلمين أنّي أستطيع التحول إلى قطرة ماء، إلى تربة ناعمة، أتحوّل إلى نبتة تسقى بتلك القطرة لتزهر في تلك التربة، وذلك الطفل الصغير يمكنني إيقاظه في أي لحظة.

قالت دميّتي: عبقريتك مشاكسة جداً، لكنني أعرف جيداً كيف أوقظ ذلك الطفل الصغير!. في لحظة داعبت وجنته الصغيرة بريشتها فاستيقظ وحكى لي القصة التالية:

### إعادة ختم أسطورة زيوكس وبارهاسيوس

بعد فوز بارهاسيوس في تحدي الرسم بينه وبين زيوكس، ذهب الجميع، ولما ترعب الليل، بدأت لوحة زيوكس بالبكاء على خسارة زيوكس، وبدأت لوحة بارهاسيوس تبكي لأنّ بارهاسيوس لم يستعمل فيها أي لون سوى اللون الأبيض.

بدأت ألوان اللوحتين بالذوبان شيئاً فشيئاً. فجأة انتبه القمر والزهرة إلى أنين يأتي من الأرض، رقت قلوبهما، وبدأت عيون القمر والزهرة تدمعان، اتحدت دموع القمر الفضية مع لون لوحة بارهاسيوس لأنّ لوحته لم يكن بها أي لون سوى اللون الأبيض، واتحدت دموع كوكب الزهرة مع الألوان الخلاب للوحة زيوكس.

عند منتصف الليل تكاثفت دموع لوحة بارهاسيوس مع دموع القمر، وتكاثفت دموع لوحة زيوكس مع دموع كوكب الزهرة، انبثقت خفة الفرح وزال ثقل الحزن، فتصاعدت في الهواء وهي تضيء بشكل خلاب.

مع البدايات الأولى للفجر بدأت قطرات مطر خفيفة تتساقط، ومباشرة بدأت تلك الأضواء المتشكلة من امتزاج دموع اللوحتين والجرمين بالانكسار والانعكاس على قطرات المطر، وفي لحظة اتحدت الأضواء والأنوار ليتشكل قوس قزح عجيب جداً.

تحول أنين اللوحتين إلى تغريدة بديعة، داعبت آذان الطيور، فاستيقظت لرؤية ذلك الجمال، وبدأت بالترحلق فوق ذلك القوس البديع، وتلونت بألوان زاهية، ونال حظ الأسد الببغاوات والطواويس، ولما أشرقت الشمس تلاشى ذلك القوس البديع واختفى مباشرة، واستيقظت الغربان، للأسف لم تبق أية ألوان فبقيت سوداء!

مرّت فترة وجيزة، لترى الشمس أنّ الغربان تبكي بشدة، ولكنها لم تكن وحدها، كانت هناك طيور أخرى تبكي، ألا وهي الطيور التي نزلت لتأكل حبات العنب من لوحة زيوكس. سألتهم الشمس عن سبب بكائهم، فأجابت الغربان بأن جميع الطيور تلونت

وأنها بقيت نائمة، فبقيت دون ألوان، وقالت الطيور الأخرى أنها كانت مستيقظة، لكنها ظنت أن قوس قزح ذاك مجرد خدعة، تماما مثلما أن لوحة زيوكس كانت خدعة، ولذلك لم تتزحلق وبقيت على حالها.

قالت الشمس: سأنثر عليكم الكثير من اللآلئ البراقة وبهذا يتلاشى حزنكم. ما إن بدأت الشمس بنثر اللؤلؤ حتى هجمت الغربان تحاول التقاطه، أما الطيور الأخرى فتلقته بين أجنحتها، ظنا منها أنه بيض صغير، سيفقس بعد أن تحضنه في أعشاش دافئة.

ما إن تداخلت اللآلئ الشمسية بين أجنحة هذه الطيور حتى صارت شهباً سماوية محلقة بخفة وانسيابية في أرجاء الكون، في حين قالت الشمس للغربان: آسفة أيتها الغربان، أنت هكذا، كل ما تعرفينه هو الأكل والنوم، كانت لك فرصة ذهبية لتصبحي شهباً سماوية مضيئة، لكنك تفتقرين إلى لون الأحلام، ها قد بقيت سوداء حتى في النهار، على الأقل أصبحت مناقيرك صفراء!

ما إن انتهيت حتى انفجرت دميتي ضاحكة وهي تقول: كنت أعلم... سبحانه الله، لون عبقرتك مفضوح، عبقرية عفوية لأبعد الحدود، وها قد أكدت لي! شعرت بالحجل... فدميتي كانت تبدو واثقة. قالت: اسمعني، كلّ الطيور في نباريس الموت قمت بتلوينها، لكن فراشات البراءة لم تلوئها، وعليك تلوينها وجعلها وضّاءة ومحلقة في سماء القصة!

استنتجت أنّ انخيازك إلى العبقرية على حساب البراءة، هو ما جعل الإلهام يختفي بعد الانتهاء من نباريس الموت، بسبب إهمالك لفراشات البراءة، عجزت عن التحليق بالقصة.

قلت: لم أنخر إلى العبقرية، أوازي بين البراءة والعبقرية، وعليك أن تتفهمني طبيعتي! قالت: هل كان من الممكن دفع القصة من جديد خلال الجزء الثاني والثالث دون إشراق البراءة الساحرة في ثنايا بداياتهما؟

أجبت مباشرة: لا؟. فقالت: جيد، أخبرني الآن، أين إشراقة البراءة في نباريس الموت؟

أجبت: في كل فصل من فصول الرواية!

ابتسمت دميّ قائلة: أيها الذكيّ! القارئ البريء والقارئة البريئة سينتبهان إلى أنّ الكاتب بدأ الرواية بالتركيز على العبقرية المجنونة من خلال التمهيد الذي كاد يطغى على الرواية بأكملها، ثمّ ركّز على البراءة في الرواية بأكملها من خلال بطلته، وأخيرا ذكر البراءة في الخاتمة بصورة شبه مهمة، أخطأت خطأ فادحا، إذ كان يجب أن تبدأ القصة بإظهار الجانب الأساسي للبراءة وليس بإظهار الجانب الجنوني للعبقرية، لذلك، فبعد أن منّ الله عليك بدفع القصة من جديد، عد إلى نباريس الموت وصّح هذا الخطأ المكشوف.

للأسف، تلقيت ضربة في الصميم، كانت بطلتي محقة تماما، أعترف ولن ألتفّ، أخطأت خطأ فادحا.

قلت: حسنا، تعلمين جيدا بأنك سرّ عبقرتي، لم تقولي لي ذلك آنذاك يا ذكية؟

قالت: معك لا يمكنني تفادي الأخطاء العفوية، إنما أرتكبها ببراءة!

لحظات وقلت: ليس خطأ جسيما، أنت تحبّين التباهي ببراءتك الآسرة أمام عبقرتي الساحرة!

قالت: بعد سنوات من الآن، عندما يأتي قارئ ويقرأ الرواية ببراءة سيقول: فانتك يا يحيى، كان يجب أن تحلق بفراشة البراءة أولا ثم تغرقنا في جنون العبقرية!

استسلمت وقلت: كيف أصحّح هذا الخطأ المكشوف!

أجابت: سهلة، كل ما عليك فعله هو إضافة توطئة في البداية توضح فيها أهمية البراءة، وتوضح كيف اكتشفتني، ولأجلي فاربطها مع بائعة الكبريت، لكن لا أريدها بسيطة كقصص هانس كريستيان أندرسن، أريدها نابضة بسحر نادر يستحيل فكه، فقصص أندرسن، قصص أطفال جميلة لكنها بسيطة جدا، مفتقرة للذكاء السحري.

عدت وقلت: دميتي، إضافة توطئة أظهر فيها طريقة إشعاع جواهر البراءة في بحار  
العبقرية ليس ضروريا، هناك أمور على القارئ أن يستنتجها.  
قالت: أنت مشاكس جدا، لذلك لا بأس بتحفيز عبقريتك. في التمهيد الذي بدأت  
به نابريس الموت، أثبت بما لا يترك مجالا للشك أنّك ساحر، حبا بالله، اسحرنا مجددا،  
أثبت أنّ البراءة يمكنها أن توازي العبقرية فعلا... اكسر مرآة أخرى... هيا وتوكل على  
الله.



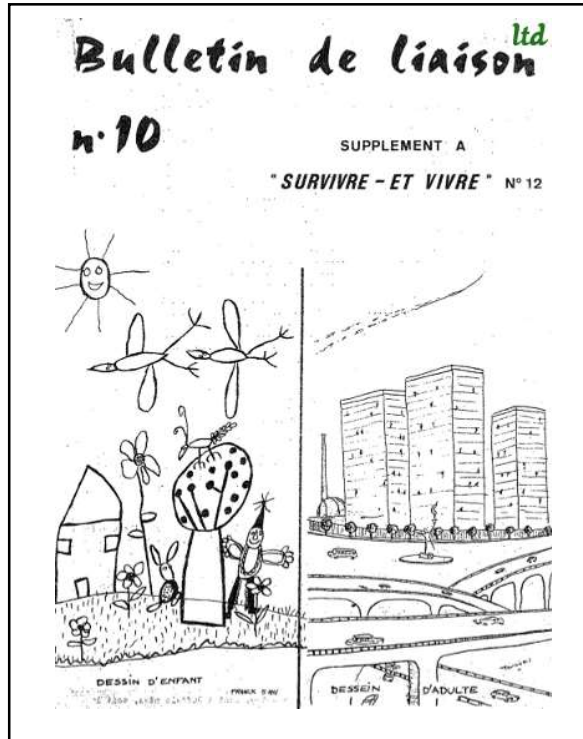
## توطئة: إينور الصغيرة وإرث بائعة الكبريت

" يا الله يا عليّ يا عظيم يا حلیم يا علیم أنت ربی وعلمك حسبي فنعم الربّ ربّي  
ونعم الحسب حسبي تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم نسألك العصمة في  
الحركات والسكنات والكلمات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون و  
الأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب فقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا  
شديدا. "

القطب الإمام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه

بداية حزب البحر / أورد الشاذلية

أحبتي، إلينا الرسم التالي:



الرسم أعلاه، عبارة عن صفحة مأخوذة من المجلة الفرنسية التي كانت تصدرها مجموعة *survivre et vivre* الفرنسية، والتي تأسست في سبعينيات القرن الماضي على يد بعض العلماء كبادرة للسلام والحفاظ على البيئة.

الرسم يمثل مقارنة بين رسم لطفل صغير عن اليسار، ورسمًا لمراهق عن اليمين، ولا يحتاج المرء إلى أي تفكير حتى يفهم تأثير الأطفال الصغار حولنا، نظرهم للحياة، في ظل كل هذه الحروب والمشاكل التي يئنّ بسببها العالم، وتضييق رثائه، تجعلنا في كل لحظة نبحث عن نفس جديد وسط دخان الأكاذيب التي تتغنى بالسلام والحرية، ونسأل الله تعالى أن يأذن بالفرج القريب... آمين.



إلینور الصغيرة و إرث بائعة الكبريت



بعد أعوام طويلة من النهاية التي ختم بها هانس كريستيان أندرسن حكايته الخالدة **بائعة الكبريت الصغيرة**، ذهبت فتاة صغيرة اسمها إلينور إلى الشارع الذي تواجدت فيه بائعة الكبريت لأخر مرة.

لم يتغير شيء في الشارع، فقد كان مهجورا طيلة تلك الأعوام، ومباشرة بدأت إلينور بالبحث عن علبة الكبريت وأعواد الثقاب التي تركتهم بائعة الكبريت.

جمعت إلينور كلّ أعواد الثقاب المتناثرة، ثمّ وضعتهم في علبة الكبريت الصغيرة، و شقّت الخطى عائدة إلى المنزل، ولما وصلت خبأت علبة الكبريت في درج صغير.

بعد عدة أيام حاولت إلينور فتح العلبة، لكنها لم تستطع، وعندما سألت أبويها، أخبراها أنّ علبة الكبريت لن تفتح قبل أن يجدوا طريقة تمكنهم من إعادة العيدان سليمة وقابلة للاشتعال من جديد، ثم طلبوا أن تنسى الأمر لأنه شبه مستحيل.

لما سألت جدتها أخبرتها أنه توجد طريقة لجعل العيدان سليمة كما كانت، أي قبل أن

تشعلها بائعة الكبريت، لكنها صعبة.

قالت: صغيرتي إلين، أعواد الثقاب هذه لا تتقد في النهار حتى ولو كانت سليمة، تتقد في الليل فقط، لأنّها في الحقيقة أعواد أحلام، وهي لن تصبح سليمة إلا إذا استُخرجت من رماد عجيب، رماد العنقاء، الطائر الأسطوري الذي يحترق ويولد من رماده ثم يعيش خمسمائة سنة.

قالت إلينور: فهمت، إذا وجدت طائر عنقاء يحترق، فستحلّ المشكلة، ألقى بعلبة الكبريت في النار التي يحترق فيها، وعندما يصبح كلّ شيء رمادا، سيولد العنقاء من جديد ويخلق، ومن ثمّ أبحث وسط الرماد، لأجد علبة الكبريت وبها أعواد سليمة، لكن كيف أصل إلى العنقاء؟

قالت الجدة: طيور العنقاء ما هي إلا طيور لوحة زيوكس التي تحولت إلى شهب سماوية، تعيش حياتها في السماء كشهب مضيئة، وفي نهاية حياتها السماوية، تعود إلى الأرض، تحترق الغلاف الجوي وتصطدم بالأرض، ومن رمادها تولد من جديد وتعيش خمسمائة سنة على الأرض، ثم تحترق مجددا، لكن هذه المرة لن تولد مجددا.

قالت إلينور: سبحان الله، في السماء شهب سماوية، وعندما تحترق الغلاف الجوي للأرض تصبح طيور عنقاء... هذا رائع!

قالت الجدة: علينا القيام ببعض الحسابات الفلكية، لنحدد اليوم الذي سيسقط فيه النيزك التالي على الأرض، أقصد طائرا من طيور لوحة زيوكس التي تحولت إلى شهب سماوية، فكما أخبرتك، الناس يظنون أنّها شهب سماوية مضيئة، ويسمونّها نيازك، لكنها في الحقيقة طيور لوحة زيوكس التي احتضنت لآلئ الشمس.

من خلال بعض الحسابات الفلكية قدرت إلينور وجدّتها يوم اصطدام أحد طيور لوحة زيوكس مع الأرض. قالت الجدة: اكتبي هذا التاريخ على علبة الكبريت، وقريبا إن

شاء الله سيأتي بساط سحري ليحملك إلى الموقع.

قالت إلينور: الحمد لله أني لن أركب الطائرة ولا القطار ولا السفينة، فحين تبدأ محركاتها بالدوران أشعر أنّها سوف تتحطم!

في الليلة الموالية أتى البساط. قالت والدتها: إلين صغیرتی، ابقي بعيدة حتى لا يصطدم الشهاب بك، وقال والدها: إلين ابنتي، كوني شجاعة، واعلمي أنّ قلوبنا معك، وقالت جدتها: عودي بسرعة يا صغیرتی... إياك أن تحاولي القيام برحلة حول العالم.

قالت أمها: إلين، خذي هذه المكنسة معك، ستساعدك في تنظيف الرماد وبذلك تجدين علبة الكبريت بسرعة، ولا بأس إن نسيتها هناك، وحاولي أن لا تتسخ ملابسك.

ودعت إلينور أهلها وانطلق البساط. قطعت إلينور مسافات هائلة جدا، وأسرتها الكثير من المناظر، وأكثر ما أدهشها كانت أسراب كبيرة من طيور الكركي المتوجة.

لما وصلت إلى الموقع، انتظرت بضعة أيام، حتى سقط شهاب سماوي وهو متخذ هيئة طائر ضخم جميل جدا، واصطدم بالأرض، مشكلا فوهة كبيرة.

كانت الحرارة شديدة جدا، فخافت إلينور، بقيت تتقدم بخطوات قليلة ثم ترمي علبة الكبريت، وعبثا كانت تفعل ذلك، إذ لم تستطع إلقائها داخل الفوهة النارية.

كانت تدرك جيدا أنه من الصعب رؤية ذلك المنظر من جديد، فهتّت بالمحاولة ثانية، فجأة حدث أمر لم يكن في الحسبان، بدأت الأمطار تتهاطل بشدة. قالت بخيبة أمل: المطر سيجهض ولادة العنقاء... أيعقل أنني ناضلت من أجل سقط عنقاء... ولادة لن تكتمل... هكذا حتى وإن ولد سيكون مشوها، ولن أحصل على أعواد ثقاب سليمة.

خفق قلبها بشدة، وكانت النار على وشك أن تحمد. بلّ لها المطر بالكامل، لكنها لم تهتم، وقالت للبساط: حلق بي فوق الفوهة رجاء لألقي بالعلبة داخلها.

قال البساط: أنت مجنونة... لا أريد المثل أمام محكمة الأحلام، لن يكون من حقي

حتى طلب استئناف!

مباشرة ركضت إلينور بأقصى سرعة ثم قذفت علبة الكبريت بكل قوة داخل النار. خمدت النار، وفي آخر لحظة نجا العنقاء، ولد من جديد، ثم حلق عاليا. ودّعه إلينور قائلة: في أمان الله، أتمنى لك السعادة في حياتك الأرضية، وبقيت تلوح بيديها. ما إن غاب العنقاء حتى بدأت إلينور بالبحث عن علبة الكبريت، ولكنها بقيت عند أطراف الفوهة الضخمة المملوءة رمادا وماء، وهذا حتى لا تغرق.

كانت عملية البحث شاقة جدا، لكنها تحملت، ظلت تكابد وبقيت تتحرك على طول الفوهة وهي تمدّ ذراعيها في كل مرة حتى وهنت أطرافها. بعد مدة قال البساط: إلينور، انتهى وقت الانتظار، لنعد أدراجنا، ودعك من محاولة اقتحام الفوهة، حتى الدجاج لن يستحمّ في رمادها!!

قالت إلينور: انتظرنا بضعة أيام حتى سقط الشهاب، أقصد العنقاء، وسأقتصّها الآن. قال البساط: ومن يقدر السقوط بدقة، حتى اللجنة الفلكية للأحلام توقعت نفس اليوم الذي توقعته أنت وجدّتك، الخطأ خطأ الشهاب الذي علق في زحمة السماء! قالت إلينور: حسنا، اذهب وعد إليّ غدا إن شاء الله.

قال البساط: متى ستفهمين بأني لست مركبة والدك! قالت إلينور: حسنا، اذهب إلى أهلي وأخبرهم عن الموقع حتى يأتوا لمساعدتي؟ ضحك البساط وقال: مستحيل... هذا الموقع موجود بالنسبة للحالمين فقط! قالت إلينور: لن أغادر قبل إيجاد علبة الكبريت، لذلك يمكنك الذهاب، وأنا ممتنة لك لأنك حلقت بي إلى هنا.

ردّ البساط: على الرحب والسعة، كان الله في عونك. رحل البساط لتجد نفسها وحيدة في ظل ذلك الصمت المخيف، وأدركت أنها اتخذت قرارا متهورا. لكنها

استجمعت قواها وعادت إلى الفوهة. ما إن وصلت إلى الحافة حتى استدارت علّها ترى البساط راجعا إليها، فجأة انزلقت قدمها وسقطت داخل الفوهة، أخذت تضرب يديها... بقدميها، وهي تصرخ: النجدة... النجدة... لا أجد السباحة... النجدة... سأغرق. تخبّط كطير مذبح لفترة وجيزة، وحين كادت تستسلم للغرق حلّق البساط فوقها مباشرة وقال: تمسكي بي...

الحمد لله... الحمد لله... لقد نجوت.

قالت إينور: لماذا عدت، وخاطرت بمسيرتك الأعلامية؟! أجاب البساط بابتسامة: القوانين تُحرق في المسائل الأخلاقية. والآن علينا الانطلاق بأقصى سرعة حتى أتدارك الوقت الذي فاتني.

قالت إينور: لا، خاطرت من أجلي، وسأكون أناية إن لم أخطر من أجلك. بدوني ستكون أخفّ وتصل بسرعة، أما أنا، فهذه المخاطرة سأجد علبة الكبريت بإذن الله. ذرف البساط دمعة وقال: كوني حريصة على نفسك. فقالت إينور: في حفظ الله. ولأنّ الحار تجلبه الأمواج، فقد نظرت إلى الفوهة لتترائى لها علبة كبريت رائعة. هتفت صغيرتنا إينور: يوريكا... يوريكا... والتي تعني وجدتها... وجدتها... الكلمة التي ردّدها أحد أعظم العلماء، أرخميدس، حين اكتشف قانون طفو الأجسام.

سحبت إليها علبة الكبريت من خلال المكنسة التي أعطتها لها والدتها، ثم جلست متربعة على الأرض، وهي في حالة يرثى لها، مرهقة، متعبة، واسودت بالكامل، من رأسها إلى أخمص قدميها.

حاولت فتح العلبة دون جدوى، فاضطربت أحاسيسها لكنها سرعان ما قالت: حافظي على هدوءك يا إين، تحتاجين فقط إلى كلمة السرّ... إنها افتح يا سمسم! قالت: افتح يا سمسم... لكن دون جدوى، لتقول: يا لني من حمقاء... علي بابا كان

كبيراً، لذلك قال افتح يا سمسم، أنا صغيرة، يكفي أن أقول افتح يا سم! انفتحت العلبة بسهولة، وذهلت إينور لأنها وجدت بداخلها أعواد كبريت سليمة. بدأ الليل يَحِيْمُ، واكتنفها خوف شديد. قالت: أنا غبية... تركت أهلي لأجل علبة كبريت!. لكنها تداركت وقالت: لا أنا حاملة، وهذه علبة أحلام ليست علبة كبريت، متذكرة قول جدتها: الأعواد تتقد في الليل فقط، لأنها في الحقيقة أعواد أحلام. وهكذا أوقدت عود ثقاب، ثم نامت في ذلك المكان، وحلمت بالعودة إلى البيت. عند الفجر، استيقظت عند باب منزلها، فقامت ودخلت مباشرة، استحمت وارتدت أجمل الثياب ثم هبّت لمعانقة أهلها، وبقيت تحكي ما جرى معها. في الغد، وقبل النوم أوقدت عود ثقاب، وتمنت أن تتحدث مع بائعة الكبريت. ما إن غرقت صديقتنا الصغيرة إينور في الأحلام حتى تالّأت نجمة جميلة جداً في أحلامها. قالت إينور داخل الحلم: مرحباً يا بائعة الكبريت، هل أنت سعيدة هناك؟ أجابت النجمة الجميلة: أجل يا إين، لكن اسمي نجمة، ليس بائعة الكبريت. قالت إينور: يا لك من مرحة ومشاكسة! حسناً، فهمت أنّك تكرهين اسم بائعة الكبريت، سأناديك قمر. لتقول النجمة: صغيرتي إين، اسمي نجمة... نجمة، وأنا لست مشاكسة! قالت إينور: هل تعلمين أنّي عانيت كثيراً حتى أعيد أعوادك سليمة؟ قالت نجمة: وهل اعتقدت أنّه من السهل أن أتالّأ في أحلامك يا صغيرتي! قالت إينور: أخبريني الآن، هل هناك من جمع أعواد الثقاب قبلي؟ أجابت نجمة: لا... أنت الأولى يا صغيرتي إين. لتقول إينور: ألا تشعرين بالوحدة؟ أجابت نجمة: أبداً، لأنني أغزل الأحلام ليل نهار. قالت إينور: أعلم أنّك طيّبة وتغزلين أحلام الأطفال الصغار، لكن لماذا لا تعودين

إلى هنا، وهكذا تحققين أحلامهم عن قرب؟

أجابت نجمة: مستحيل، الأحلام تتحقق في السماء، لا تتحقق على الأرض، ولذلك فإن طائر العنقاء هو همزة الوصل. اسمعيني، أنا لما صعدتُ إلى السماء، صعدت بالشعلات المتوهجة وتركت أعواد الثقاب المنطفأة على الأرض، عسى أن تكون طريقك يا إلين لتصبحي نجمة، وكنت أنتظر ولادة العنقاء بفارغ الصبر حتى ألقى الشعلات وسط نيرانه، لتعود الأعواد سليمة إذا ما تمّ إلقاء علبة الكبريت داخل النار.

قالت إلينور: حسنا، أقدر صنيعك هذا كثيرا، وأقدر أنك تريدان أن أتحوّل مثلك إلى نجمة، لكنك لن تخدعيني بسهولة.

قالت نجمة: لماذا يا صغیرتي إلين، ألا تريدان أن تصبحي نجمة مثلي؟  
قالت إلينور: أنا الأذكى في مدرستي، وليس من السهل خداعي. يؤسفني القول أنا لن نلتقي بعد اليوم، ولن أوقد عود ثقاب آخر، لأني إن أوقدتهم جميعا فسوف أموت.  
قالت نجمة: حسنا يا إلين، لكن يبدو أنك لم تفهمي. للأسف، بما أنك أوقدت عود الكبريت البارحة، فنفس السبب الذي دفعك لإيقاد عود آخر اليوم هو الذي سيدفعك إلى إيقاد أعواد الأحلام المتبقية، ولا توجد طريقة لكي تعيدي إليّ شعلاتي كاملة... يعني أنّ قدومك إليّ مؤكد.

خفق قلب إلينور وقالت بخوف: بإذن الله سأعيش عمرا مديدا وأفعل الخير... ثم تابعت: لا، لن آتي إليك، وسأجد طريقة وأعيد إليك شعلاتك كاملة، أهدرت شعلتين فقط، وسأفكر في طريقة لإعادتها مع الثمانية والثلاثون شعلة الباقية.

قالت نجمة: بما أنك لا ترغبين في القدوم إليّ، ففكري بطريقة تعيدان بها إليّ شعلاتي كاملة، علما أنّي متأكدة من أنك لن تعيدها أبدا، وسوف أبقى أدعو الله لأن نكون معا، وإلى ذلك الحين إن شاء الله، تأكدي أنّي لن أتخلي عنك.



قالت إينور: أنت طيبة، لماذا تقولين كلاما شريرا، لا أريد الموت الآن، لازلت صغيرة.  
قالت نجمة: أصابعي تؤلمني من الغزل، لذلك يجب أن أأخذ مساعدة، واعلمي أنني لن  
أفترط فيك أبدا. لديك ثمانية وثلاثون ليلة حتى تعيدي إليّ الشعلات المتوهجة، أربعون  
شعلة، إن لم تعيدها إليّ حتى ذلك الوقت، فسيأتي بك العنقاء إليّ لتغزي معي الأحلام.  
ارتبكت إينور وقالت: أشرار... أنتِ وذلك العنقاء تأمرتما عليّ... حبذا لو مات  
قبل أن يولد.

قالت نجمة: ليباركه الله، أنا متأكدة من أنه قريبا سنلتقي، لا تقلقي، سنكون نجمتين  
سعيدتين، ولن تشعري بالوحدة، لكنني عرفت من خلالك أن أهل الأرض يكرهون  
التحول إلى نجوم!

ارتعبت إينور، خفق قلبها بشدة، وقالت: لن يبارككما الله، لا، لا، لا... أريد أن  
أبقى نجمة هنا، لن آتي إليك، دعيني وشأني، انسي أمري، أنا أكرهك، أكرهك...  
وسوف أخبر والديّ وجميع أقاربي وكلّ أساتذتي، وصديقاتي أنّ هناك شريرة تريد قتلي.  
قالت نجمة: اكرهيني قدر ما شئت، أنتِ الآن ملكي، وإذا كنت حريصة على أهلك،  
فمن الأفضل أن لا تفشي سرّي، إن أفشيت سرّي فاستعديّ لوابل من الشهب، يتألاّ  
حول بيتك وبيوت أقاربك ومدرستك.

ارتعدت إينور بشدة. قالت: أعدك، أعدك... لن أفشي سرّك، عديني فقط بأنك لن  
تمسيهم بسوء... وفكرت في أنها غبية لأبعد الحدود، خاضت تجربة صعبة وقاسية لتوقع  
نفسها في ورطة أصعب!

قالت نجمة: أعدك... مُدّي خنصرك الصغير... فجأة صرخت إينور: لا... لا... لا  
تلمسيني... وتقلّبت في فراشها بشدة ودست رأسها ويديها الصغيرتين تحت الوسادة...  
ثم حاولت الخروج من الحلم مباشرة لكنها لم تفلح إلا حين انبلج الصبح، وكان عود

الثقاب قد لفظ أنفاسه في حاملة الشموع.

في اليوم الثالث أوقدت عودا، وفي الرابع أوقدت عودا، في كل ليلة كان هناك شيء يدفعها لإيقاد عود من الأعواد، وفي كل ليلة كانت تتحدث مع نجمة في الأحلام وتقول لها لم أجد أية طريقة، لماذا لا تتنازلين عن شعلاتك؟

وكانت نجمة تردّ: أنت مجنونة، لا يمكنني أن أغزل أية أحلام بدونها، إنها بمثابة مغازل ولا يمكنني أبدا التخلي عنها، مضت عليّ أيام لم أغزل فيها حلما واحدا.

ثم أتت الليلة الأخيرة، الليلة الأربعون. حاولت صغيرتنا إينور عبثا رمي العلبة كما فعلت في الأيام السابقة، حاولت عبثا عدم إيقاد عود الثقاب، في الأخير استسلمت وأشعلت العود الأخير، ثم نامت والتقت نجمة.

قالت نجمة: للأسف يا إين، لم تستطعي أن تعيدي إليّ شعلاتي، لذلك سيأتي العنقاء إليك ويأتي بك إلى هنا، فاستعدي لرحلة طويلة.

ابتلعت إينور ريقها وبدأت تبكي بشدة، وهي تقول: أرجوك... أرجوك، لا تكوني شريرة، هانس كريستيان أندرسن لم يعطنا صورة شريرة عنك، وإذا أخذتني سيكرهك كل الأطفال الصغار، لا أحد منهم سيودّ أن يسمع قصتك إذا أخذتني...

قالت نجمة دون أن تأبه لكلام إينور ودون مبالاة: لا يهمني الأمر على الإطلاق.

قالت إينور بصوت كله بكاء: أنت شريرة... أنت لا تعرفين معنى الأمومة ولا الأبوة، لو كنت تعرفين لما فكرت للحظة أن تسرقيني من أبوي، عشت وحيدة ولذلك لا يمكنك أبدا أن تقدري الروابط العميقة التي تربط بيننا نحن البشر، أنت شريرة وقاسية، همّك الوحيد هو كسر الروابط... تكذبين على الأطفال وتقولين أنك تساعدنيهم على تحقيق أحلامهم، في حين أنك شريرة ولصّة، تسرقهم من آبائهم وتبعدهم عن إخوانهم، نحن نفضل العيش بقرب أهلنا على مرافقتك، عندما نسقط يساعدوننا على النهوض والوقوف

من جديد، وهكذا نحقق أحلامنا ونصير نجوما.

قالت نجمة: لا تكوني حمقاء، هكذا أنت تعيشين حياتك فقط، تعيشين شمعة، وحين يذوب شمعك تنطفأ شعلتك.

اسمعي يا إلين، حين تصبحين نجمة، سيظنون أنك انطفأت وانتهيت، والحقيقة أنك ستكونين هنا تلمعين وتتألقين، وأعدك، إذا رفعت إحدى صديقاتك بصرها إليك، فأقسم لك أنني سأنزل إليها ومن ثم أحلق بها إلى عالمنا، عالم النجوم.

كاد قلب إلينور يخرج من صدرها وصرخت داخل حلمها: شريرة... أنت شريرة، أنت أسوأ من عرفت في حياتي، تريدان قتل صديقتي... أنت شريرة وبغيضة...

قالت نجمة: رويدك يا صغيرتي إلين، تعالي إليّ وسنكون أختين. لتردّ إلينور مباشرة: لنكن أختين، لكن أنا هنا، وأنت هناك... كل في عالمه.

قالت نجمة: صغيرتي إلين، السماء والأرض لا تلتقيان، عليك أن تأتي!

انقبضت عضلات إلينور، ثم قالت وهي تبكي وتشهق: أحلامك التي تبيعينها بهذه الأثمان أطعميها للدجاج، لا أريدها... أريد أن أعيش هنا وأن أموت هنا، لا أريد القдом إليك، لا، ليتني لم أتمنّ الحلم بك.

قالت نجمة: صغيرتي، أنا أهدي الأحلام، ولا أبيعها أبدا. لكن وعلى أية حال، لو لم تتمنيّ لقائي، لكنتِ سهّلت عليّ الأمر كثيرا، ولم أكن لأدخل معك في أية حوارات، كان العنقاء سيأتي بك مباشرة في الليلة الأربعين. اسمعي يا صغيرتي، كان يجب أن أستعيد شُعلاقي، ولم تستطعي ردّها، لذلك سأخذك، سيكون هذا درسا لمن تسوّل له نفسه الحصول على أسرار النجوم!

بكت إلينور بشدة، وبدأت تصرخ داخل حلمها، ضاقت أنفاسها وكانت تتصبّب عرقا، فجأة قالت نجمة: حسنا يا إلين، اهدي أرجوك، استرخي، فأنت لن تموتي، فقط

ستكونين على ارتفاع عالٍ جدا من الأرض، أقسم لك، هيا امسحي دموعك.

قالت إينور: مهلا... مهلا... ألم تموتي بعد؟؟

قالت نجمة: أنا حية أرزق ولله الحمد. الفضاء هنا منحني كثيرا، ولذلك الزمن يتباطأ كثيرا، إنها النسبية العامة لاينشتاين، ولذلك سنوات عمري تمضي ببطء شديد، وحين تحين ساعتي سأموت، سأسقط على الأرض وأدفن فيها، فأنا أعيش هنا بالروح و الجسد. فجأة قالت إينور: فهمت الآن، الناس ظنوا أنك متّ عندما لم يجدوك، وعلى ذلك الأساس روى هانس كريستيان آندرسن القصة، لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة أنك هناك، تعيشين بالروح والجسد.

بقيت نجمة صامتة، في حين راحت إينور تقول: أخبريني الآن، عندما آتي إليك، هل يمكنني أن ألتقي أهلي كل يوم وأزورهم، إذا عشت هناك معك، ونسجنا أحلام الأطفال، هل يمكنني ارتياد المدرسة واتخاذ صديقات، هل يمكنني لعب الغمضة، لعبة القفز فوق المربعات، وافتحي يا وردة وأغلقي يا وردة، مداعبة الفراشات وقطف الأزهار والتوت البري، إلقاء حبات القمح والفرزدق للعصافير والحمام، هنا لديّ الكثير من الحمامات الوفية التي تأتي صباح كلّ يوم ولا يمكنني أن أفرط فيها، هل يمكنني...

وبينما هي غارقة في طرح الأسئلة حتى انطفأ عود الثقاب. استيقظت من الحلم وهي متحسرة، عليها انتظار خمسمائة عام حتى يموت العنقاء، مستحيل، ستكون قد ماتت! حسنا، هل انتهت القصة هنا؟ لا. فقد برقت في ذهن صغيرتنا إينور حقيقة راسخة.

قالت: مهلا... لا حياة خارج كوكب الأرض، كيف قالت أنّها تسكن هناك بالروح والجسد... الحمد لله أنّي تحلّصت منها، واستطعت إلهائها حتى انطفأ عود الثقاب!! إنها مخادعة، بائعة الكبريت تلك مخادعة، متكبرة ومغرورة، أتذكر جيدا عندما قلت لها مرحبا يا بائعة الكبريت، كيف قالت بغرور أنّ اسمها نجمة.

الحمد لله أيّ تخلّصت منها، وسأحرق أعواد الثقاب هذه كلها حتى لا يقع أيّ صبي أو صبية في شراكها، أجمل شيء فعلته في حياتي هو التخلص منها، الأطفال سيقون مدينين لي لأنني أنقذتهم، ما أشدّ ذكائي، إنني بطة، ويجب أن أروي بطولتي هذه ليأخذ الأطفال منها العبر!

أهلنا يعلموننا أن لا نذهب مع الغرباء، لكنهم لم يخبرونا أنّ هناك غرباء في السماء ويريدون سرقتنا، الغرباء لا يوجدون على الأرض فقط، وعلى جميع الأطفال أن يحذروا. بائعة الكبريت الصغيرة، هه... عرفت اليوم حقيقتها، تلعبين معي ليلي والذئب، أرادت أن تعيد كتابة ليلي والذئب من خلالي... قال الذئب أنا جدّتك يا ليلي، وهي قالت أنا أختك يا إينور، تلعبين مع إينور، وليس مع ليلي، ها قد أرسلتها الآن إلى الدبّ الأكبر!

في تلك الليلة، ومع الساعات الأولى للفجر، أطلّت من النافذة، كان هناك ديك على الحاجز يتهيأ لإيقاظ النائمين، فيما راحت إينور تتأمل النجوم. ومضت في عقلها حقيقة بديعة. قالت: سبحان الله، هناك ورود تنبت في الأرض وتزهر في السماء، مصابيح تتقد في الأرض وتوهج في السماء... إنه سحر اللغة من خلال الصور البيانية البديعة. هناك... هناك فقط أدركت الحقيقة. انهارت كلياً، بكّت بشدة، فقد أيقنت أنّها خسرت نجمتها، أطفالاً نجمتها... فهمت أنّها كانت تتحدث مع نجمتها هي، نجمتها الخاصة، تلك النجمة كانت لإينور، إينور دون سواها، وعندما لم تستدر صغيرتنا إينور، انطفأت نجمتها، وصمتت معها براءتها الحاملة.

منذ تلك الليلة، وهي تبحث عن النور، نور نجمتها، كانت تبحث عنه في وجه كلّ نجمة، ذلك النور أسر روحها وقلبها وعقلها... للأسف، صغيرتنا إينور لم تستدر إلى النور، بقيت مركزة على الظلال.

منذ تلك الليلة، وهي تحلم أن تكون نجمة، منذ تلك الليلة وهي تنظر إلى السماء، تمنّت لو أنّها سألت نجمتها عن موقعها خلال الليالي الماضية، تمنّت لو أنّها لم تُسئ الظن بنجمتها... لكن للأسف، خوفها أنساها كلّ شيء، منعها من التفكير، حرّمها من الاتحاد مع نجمتها... إلينور تخلّت بطريقة ما عن نجمتها.

بقيت تبحث عن موقع نجمتها، في الأرض، في السماء... لم تجده. فقدت إلينور نفسها في هذا العالم، كانت تعلم أنّ استعادة نفسها لن يكون قبل أن تجد نجمتها، لذلك بقيت تبحث عنها، في الآخرين، في عيون الجميع، كانت تبحث عن نجمتها...

نجمة إلينور حاولت مع إلينور بكل الطرق، حاولت جعلها تلتفت بكل الطرق، بقيت تخاطبها باسم الدّلع... إلين، وحتى عندما أخبرتها أنّها لا تزال حية بالروح والجسد، لم تلتفت إلينور، ثم تبادت إلينور وأساءت الظنّ بنجمتها... دون إيمان صادق يفيض بالروحانية، يستحيل أن تتألأأ نجومنا، سنتطفأ لا محالة... في عالم البراءة، فالذكاء يسير بنا إلى الهاوية.

إلينور لم تكن لتفقد أهلها، أو تبتعد عن صديقاتها وأحبّتها، لم تكن لتخسر حياتها، أبداً، هي كانت ستعيش حياتها بشكل عادي، الشيء الوحيد الغير عادي، هو أنّها كانت ستحيا مستيقظة في أحلامها في كل ليلة تنامها.

لكن للأسف، هذه هي حال الشموع، ما إن تسنح لها الفرصة لتتحول إلى نجوم، حتى تتراجع بسبب خوفها، حتى تبدأ بالمساومة، القدر لا يأخذ الأشخاص الذين يساومون إلى أحلامهم، أبداً.

نستطيع أن نقطع مسافات هائلة على الأرض، آلاف الأميال، لكننا لا نجراً على أن نخطو خطوة واحدة في السماء، على الأرض يمكننا تقديم آلاف التضحيات دون ذرة تفكير، لكن في السماء لا نقدم على التفكير في تضحية واحدة، هذا هو الفرق بين

الناس العاديين، والعباقرة.

البراءة حاملة، لكنها عند نقطة التحول إلى عبقرية، يقتلها أصحابها من خلال تراجعهم، يجب أن يكون هناك جنون، يجعلنا ندفع بتهوّر...

نجوم براءتنا عندما تصعد إلى السماء، تبقى ترسل إلينا رسائل مكتوب عليها أحلام طفولتنا، معظمنا يلقي بتلك الرسائل في قبر البلوغ، معظمنا يصبح يقول: هم أطفال صغار، ونحن كبار، وراشدون، أقسم برّب العرش، هم عباقرة، ونحن أناس عاديّون. مرّت أيام وأيام، لتشعّ بذرة أمل في روح إلينور، فذهبت مسرعة إلى جدتها. قالت: جدتي، ما عدد طيور العنقاء؟

أجابت الجدة: في عالم الأطفال، عددها كبير، وفي عالم الكبار كائنات خرافية!

أجابت إلينور: سأبحث عن عنقاء آخر لألتقي بنجمتي مجددًا!

ابتسمت الجدة وقالت: أميرتي، العنقاء لا ينكشف إلا مرة واحدة للروح البريئة، ولو كان يتكشف نزولاً عند رغباتنا، لما أصبح هناك معنى لنجومنا، خاصة أن النجوم ناعمة جداً ورقيقة، مثل البراءة تماماً، من السهل جداً كسرها، ومن السهل جداً خدشها، إذا لمسناها فسوف نخدشها، إذا حملناها فسوف نكسرها.

الرغبة تجعلنا نريد، والأمنية تجعلنا نحب. انكشف العنقاء لك من قبل لأن نجمتك كانت أمنية، أما وقد صارت الآن رغبة، فلن ينكشف إلا بعد انقضاء خمسة قرون. إن البراءة قابضة خلف مرآة العين، والعنقاء أمين أسرار نجومنا، إذا رأته عين ما ولم تستسلم لنجمتها، فسوف يحترس منها طيلة حياته، ويخبر إخوته حتى يحترسوا من تلك المرأة، لأن البراءة التي تختبئ خلفها براءة لا يمكنها أن تضحى، وفي عالم الأحلام تسمى براءة لامبالية، براءة غير أصلية.

بكت إلينور بشدة، لتضمها جدتها وتقول: أميرتي، بالنسبة للفاشلين، فهذه نهاية

الرحلة فعلا، لكن بالنسبة لمن يعرفون معنى الشغف، فالرحلة لا تنتهي!

عادت إلينور إلى ذلك الشارع المهجور، نثرت أعواد الثقاب هناك وألقت بعلبة الكبريت الصغيرة. قالت: ترى، هل ستأتي فتاة أخرى وتجمعك من جديد أيا أعواد الأحلام؟ إن جمعتها، فهل ستقبل بأن تتحول إلى نجمة أم تفضل أن تبقى شمعة؟

أسقطت دمعة صادقة من عيناها، وفي تلك اللحظة أزهرت في ذلك الزقاق، من خلال بعض الشقوق وردة جميلة، توأم لإلينور، عرفت إلينور أنّ نجمتها بقيت وفية لأنها ندمت ندما صادقا... كلّ شيء نجبه بصدق ونقاء، سيعود إلينا إذا أخلصنا وصبرنا.

تَهَلَّل وجهها وأشرق، لم تتمالك نفسها وانحنى تقبل وردتها، وتسقيها بدموعها. كانت تعلم أنّ الصورة صورة وردة، لكن الروح روح نجمة، وليست أي نجمة، بل نجمتها هي. عادت بالزمن واسترجعت ما قالتها نجمتها: إن أفشيت سرّي فاستعديّ لوابل من الشهب، يتلألأ حول بيتك وبيوت أقاربك ومدرستك!.

قالت: أيتها الجميلة، كنت تلمحين إلى أنّك ستبقين تتزوعين وتعبقين برائحتك العطرة حولي في كلّ مكان أحلّ فيه، كنت شريفة معك، أنا آسفة... آسفة...

صحيح أن إلينور لم تخلق في عالم النجوم، لكن عبير نجمتها أكثر من كافٍ، لم تكن لتبادل وردتها بزهور الكون، الكون بأسره كان يقبع في قلب وردتها تلك، في تفتح وردتها، كانت ترى تفتح الكون بأسره.

لما كبرت إلينور، رسمت خريطة توضح الشارع الذي وجدت فيه أعواد الثقاب الخاصة ببائعة الكبريت، وفي اللحظة التي قررت فيها بدء العمل رسميا على هذا المشروع، أتنني حمامة زاجلة بخريطة إلينور، كان هذا في الرابع والعشرين من ماي لسنة 2016. سرت وفق الخريطة، لأصل إلى ذلك الشارع في السادس والعشرين من سبتمبر لسنة 2017.

في إحداثيات ذلك الزمكان تصوّرت دميّتي البديعة. سبحان الله... إيسطارا جايكوي،



اسم نجمتي يشبه النجمة... وهذا الاسم لم يكن أبدا عشوائيا، كما سيّضح في نهاية السلسلة إن شاء الله. على أية حال، كانت بطلتي قد وجدت علبة الكبريت، وقد التقطت عود ثقاب واحد فقط.

ما إن غمر ضياء شمسي أنوار ذلك القمر البديع، حتى استدار إليّ مباشرة... مرّت لحظات، بقينا خلالها مشدوهين لبعضنا... وخلال ومضة خاطفة تلاقت نظراتي مع نظراتها، تلامست برائتها الآسرة مع عبقرتي الساحرة.

مباشرة ولا إراديا، جعلتُ إيستارا عود الثقاب يحتكّ مع علبة الكبريت. سبحانك يا الله، اتّقد عود الثقاب... أقصد عود الأحلام، تلك الصغيرة أضاءت عالمي، حرّرت براءتي، فجّرت عبقرتي.

كنت قد نسيت أنني شمس، حاولت إفناء طاقة جبارة لأحيا في مدار ذلك القمر، لكن للأسف، الشمس هكذا، جذبت ذلك القمر تلقائيا!

انحنيت جاثيا على إحدى ركبتي، صعدت مدلّتي فوق ظهري ليطلّ قمري خلف رأسي قائلا: ابتداء من هذه اللحظة سنبدأ بالدوران في عالم المجّرات. عندما أطلق بأصبعي نبدأ على بركة الله...

عليّ أن أخبركم أن قمري عندما يقطع بأصبعيه لا تصدر أية طقطقة، لذلك بسم الله، توكلنا على الله...

" كل ثانية نعيشها هي لحظة جديدة وواحدة في الكون. اللحظة التي لن تكون مجددا أبدا.

وما نقوم بتعليمه لأطفالنا؟ نعلمهم أن اثنان واثنان يساوي أربعة، وأن باريس عاصمة

فرنسا. عندما نعلمهم من هم، علينا أن نقول لكل واحد منهم: هل تعلم من أنت؟

أنت أعجوبة. أنت فريد. في كل السنوات التي مرّت، لم يكن هنالك أي طفل مثلك.

قدمك، ذراعك، أصابعك الماهرة، الطريقة التي تتحرك بها. يمكن أن تصبح الشكسبير،

الدافنشي... لديك القدرة على فعل أي شيء. أجل، فأنت أعجوبة. وعندما تكبر،

هل يمكنك أن تؤذي شخصا مثلك، أعجوبة؟. عليك أن تعمل، علينا جميعا أن

نعمل، حتى نجعل العالم جديرا بأطفاله. "

بابلو بيكاسو

تمهيد: الجنون لونغفيرو كيمراي

" مواهبك تكمن في المكانة التي بها قيمك، العواطف والقدرات تلتقي. اكتشاف هذه المكانة هي

أول خطوة نحو نحت تحفك، حياتك. "

ميكي لانجلو بوناروتي

قبل 270 سنة من الآن...

حوالي 1700 بعد ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

لم يسترِعَ المنظر البديع للشمس الغاربة انتباه لونغفيرو الذي كان مضطجعا على جنبه الأيمن في مرج مترامي الأطراف ينتظر قدوم أحدهم.

مد بصره إلى السماء... لم يستطع حبس دموعه التي سالت على وجنتيه. قال: إلهي، أنا جدّ خائف، لا أريد أن أفقد وعيي بذاتي مجددا، إلهي أنت وحدك أدري، أنت أدري مني، إن روحي تتعذب بشدة وترنو فقط إلى الخلاص ولا شيء سواه... لا، بل إنها تتوسل للخلاص، حالي ليست مستقرة، وسلسلة الاضطرابات قد بدأت تأخذ منحى آخر، ما وجهتي؟. إلهي، أنت وحدك مرشدي.

مسح دموعه وتابع قائلا: حبا بالله، هل هذا حلم؟. لأن القلب يودّ أن يحيا في حلم. هل كل الأمنيات أصبحت حقيقة أم هي فقط مجرد أكاذيب؟ لكن إن كانت حقا أكاذيب، لماذا لا أجد سيلا لفهم ما وراءها من ألعيب؟

أخرج نفسا عميقا ثم تابع قائلا: لا، لست أعيش في حلم، الحمد لله، فقد رسّخت إرثا لم يكن لمن كان قبلي. يراودني شعور بأن أجراس الرحيل إلى ذلك العالم حيث تتضح الحقيقة الراسخة قد بدأت تدقّ بالنسبة لي ولا أرجو إلا لحسن المصير... آمين.

كان شاردًا مع نفسه، حتى أنه لم يشعر بأنه قضى ساعة في تحديث نفسه. استوى قائمًا ثم مشى قليلًا حتى صار عند منحدر سحيق.

قال: نيمائسول، طائرُك المجنون يقف عند الهاوية بعينيه الممتلئتين بالدموع، ومحبوبته الروحية ابتسمت بطريقة صامتة، ماذا سيفعل؟

أغمض عينيه وأسقط بواقى دموعه ثم تابع قائلاً: تتجاوب أصدااء الفضاء الشاسع حولي... أشعر بنسيم هادئ تتمايل معه الزهور، تمتدّ همسات خافتة كأنها تتدفق من أعماق روحي، همسات رقيقة تقول: لوفيرو، لست شخصاً مخيّباً للآمال، لذلك دع عنك كل تلك الأوهام واحتضن أحلامك في صفحة الأيام... فجأة هبّت ريح خفيفة، وأخذت خصلات شعره اتجاه الرياح... أدار رأسه وابتسم. لحظات وعاد للجلوس. نظر إلى بدر السماء هذه المرة وقال: القمر مكتمل، وهناك إحساس، أجل، إحساس قوي يقول أن قصتي سوف تكتمل فجر هذا اليوم، أعتقد بشدة أن ساعة الرحيل قد تكون مع الساعات الأولى للفجر.

تابع قائلاً: لكل قصّة عظيمة دوافع صارمة، تفرض قيوداً رئيسية لتأسيس عوالم مثالية، مهما كانت طريقة كتابتها. بغضّ النظر عن الشغف وما قد يريده الإنسان في حياته، أعتقد أنك كنت دافعي. لا زلت أذكر تلك العظّات التي قدّمتها لي، أذكر تلك الابتسامة الصامتة وأنت تربت فوق كتفي... خلف العظّات التي قدّمتها، كانت تختبئ ملايين من الأمنيات، خلف ابتسامتك الصامتة كانت تختبئ ملايين من الضحكات، لذلك حلّقت، حلقت عالياً إلى سماء عالمها، لدي جناحان، في كل لحظة يرفرفان، لكن الآن، لا أعرف إلى أين أطيّر، لقد أربكتني!

لم أجد إلى الآن تفسيراً لمحيّاها، أعلم فقط أنني قمت بعمل جبار وربّ العرش وحده من سواها... أجل، ربّ العرش الذي صوّرتني من عدم، هو وحده الذي سوّاها، أنا قمت

بفعل شيء واحد فقط وهو أنني رسمتها. علت محياه ابتسامة ثم قال: حتى أنني لم ألوّها، هذا لأني رسمتها ملونة!. مع هذا الإحساس الذي يراودني هذه الليلة بأني على وشك الرحيل لا أريد إلا أن تتجسد معاني محياها وأن يشع نور لمن أبهج دنياها، فما للقلب حيلة غير أن يهواها... قلت لها لا تنظري أبداً إلى أعماق قلبي التي تتلأأ بأنوار حبك وانظري إلى قلبي المكسور، رغم كل ألم لا زال يقول أنه على حبك مجبور، الآن أجهل سبيل الخلاص، حبا بالله، ماذا سأفعل؟

في سبيل تجسّدك، خسرت كل شيء، لم يبق لي أي شيء، تلاشيت يا حي... تلاشيت والله حسي... كنت البداية لحبّ انجرفت خلفه كلياً، حب من نوع آخر عميق جداً، صار يتغلغل عبر ذرات جسدي الذي استنزفته عواطفك، حبّ من الصعب رؤيته والأصعب من ذلك إدراكه.

سالت دمعة من عينه، لكنه سرعان ما ابتسم وقال: بعد كل تلاق كان يأتي الفراق، والآن لا يوجد سوى البقاء أمام المحبوبة، لكن دون العناق!. هذا الألم، ما أقساه... أجل، كذلك ما أحلاه!...

مذ ولدت، راح كل شيء يطالبني بالفناء حتى تتجسدي. أفنيت كلّ شيء... أغرقت كل شيء في دوامات شغفي بك، أحرقت كلّ شيء في نار عشقي لك، جعلت كل شيء يتلاشى في عواصف ولهي بك... لست عبقرى، أنا فقط طفل صغير لكنه عاشق ولهان... وسبحان من هيأني لتلقي هذا الدمار بمجور.

لا يزال ذلك الصوت في داخلي حيّاً، لن يصمت، لا زال يقول أنّ مساراتي لن تنتهي، ولأجلك فأنا لن أتوقف، لن أراجع ولن أغيّر وجهتي... وجهتي أنت لا سواك، لأجلك سأكتسح من جديد، أتلاشى من جديد، أتعذب من جديد... بالله ماذا فعلت لهذه الروح العاشقة حتى ترضخ لك عن طيب خاطر.

حيّ لك ليس مجرد رابطة روحية عميقة، أقسم لك أنّ شغفي هذا ظاهرة كونية أنا مركزها وأنت امتداداتها، ظاهرة كونية روحي تطالبني بالتماهي فيها، عاطفة كونية تسير بي إليك، أردت رسم نفسي فيك أنت فقط، أردت التخلي عن كلّ شيء، لأمنحه لك أنت فقط... لأنّي رغم كلّ نقص فيك، فلست جديرا بك...

أريد من الكون بأسره أن يعترف ويقرّ بصوت عالٍ أن كلّ شيء لا يتقاطع مع مساراتك الساحرة، فهو مفتقد للجمال وفق ما تقتضيه أعماق معانيه... حيّ هذا نعمة وبركة سماوية. أنا أنصهر، أذوب، أسيل، أتلاشى... أعشّقك بجنون، شغفي بك حارق ومجنون، أريد من الكون بأسره أن يبقى مشدوها إلى الصورة التي أبدعك الله تعالى عليها... لا ينطق إلا بسبحانك يا الله...

ساموت يا حيّ، يا قطرة العشق التي انسكب بحرّها في قلبي، لكنني لا زلت أجاهد حتى يبقى جسدي أرضك، وحتى يبقى قلبي روضتك العطرة، وعندما يتلاشى جسدي الفاني، لن تكوني أجمل وردة تفتحت على الأرض، لا، بل ستخلق بك روحي لتكونين أجمل وألمع شمس أشرقت في سماواتنا، أسأل الله أن يجعلني في ذلك اليوم كوكبك، كوكب صغير وخجول، يختبئ في سماواتك، مساراته مقيّدة في مداراتك.

فجأة سمع لونغفيرو صوت خطى تتجه نحوه، كان لياريسيوم. الشخص الذي ينتظره لونغفيرو. ما إن جلس لياريسيوم بجانب لونغفيرو حتى قال هذا الأخير: لياريسيوم، صحيح أنني جد مشوّش، لكن أفكارى المتشابكة كلها متناغمة على نسق بديع جدا!. الأوهام تتربّص بي، لكنني على يقين تام بأني الآن لا أعيش وهما وأظن أنه يمكننا أن نبدأ، لنبدأ إذن.

رفع لونغفيرو رأسه، وأزاح خصلات شعره التي كانت تتدلى على وجهه، ثم التفت إلى لياريسيوم قائلا: ماذا هناك حتى جعلتني أغادر كوكبي الصغير الجميل وآتي إلى هنا؟

سَلَّم لياريسيام مخطوطة إلى لونغفيرو ثم قال: رسالة من نيميسول، تقول أنها مشتاقة إليك، وتتوق لرؤيتك، وتعتقد أنّ الوقت قد حان لتبقى بقربها، وتبقى بقربك. ابتسم لونغفيرو ثم أمسك بالمخطوطة وضمها إلى صدره. قال في سره: طائري الحبيب مجنون، يشتاق وهو معي في كل لحظة!. سرعان ما نظر إلى لياريسيام قائلاً: نيميسول اشتاقت إليّ، ماذا عنك؟. قال لياريسيام: من البديهي أنني اشتقت إليك يا بني، لكن هناك ما هو أهم من الاشتياق. سادت فترة وجيزة من الصمت ثم تابع كلامه: ألا تعتقد أنه يجب إعادة النظر فيما فعلته؟

ابتسم لونغفيرو ابتسامة خفيفة ثم قال بكلّ تواضع: تعلم أي من عالم آخر! قال لياريسيام: لا شكوك، أقصد أن هذا من المسلّمات، لكن هلا شرحت لي كيف تمكنت من فعل ذلك يا بني؟

أجاب لونغفيرو: كلنا سوف نرحل من هذه الحياة، لكن لكل شخص طريقته في الرحيل، لم أكن أدري إذا ما كنت أعيش أوهاما سوداء أم أحلاما وردية، لكن نظرا إلى أحلامي المجنونة، النيرة منها والسوداء على حدّ سواء، كان يجب أن أنشأ في ظل فكرة مجنونة وقد كنت تكفّلت بالأمر مذ كنت طفلا صغيرا. كنت ألعب مع الأطفال، نمرح هنا وهناك، فجأة أصرخ بأعلى صوتي حتى أشعر بأن حبالى الصوتية ستنتقطع... صرخ لونغفيرو بأعلى صوته جاعلا الصدى يتردد حولهما: لونغفيرو، تعال إلى هنا... هنا... هنا. أخرج نفسا ثم تابع يقول: كان الأطفال يتساءلون، ماذا يفعل بندائه لنفسه؟. لم يكونوا يفهمون، كنت أصدمهم. أما أنا فكنت أذهب إلى المرأة و أقول: ضع يديك خلف ظهرك وأنصت إلي جيدا.

كنت متيقنا أنني لا أحدث نفسي إنما ذلك الصبي خلف المرأة هو من كان يكلمني، وقد كنت أنظر إليه، لا إلى نفسي!. كنت أصغي إليه لا إلى صوتي!. الحقيقة أن ذلك

الصبي نفسه هو من كان يناديني!

كنت أضع يدي خلف ظهري مباشرة ثم أنظر إلى ذلك الطفل القابع خلف المرأة بعيون تملأها البراءة... أجل، البراءة... بعدها أقول:

إذا أردت تحقيق شيء كبير، يكفي أن تكون متواضعا وحولك أناس يقولون أنك تستطيع، أو أن تكون مغرورا و حولك أناس يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت - تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، فيجب أن تكون متواضعا بين الناس ومغرورا مع نفسك. هنا بالذات حصلت المشكلة في كوني أجمع بين المتناقضات، أنا بريء لكنني جعلت نفسي تنشأ على أن التناقض شيء جد عادي، التواضع والغرور، متضادان نشأت عليهما، ماذا سأفعل؟. التناقض، قد يكون مفتاح التوازن و قد يكون مفتاح الجنون، لكن في حالتي، هو مفتاح لكليهما.

تابع لونغفيرو كلامه: لذلك يا لياريسيوم، منذ سنوات طفولتي الأولى وجملة واحدة تتردد في عقلي، أثناء وعيي وفي أحلامي، ألا وهي تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته... شكّلت هذه الجملة هوسا لا يمكن تخطّيه، حدوث عكسها صار هاجسا يقلقني وحاولت أخفيه، لذلك نادرا ما كنت شخصا جدّا في عالمي الواقعي، في أغلب الأوقات كنت غير مباليّ البتّة، لكنني كنت جدّا كل الجدّ في عالم الأحلام... صمت لوهلة ثم قال: أجل، كنت جدّا... وهذا في كل لحظة وكلّ نفس.

بعد سنين من الدعاء الصادق و الصبر الجميل، بعد سنين من العمل الجبار والمؤثر، وفي صمت مطبق، ماذا جنيت؟. عدت إلى تلك المرأة، لم أنظر إلى نفسي إنما نظرت إلى ذلك الصبي الصغير. شعرت كأني عدت بالزمن إلى سنوات طفولتي، أصغيت لذلك الصبي - لونغفيرو الصغير وهو يقول: إذا أردت تحقيق شيء كبير، يكفي أن تكون



متواضعا وحولك أناس يقولون أنك تستطيع، أو أن تكون مغرورا وحولك أناس يقولون لا تستطيع، أما إذا أردت تحقيق ما لا يفهم الناس كيف حققته، فيجب أن تكون متواضعا بين الناس ومغرورا مع نفسك.

حين انتهى ابتسمت له، ثم قلت: أعلم جيدا، أنت أنا، زاد طولك كثيرا، لكنك بقيت نوعا ما قصيرا، تغيرت ملامحك قليلا، حتى أنك أصبحت جميلا، أطلت شعرك الأسود والجميل كثيرا، و تبدو الآن شابا وسيما، لكنك لم تضع أي استثناء، لذلك لم يكن لي الحق أبدا في وضع أي استثناءات. أتذكر جيدا عندما تلاشت ابتسامتي و خفق قلبي بشدة وضاق نفسي في لحظة خاطفة، ثم بقبضة محكمة من يدي كسرت المرأة بقوة وقلت: اصمت الآن يا لونغفيرو، اصمت، فحتى أنت لن تفهم!

لا أحد فهم طبيعة الاضطراب الذي أعانيه، هذا الأمر يمزقني من الداخل، يعذب روحي. أجل، أنا والشخص الذي كان خلف المرأة، شخص واحد، لكن من منهما أنا!... أقصد من هو لونغفيرو! أنا دمّرت الشخص الذي كان خلف المرأة، ودمّرت نفسي بعمل مرهق، وهنا بالذات بدأ الارتباك يحدث، أيقنت أن مرضي يتلخص في عدم قدرتي على إدراك ذاتي، صحيح أنني قد فقدت كينونتي في عوالم حي... لكن لا أعتقد أن هذا هو السبب وراء عدم قدرتي على إدراك ذاتي...

قال لياريسيام: لم أفهم غرورك مع نفسك، لا زالت تحيرني طبيعة اضطرابك، لكن لونغفيرو بنيّ، ألا تتمنى لو أنك دمّرت ما سرقته من تلك الجماعة؟  
ابتسم لونغفيرو قائلا: أولا، أنا لم أسرقه، إنما أخذته، معاذ الله أن يكون أخذ الأسود الجميل من جماعة السرّ الأسود سرقة، الحمد لله أيّ غيّرت الشرّ بيد مستقيمة، ثابتة وراسخة.

ثانيا، لا تحاول فهم كل شيء، لا تتصرف وكأنك لا تعرفني، تعلم يقينا أني كنت

أحلّ مشاكلي بإيجاد مشاكل أكبر من المشاكل التي لديّ وليس بإيجاد حلول مناسبة.

- لا تقلق، لن ألوّمك وقد بدأت أظن ما يظنه جميع الناس وهو أنك مجنون!

قال لونغفيرو: كذلك ظنوا أن كل ما أحقّقه يتحقّق لأنّ القدر يوافق رغباتي، لكن الحقيقة غير ذلك، الحقيقة هي أن الله يستجيب دعواتي، صار كل شيء أفعله يتجاوز قدراتي، عرفوا قناعاتي، لكن لا أحد منهم عرف جوهر ذاتي، صار الجميع مشككا في اعترافاتي، صار الجنون عذرا ليفسروا قناعاتي، عجزت الكواكب السيارة عن رؤية مداراتي، صارت روحي متيقنة من اعتقاداتي، وحلقت في أكوان لا تعلم شيئا عن انتماءاتي، حتى صرت فلكا سابجا فيها جاهلا مسارتي.

تابع: والآن فلنعد إلى موضوعنا، بالتحديد إلى ما أخذته. تعرف الكثير من الأشياء، لكن الكثير من الأشياء تجهلها يا لياريسيام، سوف أخبرك بعضا منها الآن. كان يجب أن آخذه منهم و لولا طبيعتي لما أخذته.

في كثير من الأحيان أتساءل كيف استطعتُ إتمام كل ما تعلق بما أخذته، فأنا لم أستطع أن أتمّ أي شيء في حياتي، كل الأشياء التي بدأتها تركتها ناقصة. صمت لوهلة ثم تابع: أظن أن هذا هو الشيء الوحيد الذي أكملته.

- أجل، تركت الكثير من الأشياء التي بدأتها ناقصة، وذلك لم يكن راجعا لعجزك عن إتمام الأشياء، إنما يعود للملل الذي كنت تشعر به ما إن تباشر العمل عليها، رغم ذلك إلا أنك كنت تتركها ناقصة بطريقة جميلة.

- ذكرتني بكلماته... اسقِ حياة الويل حتى ترى أحلام قلبك تخرق البعدا، عِش حياة تُربّجى لا تستطيع لها الدنا سردا، ارقّ العلا، للنجم كن دائما ندّا، أحلامك اجعلها لوحة تنشُد المجد... الذكرى قاسية لذلك فلنعد لموضوعنا.

بالنظر إلى العدد الهائل مما أنت تعرفه، فكرت أن أصنع شيئا أسودا وجميلا في نفس

الوقت، لكن سمعت أن هناك من صنع شيئاً أسوداً وجميلاً، حين عرفت دوره أيقنتُ أن ذلك مستحيل، وأن ما قيل عنه مجرد كذبة، لكنني قررت أن آخذ أسودهم الجميل رغم أن ما قيل عنه شيء مستحيل.

- أصريتُ عليك أن تدمره يا بني ولا أفهم سبب تمسّكك بعدم التخلي عنه وتدميره رغم اقتناعك بأن ما قيل عنه أمر مستحيل؟

- ما يهمّ هو أنني أخذته وانتهى، فكّرت كيف أغير الفكرة بطريقة بديعة، أي تغييرها مع المحافظة على جوهرها، حينها اخترت العزلة وبدأت، عندما لم أكن أنام ليلاً، كنت تظن أنني أعاني من الأرق... لن أنكر أنني أعاني من أرق حاد، لكن من خلاله صرت منغمساً ولا زلت منغمساً في حبّ المحبوبة، ثمّ بداية العمل على أسودي الجميل.

أخرج لونغفيرو نفساً ثم قال: ليباريسيام، شكراً لكم، أنت والباقون لأنكم تملكون وتحفظون الأسرار التي من شأنها أن توصل إليه، خبأته وهذا لا يعني أنني أريد ممن أخذ منهم أن يبحثوا عنه ليستعيدوه، لا، أبداً، لكن أتمنى أن يرى أحد الطيبين ما صنعت وليس ما أخذت، فالعبقريّة تكمن في طريقة الوصول إليه ومن ثمّ عدم الحصول عليه .

قال لونغفيرو: لا زلتُ شاباً لكن كل ما أفكر فيه هو الموت، صار يملأ أفكاري ونفسي الأسئلة بثُّ أرددها: هل هو آت؟ هل اقترب؟ لا زال بعيداً؟ أين وصل؟ حتى أن شعور الموت مع الساعات الأولى للفجر لا يزال يراودني.

- بني، لا زلت في ريعان شبابك فانزع عنك هذه الأفكار، لتكن آمالك في العيش أكبر دون أن تنسى الموت. نظر ليباريسيام إلى السماء المرصعة بالنجوم ثم قال محاولاً تغيير الموضوع: إن القمر بدر هذه الليلة يا بني، انظر، انظر إليه، أليس جميلاً؟

رفع لونغفيرو رأسه إلى السماء، أخرج نفساً عميقاً ثم قال: لم أشأ أن أخبرك، لكن هناك بعض الخوف يقبع في داخلي هذه الليلة، أشعر كأني نسيت ثغرة صغيرة وأحاول أن

أعرفها دون جدوى.

قام لياريسيام قائلاً: بني، تصبح على خير، غلبني النعاس وعليّ العودة، اطمئن فلا أظن أنك تركت أي ثغرة.

قال لونييرو: للإشارات التي تغيّر قدرنا حياء شديد جدا، فعند اضطراب القلب تظهر بجلاء للروح، لكن معظم الأرواح تضطرب باضطراب القلب، والإشارات التي تغيّر قدرنا إشارات سامية جدا ولديها رفعة نادرة ولا تتجلى أبدا للروح المضطربة... إنّما تتجلى للروح الرفيعة... إنّ القلب هو الصورة، والروح هي المعنى، وحين تتداخل الصورة والمعنى لا يظهر الطريق، بل ينعكس القدر في صفحة الروح، لذلك على الروح أن تكون طاهرة وعلى القلب أن يكون نقياً، حتى يكون اليقين تاماً في الروح، ويكون الثبات حلوا في القلب، وفي هذا الارتباط السامي يكمن اطمئنان النفس... لست مطمئناً...

قال لياريسيام: إن زادت شكوكك ففكر بروية حتى تهتدي إلى هذه الثغرة. تابع: بني، الشغف بتحقيق أحلامنا لا ينسينا آلامنا، فالآلام هي التي تلهب شغفنا بتحقيقها... وإذا انقذنا لشغفنا فسوف يدمرنا... تذكر هذا جيداً.

ابتسم لونييرو ثم قال: بالنسبة للحالمين، فالدمار آت لا محالة... الشغف يسجننا، وهو لا يحررنا إلا إذا تخلّينا نحن عن أحلامنا، وإذا تخلّينا عن أحلامنا، ففي تلك اللحظة ندمّر أنفسنا... لذلك يجب أن يدمرنا شغفنا حتى لا ندمر أنفسنا، لكن الشغف عندما يدمرنا، فهو يعطينا عزاء حلوا... إنّ تحقيقنا للأحلام... نعيش مدمرين، لكن في ذلك الدمار الهائل توجد سعادة ولو أنّها تبقى صامتة.

تابع: حسناً، أنصت إليّ، إن حدث وغادرت الحياة فاحرصوا على أن تبقى الأسرار معكم، كشفها ليس سهلاً أبداً، إياك أن تنسى أنّها مجهود سنين من العزلة، وما يقبع خلفها هو أسودى الجميل.

- لا تقلق، سنحافظ عليها ونختار بعناية من يخلفنا للحفاظ عليها بعد موتنا، أتمنى أن أراك بخير في المرة القادمة إن شاء الله.

قال لونغفيرو: في صباح الغد إن شاء الله سنلتقي في هذا المكان، ربّما أكون قد تركتُ ثغرة ما وسيتحتّم عليك أن تعرفها، كما أظن أن المدينة المهجورة لا تزال بعيدة من هنا؟  
أجاب لياريسيوم: أجل، لكن يمكن الوصول إليها يا بنيّ، لذا إن أردت التأمل كما كنت تفعل قبل اعتزالك فإذهب إليها.

قال لونغفيرو: أجل، أعتقد أنني سأذهب إليها.  
استقام لونغفيرو بقامته المتوسطة وجسده النحيل ثم قال: آه و لو ترين إلى أين وصلت معك؟

نظر إلى لياريسيوم بابتسامة تخفي حزنا عميقا ثم قال: أشعر أنني سأموت ولن تتجلى ابتسامتها التي لا زلت أوّمن بها، جاهدت ولم يكتمل حيي... لكنه لم يبقَ حبا من من طرف واحد... ما أقسى هذا الألم لكن يا للإبداع!

قال لياريسيوم: هل لك إذن أن تخبرني عنها؟ كنت أظنّ أنك لست ممّن يحبون وراجعت نفسي حين أخبرتني أن عدم نومك راجع لانغماسك في حب المحبوبة، وعملك المتعلق بأسودك الجميل.

قال لونغفيرو: منّ الله عليّ بها، أفقد الإحساس بذاتي في حضرتها. أحبّ، لكن حيي من نوع آخر، لأن المحبوبة من عالم آخر!

نظر إلى السماء، ابتسم ثم أخذ يقول: لا أدري، لا أدري كيف أتتني فكرة الرحيل في غياب الدوافع، لكنني رحلتُ من هذا العالم وأنا باقي فيه لألاقي وجهها البديع العنيد... لمست كيانها برقة وعدوبة، تلاشيت حتى تتجسد، إنها كوكبتي التي لا تدري شيئا عن شاعريّتي، فهي:

تنساب عبر بحار أشواقى وتلقي مسحة طيفيه  
تنسلُّ من لمسات أفكاري وتعبر ساحة مخفيه  
عبرت مواطنها، بألوان الشذا الفواح قلَّ مسقيه  
أنوارها اخترقت أحاسيس الفؤاد بلمسةٍ سحريه  
في ليلتي انبثقت من الإدراك ترسل نسمة بحريه  
وتسللت آيات حبك يا حدائق باحتي المسكِيه  
فتألقت أعماق إحساسي وشعت ماسي الأبدية  
وتألأت أحلامنا في لوحة ألوانها طيفيه  
في كأس موسمها أرى امتزجت روائح جنة سحريه  
وكان أحلامي لها عند المساء شواطئ ورديه  
ترتاح في أعماق إحساسي وتعبر نسمة صيفيه  
وتراقصت في روضة الوجدان كل فراشة ملكيه  
ببساطة، مثل الربيع إذا يمرَّ بمنزل في قرية ريفيّه  
أو باقة من أقحوان ساحر، تداعبها أيادٍ صبيّه

كان لياريسيم قد ذهب، أما أنا فعدت لأستلقي على العشب الأخضر الناعم أتذكر  
كوخي الصغير الجميل. بقيت هناك لوحدي، خاصة أني أبجل العزلة، هي عالمي الرائع،  
الوحدة أفضل، والحمد لله أن زوجتي نيمايسول المجنونة قد تفهمت وضعي طوال سنوات  
عزلي!

تابع: لا بدّ أن المكان الذي أعيش فيه يشعر بالوحدة الآن، لم أتركه إلا نادرا جدا.  
قبل سنين، تحديدا في اليوم الذي أخذت ما أخذته، اقترح لياريسيام أن أجعل ما  
أخذته يتلاشى، كنت أخبرته أنني سأضيفي عليه لمسة من لمسائي بفرشاتي المميزة.  
توسدت يديّ ثم رفعت إحدى ساقيّ وتركت الأخرى على الأرض. رحت أتأمل  
روعة السماء ومصابيحها دون التفكير بشأن الثغرة التي كنت أشعر أنني تركتها. مضت  
فترة وجيزة و أخفضت بصري لألمح ظل شخص يتجه نحوي مباشرة.  
كان يحمل مشعلا في يده وانسلّ الوهج البرتقالي إلى داخل عينيّ ولم أقم بأية ردة  
فعل، أمعنت النظر فيه. كانت عيناه تلمعان، الشر يتألأ في صفحاتهما.  
في اللحظة التي عرفت أنه من الذين يريدون استعادة ما كنت قد أخذته، عرفت الثغرة  
التي نسيتهها... يا إلهي، أحتاج بعض الوقت الآن، لكن كيف؟  
قمت ثم أسرعت بالركض وأنا أدعو: أرشدني يا إلهي، أرشدني يا إلهي... ماذا سأفعل  
الآن؟...

كان نبض قلبي قد تسارع قبل أن أسرع بالركض، كيف لا وأنا على وشك تدمير كل  
شيء. ركضت تحت نور القمر الذي كان بدرا وظلّ يطاردني.  
صوت في داخلي قال: لونغفيرو، هيا... هيا، قم بالأمر وأنه، هذه فرصتك الوحيدة،  
لو وصلوا إلى حقيقة الأمر فقد تعقد مصيرك... وتُزهِق الكثير من الأرواح.  
قلت أنني سأهدم عبقرتي، تاجي الغالي، زهرة سنين من العزلة في جبل موحش تحت  
سقف كاد أن ينهار فوقي، أكثر من سبعة سنين مضت، حلمي الذي لأجله خاضت  
عينايا الرغبة الملحة في النوم حتى صرت أجهل معاني النوم، لكن بغضّ النظر عن كل  
هذه الأشياء، لا أستطيع تدمير كل شيء، خارت قواي وقدماي لا يمكنهما حملي خارج  
هذا المكان حتى أنكث وعدي وأدمر كل شيء، وكلّ شيء أتركه يذهب هباء... يا إلهي،

ماذا سأفعل؟

كانت أنفاسي تتدافع في كل لحظة للخروج من حلقي، كانت أمواج أفكارني تتلاطم وأنا أبحث عن حل.

اقترب الفجر ودخلت المدينة المهجورة وقد وهنت خطواتي و لم تعد ركبتاي قادرتان على حملي، أرشدني يا إلهي، ماذا سأفعل؟

كانت قدماي تعبر أزقة المدينة المهجورة، أما أفكارني فتعبر ظلال الأوهام، كل فكرة عن إيجاد ملجأ لسد الثغرة كانت مجرد وهم، دغدغت النجوم المتلألئة، تحركت قليلا، ثم نظرت صوب السماء وقلت لنفسني: ماذا فعلت يا لونغفيرو؟ أجبت: قد أكون مخطئا، لكن في غير أبواب السماء، أين أجد العزاء؟ ساحني يا إلهي.

كان جسدي مغمورا في الظلمة الداكنة، لم أستبن طريقا إلا من خلال الأنوار التي كانت تمطرها النجوم اللامعة بعد أن يغازلها القمر، فجأة تداخلت خطواتي بشدة أثناء ركضني، لحظات فقط وسقطت على الأرض بقوة جاثيا على ركبتاي وأخذت أتلفت حولي، لا شيء حولي الآن، لا شيء غير الفراغ...

واجهت صعوبة في السيطرة على تدفق أنفاسي، وكان يجب أن أنسى كل شيء حولي، حتى أجد طريقة لأصلح كل شيء في ظل تلك الفترة الوجيزة، لذلك، نسيت ظرني الذي أنا فيه، نسيت إرهابي، نسيت مطاردي... فجأة وبطريقة ما أحسست بيدك تربت فوق كتفي، وترنمت نغمات صوتك العذبة في خاطري مجددا، أغمضت عيني، أنصتُ إلى لفظ اسمي وهو ينساب عبر شفتيك، بقيت أنصت بطريقة ما لصوتك البديع حولي: لونغفيرو... لونغفيرو... أصغي إليّ، تلامست روحي وروحك، فهيتا، هيتا لست وحدك، لازلت قربك، أنصت فقط لتسمع نغمة صوتي تتردد في جوانب روحك، انظر... انظر فقط حتى ترى طيفي يتراقص في مدى قلبك، لونغفيرو، إنني أنتمي لك، هيتا



استمع... استمع إلى صوتي.

تذكر أنّ حقيقة الإيمان تتجلى في اطمئنان الروح لما تتهيج عواصف الابتلاء، لطالما كان الناس في كلّ زمان ومكان لا يريدون أئمة للخير، بل يريدون مهرّجين يزيّنون الوجه العاري للشرّ، ويدنسون الوجه المستحي للخير، لكن أصحاب النفوس الخبيثة فقط من يحومون حول زهرة الحياة الدنيا ويعتقدون أنّ عبيرها إكسير شبابٍ أبدي، لكنه في الحقيقة مخدّر، يخدر قلب المرء، فتتغلغل الأكاذيب في عقله حتى يخطفه الموت فجأة، لذلك على المرء الحذر من مغريات ومباهج الحياة الأرضية، فمعظم النفوس، حين تبتلى بالحجاب المؤقت الذي يؤجل قليلا إشراق شمس الخير، تستسيغ شمعة الشرّ.

هناك سألت دموعي على وجنتي، هناك تجسدت صورتك أمام عيني... نيمائسول... نيمائسول... ثم أرسلت سلامك الأخير وأنا على وشك الرحيل... مددت يدي حتى ألامس يدك... فجأة استوعبت واقعي من جديد.

أخفضت ذراعي وقلت: بالله، أخبريني كيف حدث الأمر يا نيمائسول... الوحدة كانت جميلة، غير أن وجودك قربي كان أجمل، لم يعد القلب يخفق، إنما أجنحة روحك باتت في داخلي ترفرف.

مسحت دموعي ثم ركّزت على شيء واحد فقط، ألا وهو حماية الأسود الجميل... أقصد أسودي الجميل. مضت لحظات ثم ابتسمت.

تبقت خطوة واحدة، كنت متأكدا منها، ألا وهي أن ليباريسيام سوف يأتي إلى المدينة المهجورة، قد ينقذني وقد أقتل قبل أن يأتي، لكن ما يهمّ هو أن إرثي سوف يبقى ولن أدمر أي شيء.

كنت جاثيا على ركبتاي، تعدّل نبض قلبي، صرت أتنفس بوتيرة عادية، ونظرت إلى السماء بابتسامة، كثيرا ما كنت أقول: ليس السبب أن القدر يوافق رغباتي، الحمد لله

الذي يستجيب دعواتي.

فجأة وقع حد السيف على عنقي. شعرت ببرودة الفولاذ الذي لامس جلدي وسرت في جسدي رعشة خفيفة. أحسست بحدوث جرح طفيف.

قال مطاردي: أخبرني أين خبأت ما أخذته منا يا من قلب هوراكام عقبا على رأس!. جماعتنا كلّها تطالب برأسك وبالأسود الجميل، المنطقة كلها محاصرة، وسيصل الرؤوس الكبار قريباً.

كانت عيناى مثبتة على السماء. كنت أنظر إليها طويلاً من قبل مستشعرا عظمتها، لكن تلك اللحظة كانت لحظة مميزة، كيف لا وأنا على وشك الخروج من هذه الحياة، وأهمّ شيء في هذا الرحيل هو أنه رحيل دون اقتراف خطأ في حقّ نفسي، بقيت أدعو للمغفرة.

قلت: تعرف أنّ بإمكانى محو جميع الحدود، لذلك لا تتفوه بالحماقات، ومن الأفضل لكم أن تنسحبوا، فالنّسك سيأتون عما قريب، ومن الأفضل لك إنهاء الأمر قبل أن تراق الكثير من الدماء.

بدأ الفجر يلقي تباشيره، إنه آخر فجر لي في هذه الحياة، أشرت بسبابتي إلى إحدى النجوم... شعرت أنّها تلامسني بطريقة ما، ثم قلت له بنبرة راض عن نهايته: تلك آخر نجمة أراها في هذه الحياة. كان نورها لا يزال يقاوم لكنني كنت أعلم أنّها سوف تستسلم لضوء النهار، في حين أنني كنت أستسلم للموت.

ألحّ بصوته الخشن مجدداً: أخبرني أين خبأت ما أخذته يا لونغفيرو؟. تابع قائلاً: سأتركك تعيش إن أخبرتني، أعدك بهذا.

ضحكت ضحكة ساخرة ثم قلت: لم تكن المنية أمنية، لكنني كنت أشعر أن منيتي اقتربت وكنت أركض حتى لا... دعك، دعك من الأمر فلن تفهم!

فكرت، سأموت، لكن سأترك عبقرتي النادرة، سيُسقى سرّ لونغفيرو كيمراي بقطرات لامعة من قلوب متلهفة لمعرفة السرّ، سيل من الأفكار في تلك اللحظات كان يتدفق، ليكشف ما خبأته، لا بد من قصة أخرى، هل ستكون هناك قصة تجعله يرى النور؟ هل سيفك لغزي الغامض؟ هل هناك من يصدق حقيقة لونغفيرو أم يصدق أنها مجرد خرافة تناقلتها الأجيال؟... لا أدري لأني سأرحل... أجل، أنا على وشك الرحيل.

من جديد قال مطاردي: إني أسألك للمرة الثالثة، أخبرني أين خبأت ما أخذته؟ ابتسمت ثم قلت دون أن أدير رأسي إليه: لا تعلم أي عنيد، عنادي يتجاوز عناد الطفل الظريف، لن أخبرك. ارتفع السيف و لمع حده. قلت لنفسني: سأموت لا محالة. قال: حقا، كم أنت عنيد؟ لقد ضيّعت فرص نجاتك كلها، للأسف، انتهت لحظات عيشك في هذه الحياة يا لونغفيرو، هيا استعد للموت، واعلم أننا سنستعيد ما أخذته منا، سواء نحن أم خلفائنا.

أرجعت شعري كله إلى الخلف من خلال يدي اليسرى، ثم أدركت رأسي إليه هذه المرة. ابتسمت ابتسامة صادقة وقلت: بالله عليك، لقد قلبت هوراكام بأكملها، لذلك لا تجرّب صبري، صحيح أن قواي خارت تماما، لكن لا تنس أنني مجنون، والمجانين يقلبون الكفة حين ينهار كل شيء!.

في تلك اللحظات، استدركت ثم نظرت صوب السماء، سألت دموعي، قلت في سري: اللهم اغفر لي... اللهم اعف عني... آمين...

لحظات فقط وتلقى لونغفيرو طعنة من الخلف اخترقت قلبه مباشرة، اندفع الدم متدفقا من فمه، ثم سحب قاتله السيف وهو يقطر دما دون رحمة، وما لبث أن سقط لونغفيرو أرضا وهو يشعر بأطرافه ترتجف... كانت أولى القطرات التي يتجرعها من كأس المنية، جاهد حتى يلتقط نفسا جديدا في هذه الحياة، لكن فات الأوان، بقي يلفظ أنفاسه

الأخيرة، وكانت تلك آخر الكلمات في قصة لونفيرو كيمراي.

انحنى قاتل لونفيرو وأسدل أجفان هذا الأخير قائلاً: صحيح أنني طويت صفحات عينيه، لكن لا أعتقد أن هناك من سيكون قادراً على طي صفحات قصته... في الأخير، إنه المجنون لونفيرو كيمراي!

في تلك اللحظات، لمح ذلك الشخص ظل لياريسيام، فانطلق هارباً، واتجه لياريسيام راكضاً نحو جثة لونفيرو.

لم تستأذن الدموع عيون لياريسيام. انهمرت على خديه وسقط جاثياً أمام جثة الشخص الذي قضى معه نصف حياته معتبراً إياه ابنه.

احتضن جثة لونفيرو بين ذراعيه. أخذ يبكي بشدة وهو يقول: لا... ما كان يجب أن أتركك أبداً بعد كل ما قلته يا بني... عدت إليك، لكنني عدت متأخراً. بقي يبكي وحين همّ بحمل الجثة انتبه إلى المخطوطة التي سلمتها له زوجة لونفيرو، وطلبت أن يسلمها إلى هذا الأخير.

قال: لقد كنت معه إلى آخر الأنفاس يا نيماسول، في الأخير هو مجنونها وهي مجنونته!. حين قام بفتح المخطوطة، اندهش قليلاً... قرأ:

اقتربت ساعة الرحيل، فيما يخص الثغرة، لم أكمل أي شيء في حياتي!. جي لم يكتمل... لكنه لم يبقَ حياً من طرف واحد، والشيء الوحيد الذي ظننت أنه اكتمل نسيت فيه ثغرة صغيرة، اجعل ما قمت به يكتمل، سدّ الثغرة فقط، لم أغادر الجبل، سبعة سنين أنستني أنني في مكان ليس لغيري، لقد حجبْتُ كل شيء وإن لم تسدّ الثغرة فسيكتشفون كل شيء ولن يكون هناك أي معنى لإرثي.

لياريسيام، ادع لي. وهناك طلب آخر، ادفني في مكان بعيد، مكان ينتظر وصول جثتي إليه، حتى لا تبكيني يوم تجليها، مكان يليق بالمنسيين، لأكون كطير شريد في روضة

منسية، أو كزهره يبست في جنة سحرية. فيما يخصّ شاهد قبري، لا تنقش اسمي ولا تاريخ ميلادي ولا تاريخ موتي، فقط انقش عليه:

أَمْطِرْ إلهي على قلبي ندى يهواها	واجعلْ رؤى أمنيات الروح في مرساها
صوّرْني يا إله العرش من عدمٍ	فاجعلْ هواها دواء دون أن ألقاها
في كل خاطرة تحضّرُ وساجحة	بالقلب تنساب عبر الروح ما شكواها
جلست أدعو ببابك أنت هو أُملي	أبقي بقلبي وروداً أرفقت أحلاها
أبقي على الحبّ في قلبي وأجنحة	تُبسطُ بليلي تزدُ شوقاً لكي أحيها
تبقى وترقى بأفكاري ومُصباحة	في القلب مُمسية فيه، فما رجواها؟
مولاي أدعوك أن تحفظُ مباحجها	أبصرْتُ صورتها لا حلّ كي أنساها
القلب يشتاق يا ربي وما سُبلي	إلا دعائك وقد صوّرت من أهواها
أشتاق وهي بقربي، كيف لا لأقل:	سبحان ربي فما يسري وما مأواها؟
إن تمطري يا سمائي قطرة فدعي	بالقلب لمستها تنعشُ رؤى دنياها
في كل فكرٍ هنا، أقسمت حاضرةً	أنت السكّن، وابتهاجي والألم، أهواها
أنت انعكاسٌ لأوقات مميّزةٍ	قلبي بأكنافها ذاق الهوى، ناداها
إني أرى شهباً وضاءة انطلقت	إذ كل لحظه تميزت، فمن سوّاها؟
غير البديع الذي قد سنّ آيتها	سبحان ربي الذي للروح قد أجلاها

واختتم الكلام بالجملة التالية: قل لنيمائسول أن لا تبكي، الله اصطفاه لي واصطفاني لها، فجعلتها ترى ما وراء كوكبي.

قال ليباريسيام والدموع لا تزال تنسكب من عيونه: فهمت، فهمت يا بنيّ، سيكون لك ما أردت، لكن أنت أهمّ الآن من سدّ الثغرة.

قال: بتّ أكثر يقينا أنه كان مجنوناً بطريقة ما، فهمتُ شيئاً واحداً وهو أنه تلاشى

كلّيا في سبيل تجسّد محبوبته التي لست أدري ماهيّتها. لكن كيف تقبلت حبيبة قلبه  
نيمايسول هذه الفكرة... لا بدّ أنّها مجنونة مثله تماما!  
تابع: ترك المنزل، وآثر الوحدة على العودة، لكنني أسأل نفسي سؤالاً واحداً: هل  
كان مصاباً بجنون العظمة؟  
أخرج نفساً عميقاً ثم قال: لأنه إن لم يكن كذلك، فمفهوم العبقرية قبل لونغفيرو  
سيختلف عن مفهومها بعد لونغفيرو!

## الفصل الأول: هدية غامضة

" قيمة الأشياء لا تكمن في الوقت الذي تظله، لكن في الشدة مع ما تحدثه. لذلك هناك لحظات

لا تُنسى وأشخاص استثنائيون! "

فرناندو بيسوا

الآن ... 1970 بعد ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

مكان رائع، يفوق في روعته روعة العلاقة بين الأم وابنها، مكان هادئ يضاهي في هدوئه هدوء المشاعر الصادقة، وآيات جماله المتداخلة فاقت تداخل أنفاس الحياة، فيوقظ الأحاسيس الجياشة للإنسان حتى وإن كانت نامت سنيها.

مكان قلما تلتقي مثله، ففيه تأسر الأبصار وتحتمي في سماحته القلوب وتبسط الروح أجنحتها لتنعم بالسكينة وتغرق في روعته، لاتعبر عنه الكلمات، ولا تستطيع أن تعكس جماله الخلاب فرشاة الرسام، فما إن يبدأ برسمه حتى تجد كأن الألوان تفقد زينتها ولا تريد أن تمتزج إلا مع هذا المكان.

كان مكانا بعيدا عن أنظار الناس، لا ينتظر زائرا يعكر صفو هدوئه وإنما ينتظر شاردة أو ضائعا ليحتضنه في لحظة يأسه ويعيد إليه بريق الأمل ليشع في عينيه من جديد، وبذلك يكون قد أبدله لباس الحزن البالي من شدة الألم حلة باهية من حلل الفرح السرور. لم يكن الصمت مخيما على هذا المكان فقد كانت العصفير تبهجه بزقزقتها وتطربه الطيور بألحانها أما أشعة الشمس فتقبله إن أشرقت صبحا وتودعه بلمسة ساحرة منها إن حان وقت مغيبها فترسم لوحة أخرى من لوحات الجمال. هذا، وبين أوراق الشجر المتأللة وبتلات الزهور الخجولة هنالك قرية صغيرة بها حوالي عشرين منزلا على الأرجح،

كلها متشابهة.

كانت منازل جميلة ومتواضعة تسحر العين بساطتها وكانت كلها ذات جدران ترابية ملساء ذات أسقف قرميدية. أما أكثر ما يجذب الانتباه فهو ذلك المنزل المعزول نسبيا عن كل المنازل الأخرى التي كانت متقاربة من بعضها، إلا هو فقد كان يبعد عنها بأمّtar. تقع هذه القرية الصغيرة في منطقة جبلية تحتبئ في القمة وراء الأشجار الكثيفة التي تداخلت أغصانها حتى أنك ومن شدة تداخلها تظن كأنها تعصر الهواء فتجد كأنه يفلت من بين أغصانها بصعوبة كبيرة، أو ينزلق فوق الأوراق التي تكسو كل شبر من الأغصان. يُحَيِّلُ للنّاظر من بعيد أنه لا توجد أية نبضات خلف الأشجار سوى نبضات الطبيعة، فالعين لا ترى أي مسلك أو درب يؤدي إلى القمة، فتراه ينظر هنا وهناك ثم يعود أدراجه لكن الواقع غير ذلك، هناك درب ضيق ينسل عبر تلك الأشجار ليبقى يتعرج يمينا وشمالا حتى تحس كأنك مجرد ورقة على صفحة مياه عذبة تسيرك التيارات المائية أينما شاءت، حتى إذا ظننت أنك تسير إلى مكان لا وجود فيه لمعنى الحياة وجدت تلك القرية فاتحة ذراعيها مرحبة بوصولك.

لم يكن ذلك الدرب دربا عاديا فقد كان يشق غابة عظيمة تضم إليها كل تلك الأشجار، من أشجار السرو والدردار والكستناء وما إلى غير ذلك من الأشجار التي هي غاية في الارتفاع، درب ترابي ضيق يكاد يكون مخفيا، تحفه الأشجار من الجانبين وأغصانها الجدد متشابكة عند أعناقها تحجب السماء من رؤيته أما الشمس فتحييه في كل إشراق باختراق أشعتها لتلك الفجوات التي تبقى رغم ذلك التشابك. وفي الجهة الشمالية لهذه القرية وحين تبدأ الأرض بالارتفاع قليلا يتجلى سياج حديدي يمتد على حدود الغابة حتى لا يتجرأ صغار هذه القرية على اقتحامها.

لن تصل الأقدام إلى هذه القرية إلا إن اقتربت من اليأس بعد مسير طويل حتى تشعر



كأن هاته القرية تبتعد عنك كلما شعرت أنك اقتربت منها، وكلما دقت ساعة ارتياحك من تعب هذا المسير الطويل الذي يستولي على الأنفاس، تجد كأن الطريق يزداد طولاً لا غير. ومن المستحيل أن تصل دون أن تبحث عن قطرة ماء، حتى إذا سألت أي شخص هناك سيدلك على منبع جوفي لتروي ظمأك بمياهه العذبة، لكن كرم السكان سيمنعك من الذهاب إليه.

بالعودة لذلك المنزل المعزول، لم يكن واسعاً كالبحر، ولم يكن ضيقاً كالقبر، ليس بالكبير ولا بالصغير بل متوسط، له باب خشبية ذات لون بني ناعمة الملمس وجدران ترايبية متينة، أما سقفه فكان مغطى بقرميد أخضر تستطيع أن تفرق بينه وبين خضرة الطبيعة البديعة المحيطة به، وأمامه حديقة صغيرة تربتها تمسك البراعم من أن تنزعها مداعبة النسيم الهادئ بين الفينة والأخرى.

أما في الباحة الخلفية لهذا المنزل، فهناك خم لبضعة دجاجات وإسطبل لبضعة خراف، وخمسة أبقار، واحدة منهم سوداء، والأربع الأخرى كانت بيضاء يتخللها بعض السواد، وكذلك إسطبل كبير لتسعة أحصنة.

في هذا المنزل المتواضع تعيش أم اسمها إيمي، يُرجح أن زوجها قد توفي قبل خمسة سنين تاركاً إياها مع فتاة في سن السادسة عشر اسمها إيستارا.

كانت إيمي امرأة بيضاء البشرة في العقد الثالث، معتدلة الهيئة وتكاد تكون نحيلة، ترتدي تنورة طويلة فضفاضة وقميصاً أسفل الركبتين، أما إيستارا فلم تكن تشبه أمها في أي من الصفات السابقة.

كانت فتاة جميلة في السادسة عشر، ذات بشرة بيضاء ناعمة وعينان زرقاوتين كزرق ماء البحر العذب تكلمان الناظر إليهما، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، تنطق البراءة في محياها وتعايرها، لو حاولت تخيلها عجزت، لو رأيتهما مرارا وتكرارا وحاولت تذكر وجهها

البديع نسيت، وكانت أشهر جملة في القرية عن إيستارا هي: الفتاة التي لو كان لها توأم حقيقي لكانت إيستارا الأجمل!

كانت تنمّ عن ذكاء وموهبة تناسب بين ابتساماتها الآسرة، وضحكاتهما الساحرة، ولطالما كانت تستمتع بالذهاب في غالب الأحيان إلى بيت مرضعتها باروانا التي كانت تعدّها إيستارا أما ثانية لها، وترتدي لباسا يشبه لباس أمها لكن على مقاسها. كانت المدرسة بعيدة جدا فلم يستطع صغار هذه القرية أن يرتادوا المدرسة، لكن هذا لم يمنعهم من التعلم فقد كانوا يدرسون في مدرسة صغيرة تعاون الآباء على بنائها بالقرب من منازلهم.

كان هنالك ثلاثة معلمين، رجل وامرأتان، الرجل اسمه غايد ويكون عم إيستارا ولديه ابن يظل يعاقبه، ببساطة لأن ابنه هذا لديه طرق في المزاح تجرّ لضربه مرارا وتكرارا، لكنه أحيانا يكون مهذبا ويدعى كونايشي، أما المعلمتان فهما مينال، العمّة، وإيمي والدّة إيستارا.

كانت هنالك أربعة مواد، المادة الأولى هي المعاملة والأخلاق والمعلم المشرف هو غايد، والمادة الثانية هي اللغات وتشمل كلّا من اللغة العربية واللغة الجاويّة، والمعلم المشرف كذلك غايد. أما المادة الثالثة فهي الرياضيات، والمعلمة المشرفة هي إيمي، المادة الرابعة هي التاريخ والأساطير وتشرف عليها مينال. أما الدراسة فتكون أربعة أيام في الأسبوع وهي أيام السبت والأحد، الثلاثاء والأربعاء، يوم كامل للمعاملة والأخلاق، وهو يوم السبت، والفترة الصباحية بالنسبة لكل من المواد المتبقية، فنصف الفترة الصباحية بالأحد مخصصة للغة العربية والنصف الثاني للغة الجاوية، الرياضيات بالثلاثاء، والتاريخ القديم والأساطير بالأربعاء.

كان كل الصغار في هاته القرية أصدقاء بحكم المكان الذي يعيشون فيه وقلة المنازل وكانوا شغوفين جدا باللعب فإذا انتهى الدوام عادوا إلى المنزل لتناول الغداء وبعدها يخرجون مسرعين للعب، ليجدوا إيستارا في انتظارهم حتى يغرقوا في الحيرة، متى أنهت غداءها؟ و أحيانا كانوا يشكون في أنها أنهت طعامها حقا.

أما إيستارا، فكانت تلعب معهم لفترة قصيرة، بعدها تذهب صوب الغابة وتبقى تسير بجانب السياج، ليس لأنها تحبذ المشي لوحدها، بل أملا في إيجاد منفذ يساعدها على دخول الغابة، وعندما ينفذ الأمل تعود لتلعب مع الأطفال حتى تنذرهم الشمس بأنها عما قريب ستغرب.

حتى إذا غربت الشمس كان الكل في منزله يرتاح قليلا من تعب اللعب وبعد هذا يجتمع وعائلته على مائدة العشاء تحت نور الشموع البرتقالي، حتى إذا انتهى العشاء خلد الجميع إلى النوم في انتظار ما يسفر عنه اليوم الموالي.

أما إيستارا فكانت تعود للمنزل، وتدخل الخراف والدجاج مع أمها التي كانت تعتني بالحيوانات في الوقت الذي تكون فيه ابنتها غارقة في اللعب مع أقرانها، وبعدها تدخل إيستارا إلى البيت وتوقد الشموع، أما إيبي فتدخل بعد الانتهاء من غلق الإسطبل لتجد البيت يشع بنور الشموع. بعدها تحضر إيبي العشاء بمساعدة بسيطة من إيستارا طبعاً، حتى إذا انتهتا من تناول العشاء جلستا مع كأسين من الشاي المحلى بالعسل تتبادلان أطراف الحديث أو تحكي إيبي قصصا لابنتها التي لم تكن تريد النوم حتى تقول لها أمها اذهبي للنوم، فتقبلها وتذهب إلى فراشها لتنام مباشرة، وأحيانا تشاكس أمها قليلا قبل الذهاب للنوم.

كانت إيستارا تستيقظ قبل الفجر مع أمها فتخرج الدجاجات وتطعمهم أما أمها إيبي فتهتم بالخراف والأبقار وبعد الانتهاء تعودان، فتعد إيبي فطور الصباح ثم تذهب

باتجاه المدرسة لتدريس الأطفال، أما إيستارا فتذهب مع صديقتها المقربة التي تدعى ريتومي. أما في فصل الشتاء والخريف فيتغير أسلوب العيش في هاته القرية قليلا، فتصبح الدراسة يومين فقط، السبت والأربعاء وتقتصر على مادتين فقط، المعاملة والأخلاق واللغة العربية، وفي كل من اليومين يدرسون نصف الفترة المسائية، أما الأغنام فتضطر لأن تألف الإسطبل والاكتفاء بالعلف الذي كان يدخر في فصل الصيف، عيش بسيط هنيئ تجلت فيه كل معاني الحياة السعيدة.

كانت ريتومي فتاة في طول إيستارا، مولعة بالأدب والأشعار، يبضء البشرة، بهية الطلعة وترتدي لباسا يشبه لباس إيستارا. كانت والدته ريتومي تدعى مانفيت، وأبوها يدعى جورفين وكانت عائلة ريتومي هي العائلة الوحيدة التي لا تنتمي لأسرة جايكوي الذين يعدون السكان الأصليين لهاته القرية منذ عقود، قرية هاسماي، أما كنية ريتومي فكانت بيسارمي، وكانوا ينحدرون من قرية أخرى.

كانت إيستارا و ريتومي تقضيان معظم الوقت مع بعضهما البعض منذ نعومة أظفارهما وتعلقت كل واحدة بالأخرى تعلقا شديدا لكن هذا لم يمنع الاثنين من اللعب والمرح مع باقي الأطفال. وفي أحد الأيام المشمسة كانت إيبي جالسة خارج البيت تستمتع بدفء الشمس وما إن لمحتها عيون إيستارا الزرقاوتين البديعتين من النافذة حتى قالت هاته الأخيرة بصوت خفيف: ماذا تفعلين عندك يا أمي؟

أجابت إيبي: ماذا أفعل؟ إني أستمتع بدفء الشمس هنا، تعالي إلى هنا أنت كذلك.

أجابت إيستارا: آتية يا أمي، لكن انتظري لحظات قليلة.

ذهبت إيستارا إلى غرفة أمها وقامت بفتح خزانة الثياب ثم قامت بإخراج وشاح أحمر اللون وأعادت غلق باب الخزانة واتجهت إلى أمها. قالت: إليك يا أمي هذا الوشاح الأحمر لأنني سئمت من تباهي اللون الأخضر حولنا.

- ماذا دهاك يا إيستارا؟. قلت لك أني أستمتع بأشعة الشمس الدافئة وأحضرت لي وشاحا أضعه حول عنقي كأننا في فصل الخريف أو الشتاء، نحن في أواخر الصيف فقط، ضعي الوشاح جانبا واجلسي بقربي.

- لم أكن أعلم أن الفصول هي من تحكم إدخال السعادة على القلوب، ظننت أن كل شيء يُسعد نفعله، بغض النظر عن أي شيء آخر؟

- حسنا، اجلسي، اجلسي سأضعه حول عنقي، لكن إيستارا قالت: انتظري يا أمي سأقوم بوضعه لتصبحي طائرا ذو عنق أحمر.

قالت إيمي: وافقت على وضعه لكن لفترة قصيرة ولا تقولي أية كلمة أخرى. جلست إيستارا بجانب أمها وهما تواجهان مشهد الطبيعة الخضراء والأشجار المصطفة تلوح في الأفق أمام أعينهما، ولم تستطع الأشجار خفض ناظرها عن جمال إيستارا، وكذلك إيستارا التي كان نظرها موجها نحو الأشجار لكن دون أن تنتبه إلى أن الأشجار غارقة في النظر إلى محياها.

كانتا صامتين إلى أن قالت إيستارا: أشعر يا أمي وكأن عيوننا ما تراقبنا عن كذب، لكنني لست متأكدة. ردّت إيمي: أنا كذلك أشعر بأن الطبيعة حولنا تراقب والعصافير فوقنا تراقب، ثم نزعت الوشاح الذي لفته إيستارا حول عنقها وقالت: ضعي هذا على وجهك ولن تشعري بأية عين حولك تراقب.

ما إن غطت إيستارا وجهها البديع بالوشاح حتى ارتفع. قالت: هذا أنت يا ريتو، اجلسي معنا فدفء الشمس أكاد أخجله.

قامت إيمي وقالت: حسنا، ابقيا هنا ريثما أحضر لكم بعضا من الفطائر اللذيذة. لم يمضِ الكثير من الوقت حتى أتت إيمي بطبق من الفطائر المحلاة بالعسل، و قالت مخاطبة ريتومي: تفضلي يا ابنتي.

أمسكت ريتومي بالطبق ثم تربّعت في مواجهة إيستارا، أما إيمي فقالت: الآن، سأذهب للاعتناء بأغنامي ودجاجاتي حتى أتي اشتقت إليهم، أما ريتومي فبدأت بالحديث عن الأدب فقالت إيستارا: نصيحة لك يا ريتومي، دعك من قراءة الأشعار والقصص فهي لا تنفعك وفوق ذلك هي سهلة ومملة، أضيفي إلى أن الشعر سهل حتى وإن كان موزوناً، والقصة سهلة حتى وإن كانت طويلة جداً. قالت:

ما أجمل الأفراح والأشجار      ما أجمل البستان والأطيّار

ثم نظرت إلى ريتومي وقالت: إنه موزون ورائع... لو قطّعت كما علمنا عمي غايد لوجدت أنه مكتوب بالبحر الكامل.

قالت ريتومي: لكنه دون معنى، إنه ليس بيت شعر، إنه مهزلة، فالشعر سحر نابض بالمحسنات البديعية، إنه سحر المجازات والصور البيانية، فنجد نجم الاستعارة أول ما يبرز، فهي أشدّ الصور البيانية لمعاناً وإدهاشاً، تليها الكناية والمجاز المرسل.

قالت إيستارا بنبرة صوت عذبة: اطلبي مني أن أبتسم ابتسامة خفيفة فقط، سترين الشعر والسحر في آن، أعدك!

تابع الجمال يقول: لقد خرب الأدب عقلك يا ريتومي ولم يترك ذرة تصلح وأتمنى لك الشفاء والاقتناع بكلامي، أما ريتومي فقالت: على أية حال، لقد جلبت لك هدية، وقامت بإخراج دفتر جميل من حقيبتها قائلة: تفضلي هذا الدفتر الجميل، إنه هدية من أبي وبدوري أهديه لك، بالرغم من أن الهدية لا تهدى، إذا أردت كتابة سطور مملة فاكثبي فيه، ثم اتركه لي لأيام، ليس لأقرأ بل لأضحك.

أمسكت إيستارا بالدفتر وقالت: دون شك سيمتلاً بشاعرية ساحرة!

انتهى اليوم عادياً، لكن تلك الليلة لم تكن ليلة عادية، فبعد الانتهاء من العشاء غرقت إيمي في غسل الصحون وإعداد الشاي، أما إيستارا فكانت في ردهة البيت جالسة

على حصيرة ناعمة متكئة على إحدى الوسائد المسندة على الجدار وبين أصابعها ريشة و زجاجة حبر أمامها، والدفتر الذي أهده لها ريتومي غارق في النظر إليها.

قالت في سرها: كانت ريتو تشير إلى أن إيستارا ليست عبقرية، لكنني أعلم أنه حتى إيستارا جايكوي نفسها لا يمكن لها أن تكون أفضل مني، وسرعان ما بدأ الدفتر ينبض بالحروف التي كانت تتراقص في مخيلة إيستارا، وما إن أقبلت إليّي حاملة كأسين من الشاي حتى قالت إيستارا: تعالي يا حبيبة قلبي لتري إبداع ابتك.

وضعت إليّي الصينية من يدها على مائدة خشبية صغيرة، وأمسكت الدفتر، ثم بدأت تقرأ:

وانسلت الألوان حين تالأأت ثناياك

ألقت ورود البشر غامرة مُحَيَّاك	عبرت أثر الشمس راسمة حناياك
وتغلغلت روحي بروحك ليلة	فتلامست روحان، كم تبهج تحاياك؟
سحرية اخترقت مدى الآفاق في	نور يناغمها، أخفي سجاياك
في بحر أحلامي فراشات الهوى رقصت	تعاير الفرح تغمز مُحَيَّاك
لم أستطع إمساك قلبي وانجرف	يتبع ظلال الودّ ثم يضيء نجواك
أنثر براعم لهفتي في باحتك	والشوق يأسرني، هنا تبسم ثناياك
بالأرجواني قد أسمت لطائفك	ثم ارتأيتك طائرا، تخفق جناحاك
ومسحت من عينك بواقى دمعة	قد حلقت لجرة تجهل نواياك
فيض من الآيات فيك تدفقت	والروح تلمس شمس حب من مراياك
سقت الندى كي أمتزج في كأس من	أسرت سجاياها فؤادي، ما نواياك؟

- والآن ما رأيك يا أمي؟ أأست بمبدعة؟ تكلمي ولا تخجليني بصمتك المريب الذي يشعري بأني سألتقى توبيخ كلماتك الدافئة.

- يا لها من براءة عاشقة، إنّ الشّعْر داء، من الصعب جدا الشفاء منه، والأصعب هو أن لا تصاب به. قالت: انتظري قليلا، سأعود، فلدي شيء رائع أقدمه لك.

قالت إيستارا: طيري بخفة يا فراشتي، لأني سألّون هذا الدفتر بألوان الحنّاء! ذهبت إيمني إلى إحدى الغرف واتجهت مباشرة نحو الخزانة التي كانت تضع فيها الملابس والعطور وأخرجت قنينة عطر صغيرة وعادت إلى إيستارا التي لم تتحرك من مكانها. ما إن رأت إيستارا أمها تحمل تلك القنينة الصغيرة في يدها حتى قالت: ما تلك يا أمي؟ لا تقولي إنه ترياق يشفي حزن قلبي في بُعد لحظة عنك، ولا تقولي إنه إكسير لحبي لك، حيي لك لن يموت أبدا.

- آه منك يا إيستارا، أحيانا أفكر أنك ستصبحين مجنونة عما قريب.  
- لا تخافي يا أماه، كوني متأكدة من أي لن أصبح مجنونة لأن الجنون هو من سيصاب بي، ولست أنا من ستصاب به!

- لا جدوى من الكلام معك، حسنا، تفضلي قنينة العطر هذه، إنه عطر نادر جدا وكان هدية لي من جدك كيجابير لكنني لم أستعمله أبدا، لذلك هو لك وأرجو أن يعجبك. أمسكت إيستارا القنينة وفتحتها ثم اشمته رائحته، لكن سرعان ما أغلقتها.  
- لم أجد له أية رائحة زكية يا أمي، أتستهزئين بي؟. ابتسمت إيمني قائلة: كيف لك أن تجدي له رائحة وأنا موجودة بقربك، إلا إن كنتِ بالغت كثيرا في مدحك؟

- رائع يا أمي، لكن هل نبالغ في مدح أمهاتنا، بصراحة لا أظن، فنحن نقول ونكتب فقط ما نشعر به داخلنا لا غير، وما الشعر إلا صدق المشاعر والأحاسيس، إلا إن كانت ريتومي غير صادقة؟

ارتشفت إيمني رشفة من كأس الشاي وقالت: لا، لا، معها حق. تابعت: ريتو، يا لها من فتاة، إنها تشبه أمها مانفيت تماما في حبها للقراءة. قالت إيستارا: أرحتني، كنت



لأولئها؁ أما الآن؁ فسأحفظ قنينة العطر هذه كحفظي لاسمك بخواطري لأنها هدية منك؁ أما ريتومي فكانت تقول أن الشعر السحر؁ لذلك سأريها الشعر والسحر في آن.

ابتسمت إيمي؁ في حين قالت إيستارا وقد ارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص بأمها: أمي؁ قلت أن هذا العطر هدية من جدي كيجابير؁ ألم يهدك أية هدايا أخرى؟ فجأة قامت إيمي بنزع قرطي أذنيها؁ وكانا قرطين ذهبيين مرصعين بجوهرتين بديعتين. قالت: هذان القرطان هدية من جدك أيضا؁ سأهديهما لك الآن؁ لكن حافظي عليهما وحاذري أن تضيعيهما.

- لا يا أمي لن آخذهما. أما إيمي فكانت قد ضمت إيستارا إليها؁ وبدأت تنزع في قرطيهما القديمين؁ وهي تقول: لا تناقشي؁ فلدي قرطان آخران يشبهانهما. قالت إيمي: حاذري أن تضيعي القرطين وكذلك العطر؁ إنهما الشيء الوحيد الذي بقي لي من جدك؁ هل فهمت ما أقول؟

- سأحرص يا أمي على ذلك.

صار القرطان في أذني إيستارا؁ وقالت هذه الأخيرة: أمي؁ من أين حصل جدي على هذين القرطين الجميلين؟

- تسألين كثيرا؁ حتى يكاد الرأس ينفجر والصبر يزيد؁ إنهما هدية من صديقه المقرب رايمود؁ ولا تنطقي بأية كلمة أخرى رجاء.

- حسنا؁ أمرك يا أمي.

كان الدفتر الذي كتبت فيه إيستارا أبياتها الأولى لا يزال مفتوحا؁ أغلقته ثم قامت بوضعه جانبا وارتشفت رشفة من كأس الشاي الخاص بها هذه المرة وقالت: ما هذا؁ لم يبرد و لو قليلا؟... كاد يحرق شفتي؁ وأردفت قائلة: أمي؁ متى نذهب لزيارة خالتي؁ اشتقت إليها وإلى العم مالفى وجوساي؁ لقد أطالوا المدة هاته المرة دون زيارتنا؟

ردّت إيمي: نسيت أن أخبرك بأنهم غادروا قريتهم واشتروا منزلا جديدا في قرية أخرى، لا بد أنهم يرتبون في أمور المنزل الجديد وسيأتون لزيارتنا عما قريب إن شاء الله. الآن اذهبي وأطفئي الشموع ونامي.

قالت إيستارا: حاضرة، لكن لدي سؤال يا أمي وهو: لماذا لا تطفئين الشموع في غرفتك إلا بعد حوالي ساعة من ذهابي للنوم، لاحظت هذا مرارا؟

قالت إيمي: إيستارا، إيستارا، لا تكوني فتاة مزعجة، قلت اذهبي، أطفئي الشموع ونامي، فافعلي ما أمرتك بفعله، هيا يا ابنتي.

قالت إيستارا: حسنا، لن أقبلك يا حلوتي!!

ابتسمت إيمي وقالت: حسنا، سأعضك يا بسمتي!

## الفصل الثاني: صولجان، وكتابين

" معنى الحياة هو أن تجد هديتك، الغرض من الحياة هو التخلي عنها. "

بابلو بيكاسو

أجريت الامتحانات النهائية، و كان التصحيح مقررا في الفترة الصباحية ليوم الأحد، وكانت القلوب متباينة بين الشعور بالخوف، والفرح، والسيطرة على المشاعر المرتبكة، حضر الجميع لكن اثنتان كانتا لم تحضرا بعد، هنيهة فقط، قبل أن تدخل ريتومي قائلة: أسفة على التأخر، إيستارا لن تأتي، لأنها تشعر بالإعياء الذي ينتابها عند التصحيح. قالت إيمي: تلك الفتاة، يوما ما سأبرحها ضربا، لم تحضر إلى أي تصحيح طوال سنوات دراستها، ليقاطعها غايد قائلا: دعيها تبقى في المنزل طالما أنها لا تقوى على الحضور يوم التصحيح، وتخاف من الفشل.

هنا قاطعته مينال قائلة: ما هذا الكلام السخيف الذي تتفوه به؟ لا تقوى!... لا، ليباركها الله، إنها دائما تتفوق ولم يتفوق عليها أحد، وقالت لإيمي: نسيثُ إخبارك أنها حضرت عندي تصحيحا، لكن هذا كان منذ سنوات، لا بأس، دعونا نبدأ التصحيح. انتهى التصحيح بنجاح الجميع وأُخبر الأطفال أن هناك مسابقة ستجرى فيما بينهم، والفائز سينال جائزة، فرح الجميع، أما ريتومي فأتجهت صوب منزل إيستارا مباشرة لتجدها تقطف في الزهور، فقالت: كنتِ تشعرين بالإعياء، لماذا خرجت؟ - لذلك أنا أقطف الزهور وأشتم رائحتها، لأستريح، ماذا دهاك يا ريتو؟. قالت ريتومي: لا بأس، لكن احزري من تفوّقت هذه المرة؟

ابتسمت إيستارا ابتسامتها الساحرة وقالت: أنتِ لولا إيستارا جايكوي، لا تحجلي! - يا لك من مغرورة... لكن ماذا أفعل معك؟ أنت صديقتي، رجاء لا تقولي أنك لم

تحضري هذه المرة لأنك كنت تعلمين أنك ستتفوقين، فهذه الجملة الوقحة لا أساس لها من الصحة فالغيب لا يعلمه إلا الله.

- معاذ الله، أنا إنما أقول لك تلك الجملة لأني أعلم أن الله لن يخيّبني، خاصة أني ذكية، هذا كل شيء!

- اصمتي، لا جدوى من الحديث معك. ابتسمت إيستارا وقالت: اذهبي إلى المنزل وعودي لكي نلعب يا صديقتي.

مرّ اليوم ولم تتكلم إليّ مع إيستارا بشأن عدم ذهابها إلى المدرسة، ولنقل أنها تغاضت عن الموضوع لا غير.

مرّت ليلة ذلك اليوم، وفي الغد التقت إيستارا مع ريتومي وقالت: تبقى لنا شهر فقط على انتهاء الدراسة، ثم أردفت: عجيب، غريب، بعد الامتحانات النهائية والنجاح ندرس شهرا إضافيا، لكن هذا أمر رائع، فنحن نستفيد حقا من دروس ومواعظ عمي غايد، ودروس أُمي، كذلك نشعر بالتشويق من أساطير عمتي مينال.

ولما كان اليوم الأخير للدراسة اتجهت كل من إيستارا وصديقتها ريتومي إلى المدرسة وكذلك الأطفال الآخرون. عند الوصول قالت إيستارا لريتومي: هذه آخر الحصص لنا هذه السنة، وهذا اليوم هو آخر يوم للدراسة وسيخرج الجميع بعيون باكية لأن الدراسة ستتوقف لشهرين كاملين.

قالت ريتومي: سأتحسر على القصص والأساطير التي تحكيها لنا عمّتك مينال، حقا إنّها معلمة رائعة جدا.

دخلت الفتاتان وكان جميع الأطفال جالسين فوق الحصائر، إما متربعين، أو يضمون الركب إلى مستوى الصدر. لحظات قليلة ودخلت المعلمة الرائعة. كانت بهمة الطلعة، قصيرة نسبيا، تملك ابتسامة بشوشة وصوتا رقيقا جدا.

ما إن دخلت حتى قالت: السلام على كتاكيتي الصغار، السلام على صيصاني الجميلة، إنكم تشبهون الصيصان عندما تمضي عليها ثلاثة أيام من فقس البيض غير أنها تكون صفراء جميلة، يخالطها أحيانا القليل من السواد أو تكون سوداء، إلا أن صيصاني ذات ألوان زاهية، وما إن أخذت نفسا عميقا حتى قال كونايشي ابن غايد: عمتي... أقصد يا معلمة، الصيصان تنمو لتصبح دجاجا والدجاج حيوان، فماذا تقصدين؟

- آه منك يا ابن أخي، ألا تفهم أنني قلت لكم ذلك بدافع حيي لكم، وبالنسبة إليك، إن فهمتها كذلك فلا أمانع، أتمنى أن تصبح ديكاً، على الأقل ستوقظنا في الصباح الباكر، عوضاً عن كلامك هذا.

قالت: الآن اسمعيني أيتها الصيصان الجميلة. اليوم سأحكي لكم عن الطائر ذو الثلاثة رؤوس، هذا الطائر الأسطوري الذي تجسدت أسطوره في صفحة الزمن، والزمن هنا يعني الزمن الغابر والقديم جداً، طار هذا الطائر وحلق فوق قرينتنا الجميلة الوديعة، لكن صوصتي إيستارا أجمل بما لا أستطيع تقديره، ما يهمّ هو أنه حلق هنا وهو ينظر بعيونه الستة و..... فجأة اتجه جنوباً تاركاً قرينتنا تعيش بسلام وأمان واطمئنان.

قالت إيستارا لريتومي بصوت منخفض يكاد يكون همساً: ألا تظنين أن عمتي تؤلف كل هاته الأساطير الخرافية؟ أظن أنها حكايات كبيرة، خاصة أنها تعرف كيف تفعل هذا، وأجل الحصص هي حصتها، خاصة أنّ الطريقة التي تروي بها القصص، تجعلنا نشعر وكأن خرافتها حقيقة، كذلك هي تحكي بإحساس مرهف.

انتبهت مينال إلى أن إيستارا وريتومي تتحدثان فقالت: صوصان جميلان يتهامسان، على ماذا تتهامسان، تكلماً؟

ردت ريتومي: لا شيء مهم ونحن آسفان. قالت مينال: حسناً، والآن اصمتوا ولا تصدروا أي صوت لأني سأحكي لكم أسطورة الأساطير وتدعى أسطورة نوجاين أورفي و

لونغفيرو كيمراي، أجل، إنه لونغفيرو كيمراي أحد أعظم المجانين على الإطلاق!  
في هذه اللحظة قالت إيستارا: تقصدين أنه أحد أعظم العباقرة على الإطلاق؟  
قالت مينال: للأسف يا ابنتي... أقصد يا نيمائسولة لونغفيرو الصغيرة، أنا أعني ما  
أقول، أحد أعظم المجانين على الإطلاق لأن لا أحد استوعب عبقريته، يُشار إليه بهذا  
المصطلح، إذ أن عبقريته ليس لها تفسير، وبعد سنين من وفاته، لا زالت عبقريته دون  
تصنيف، وفي قاموس العبقرية هو أجنّ العباقرة دون منازع.  
لم يفهم الآخرون ما قالته مينال على وجه التحديد، لكن ريتومي همست لإيستارا  
قائلة: ماذا جرى لك، أين عبقرتك؟

قالت إيستارا بهمس: احترسي من كلامك حتى لا يمحيك لونغفيرو من القصة!  
تابعت مينال تقول: حكاها جدي الأكبر، وعندما أقول لكم جدي الأكبر فهذا  
يعني أكبر الأجداد، وأكبر الأجداد... وبينما كانت مينال تطنب وتطنب في الكلام حتى  
همست ريتومي في أذن إيستارا قائلة: أنا جدٌ متشوقة لسماع ما ستحكيه لنا، لتسمع  
ريتومي: اصمتي يا صوصة، اصمتي، سأحكي لكم أسطورة لن تنسوها، ستذكرونني ما إن  
تذكرتموها، وستذكرونها ما إن تذكّرتوني.

كان الأطفال خاشعين معها، فجأة دخلت إيمي وقالت: هاي مينال، إنه اليوم  
الأخير للدراسة، الكل خرج وأنت لا تزالين هنا مع أساطيرك؟

ردّت مينال بحيرة تملأ تعابير وجهها: لكننا لم نسمع صوت الصيصان سيكون فهم عند  
العطل يخرجون بعيون دامعة وقلوب واجفة وأنين وبكاء يكاد يُكي الجماد لأن الدراسة  
ستتوقف مدة شهرين؟ حقا يحبون الدروس التي نقدمها لهم، هذا لأننا لا نضيع وقتهم بل  
نشغل خيالهم، اجلس أيها الصوص الكبير لتسمع.

قالت إيمي بتعجب: حقا معلمة مجنونة، هيا دعيهم يذهبوا وأكملي قصصك التاريخية

وأساطيرك وخرافاتك العام القادم إن شاء الله.

قالت مينال: كما تشاء أيها الصوص الكبير، والتفتت مجدداً إلى الصغار قائلة: إذن، في العام القادم إن شاء الله يا صيصاني الجميلة سأحكي لكم أسطورة نوجاين أورفي و لونفيرو كيماي التي لا نعلم عنها سوى القليل.

هنا تعالى صوت الأطفال وقالوا بصوت واحد: لا، لا، احكيها لنا الآن فقد تموت ولن نعرفها، وقد نموت ولن نعرفها.

ردت مينال: حينها لن يكون خطأ أي منّا يا صغاري الصغار، فليس خطئي، وليس خطأكم، إنه أمر القدر، الآن تمنوا لي حياة مديدة وعطلة سعيدة!

قالت إيمي: أتصدقين أن وجود لونفيرو كان حقيقة؟. اقتربت مينال من إيمي ثم همست: طبعاً، أخذ ما كان يجب أن يأخذه لطيبته فقط، يقولون أنه ترك قاتله يقتله، مات دون الثلاثين، ما يحيرني هو الإرث الذي خلفه وراءه، هذا ما أجد تصديقه جنونا بحد ذاته، رغم أن لونفيرو كان مجنوناً بطريقة ما وعبقرياً بطريقة تشبه طريقة جنونه. دعينا ننسى الموضوع الآن، الصغار فضوليون وأنا عنيدة جداً.

نظرت مينال إلى الأطفال وقالت: لا تشغلوا رؤوسكم بالتفكير يا صغاري، كلنا نريد رؤية لونفيرو رغم أن ما نعرفه عنه ضئيل جداً، وشعره طويل جداً، ثم التفتت إلى إيمي وقالت: لا بد أنك تخيلت صورته يا إيمي؟

همست إيمي: ها، عندما روى أخوك غايد قصة موت لونفيرو نمت وأنا أراه في أحلامي خاصة أن غايد يروي القصص بطريقة تشبه طريقته.

قالت مينال: أظن أن كل شيء محض خرافات، وأن لونفيرو كان مصاباً بجنون العظمة، كيف يُعقل أن يترك إرثاً عظيماً وهو مات دون الثلاثين؟

همست إيمي لمينال قائلة: سمعت أنه كان عاشقاً، لكن من نوع آخر، وأن زوجته

نيمائسول كانت معه حتى آخر الأنفاس، لم يلتقيا إلا نادرا جدا خاصة أنه يفضل العزلة!  
ردّت مينال بهمس: أعتقدين أن نيمائسول عاقلة، لكنها على الأقل عرفت كيف  
تسجن طائرها الشريد حتى جعلها ترى الوجه البديع والعنيد لمحبوته.  
فجأة قالت: لقد قرأت أشعاره ولم أعرف تلك التي تنساب عبر بحار أشواقه وتنسل  
من لمسات أفكاره، يا له من مجنون، يجعل أحاسيس المرء الدافئة تتراقص، يكاد يصيبي  
بالجنون، لنذهب.

هنا قامت ريتومي من مكانها وقامت بالتصفيق لمينال دون أن تشعر!! نظرت إلى  
الآخرين فرأهم مندهشين من ردة فعلها، فقالت: آسفة، لكن المعلمة مينال تستحق  
التصفيق، على الأقل في نهاية السنة وليس على إيجادها عذرا لعبقرية لونغفيرو عندما قالت  
أنه كان مصابا بجنون العظمة.

قالت إيمي مخاطبة مينال: لا شك أنك تعلمين كل التفاصيل الخاصة بتلك الأسطورة  
المعقدة جدا؟

همست مينال في أذن إيمي وقالت: للأسف، ما أعلمه سطحيّ جدا.  
خرج الأطفال يمشون ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة، ثم خرجت مينال مع إيمي، أما  
إيستارا فخرجت مع ريتومي.

قالت ريتومي: لقد تركتنا متشوقين، أطلبي من أمك أن تطلب منها أن تحكيها لها،  
بذلك تحكيها لنا. أضافت: إنها تعلم الكثير عن التاريخ القديم، لكنني متشوقة لأعلم هذه  
الأسطورة، أمم... إنها عنيدة، لن تحكيها حتى ولو ألحيتُ عليها.

قالت إيستارا: دعك منها، في كثير من الأحيان يشوقونا، وفي الأخير تكون القصة  
بسيطة وجدّ سخيفة، تماما مثل أن أقول لك: سأحكي لك أسطورة النار والخراف، بعدها  
الحل هو أن النار كانت جائعة فطهت الخراف وأكلتها!



فجأة توقفت قائلة: أحيانا تكسر القواعد كلها حتى أشعر أن الضحك في وجهها هو الحل الوحيد والطرء من حصتها هو الحل الأمثل، لكن بغضّ النظر عن أنها عمتي، فهي لا تطرد، هي ظريفة جدا.

قالت ريتومي: ذكريني بأسطورة الطائر ذي الثلاث رؤوس؟. فانفجرت إيستارا ضاحكة ثم قالت: طائر بثلاثة رؤوس مجرد أسطورة سخيصة لأبعد حد، لأنه حينها لن يعلم إلى أين يذهب، في الاتجاه المستقيم أم في الجهة اليمنى أم الجهة اليسرى، لذلك هناك حلان، إما أن يبقى في مكانه، أو يذهب الطائر في اتجاه الرأس الأصغر.

قالت ريتومي: الأكبر قصدك؟. لتقول إيستارا: ألم تسمعي، الأصغر، إذ أن من لديه رأس كبير يجد صعوبة في التفكير مثلك أنت.

قالت ريتومي: مهلا... رأسي ليس كبيرا، اسحي كلامك.

قالت إيستارا: لذلك حافظي على أناقته!

لحظات وتجمدت في مكانها قائلة: عانقيني يا ريتو بشدة، لقد أصبحت عاطفية أكثر في هذه اللحظات.

عانقت ريتومي صديقتها بشدة ثم تابعتا المشي. قالت ريتومي: ذكرتني باليوم الذي وزعت فيه نقاطنا وقالت مينال والبسمة تشع في محياها وعيونها: المتفوقة بأفراق كبيرة وليس بفارق كبير هي إيستارا جايكوي، فأمسكت بالورقة دون أن تبسمي وسألتك لم لم تفرحي فأجبتها لا داعي لأني كنت أعلم، أتعلمين أنك كنت وقحة، تصرفني بتهذيب أكبر، مثلي تماما.

- عندما عجزتِ اعتبرتها وقاحة، والحقيقة أنها حقيقة، وليس لأن ما أعلمه أكثر مما تعلمينه، بل لأني أعلم أن ما أجهله أقل مما تجهلينه.

قالت ريتومي: أنت فيلسوفة!

لحظات وقالت ريتومي: إيستارا، أتعلمين أننا سنذهب إلى القرية التي يقطن بها عمي سيوشي لنقيم هناك، لذلك سنضطر للافتراق عن بعضنا.

انزعجت إيستارا لكنها أخفت انزعاجها وقالت: حسنا، لكنك ستبقين وحدك هناك دون أصدقاء، فابقي هنا معنا ودعي والديك يذهبان، ما رأيك؟

- لا، يجب أن أذهب، هناك صولجان، وأخبرني أبي أني أنا الوحيدة التي يمكنها استخراجها، وجواب السؤال - لماذا أنا بالضبط؟ - لا أعلمه، ولم أشأ أن أسأل والدي.

قالت إيستارا: قبل أن أنسى، مع من ستكونين هناك؟

- هناك ابنة عمي مايريقي، إنها تشبهك نوعا ما، لكنني أتمنى أن تكون قد تغيرت، تكون مخطئة، لكنها تدافع عن نفسها كأنها لم تخطأ. حكيت لها عنك، وهي الآن في العشرين من العمر، أتمنى أن تكون قد نضجت أخيرا.

لحظات فقط قبل أن تقول ريتومي: أما الرحيل فقد تقرر في الغد إن شاء الله.

- يا لمزاحك السخيف؟ أليس لديك شيء آخر سوى هذا الكلام التافه؟

- إنها الحقيقة يا إيستارا، تعلمين أني لا أمزح في مثل هذه الأشياء، وخصوصا معك.

- أفهم من كلامك أنك لا تهتمين لصداقتنا، ستذهبين وتتركين القرية، وكأن شيئا لم

يكن، حسنا اذهبي ولا تعودي، سيكون العيش ممتعا دونك.

- إيستارا تفهمي، فقد وعد أبي أحد أصدقائه أنه سيترك له هذا المنزل، صديقه هذا

فقير وليس له منزل و كان يستأجر، ولديه زوجة وثلاثة أطفال، لذلك لا يمكن لأبي أن

ينكث وعده خاصة أن منزل عمي واسع جدا.

ما إن وصلت ريتومي إلى منزلها حتى تركتها إيستارا قائلة: حسنا، وداعا، فكما ترين،

عليّ متابعة المشي حتى أصل إلى منزلي.

قالت ريتومي: ماذا جرى لك يا إيستارا؟ هل الوداع يكون هكذا، خاصة أنني

أخبرتكَ بأننا سنرحل عن هاته القرية؟

رفعت إيستارا بصرها وبابتسامة ساحرة قالت: أنتم راحلون إلى قرية أخرى فماذا سأفعل غير توديعك، رافقتكم السلامة، فرحت؟

تابعت إيستارا سيرها نحو المنزل وهي ناقمة على صديقتها ولما دخلت المنزل وجدت أمها إيمي قد وصلت لتوها فقبلتها قائلة: أمي، أنا ذاهبة إلى غرفتي كي أنام، أرجوك لا توقظيني، ولم تكن من عادة إيستارا النوم بعد الظهر إلا نادرا.

- لقد حلت العطلة يا إيستارا وأنت تقولين أنك ستذهبين للنوم، هل هناك من خطب ما يا ابنتي؟ قولي لحبيبتك، ماذا جرى لك.

- لا شيء يا أمي، أشعر بأنني متعبة لا غير، ثم أردفت قائلة: تذكرت يا أمي، إذا أتت ريتومي فأخبريها أنني نائمة.

- حسنا يا ابنتي، لكن على الأقل كلي شيئا بعدها نامي. ردت إيستارا: شكرا، لا داعي يا أمي فلست جائعة، أريد فقط أن أنام.

ذهبت إيستارا إلى غرفتها، نزعَت المحفظة الشبه فارغة ثم وضعتها داخل الخزانة، ثم خلدت للنوم مباشرة، وهذا الذي لم تتوقعه إيمي البتة، فقد ذهبت لتتفقدّها و وجدتها بالفعل غارقة في النوم.

بعد حوالي ساعتين أتت ريتومي وفتحت إيمي لها الباب. قبلتها ريتومي وقالت إيمي: تفضلي يا ريتو، سأنادي على إيستارا فقد تركتها نائمة منذ عودتها من الدوام معك. أصيبت ريتومي بالدهشة وقالت: ماذا.. ماذا قلت يا خالة؟ إيستارا تنام في هذا الوقت، لا أكاد أصدق.

- حتى أنا لم أكن لأصدق لو لم أتفقدّها، كانت غارقة في نوم عميق وأخبرتني أنها متعبة لذلك أرادت أن تنام، لكن انتظري، سأحاول إيقاظها.

ذهبت إيمي لتنادي على إيسٲارا الٲي كانت لا تزال نائمة؁ فحاولت إيقاظها؁ لكن دون جدوى؁ لتقول: هيا انهضي يا إيسٲارا؁ لقد أتت ريتومي وهي في انتظارك. تقلبت إيسٲارا على جنبها الآخر وأجابت أمها إيمي بنبرة صوت ناعسة: قولي لها بأني نائمة يا أمي؁ اتركييني أكمل نومي رجاء.

عادت إيمي إلى ريتومي وقالت: اذهبي إليها يا ابنتي وحاولي معها فقد وجدتها نائمة ولم ترد أن تنهض؁ حاولي معها؁ ربما استطعت أن تجعلها تستيقظ. قالت ريتومي: حسنا يا خالة.

اتجهت ريتومي نحو غرفة إيسٲارا؁ فتحت الباب بلطف ثم تقدمت نحو إيسٲارا الٲي كانت لا تزال نائمة وهمست في أذنها قائلة: استيقظي يا إيسٲارا؁ وهيا بنا للعب؁ فنحن لن نذهب إلى أية قرية.

قامت إيسٲارا من فراشها وأخذت تضرب ريتومي بالوسادة وهي تقول: يا لك من مخادعة...

ردت ريتومي: أردت فقط أن أعرف ماذا سيحدث لك ما إن أخبرك؁ ولم أكن أعلم أنك ستتأثرين بشدة لدرجة أنك ستنامين مباشرة؁ هيا دعينا نخرج ونلعب فكل الأطفال يلعبون ويمرحون ويسألون عنك... تابعت ريتومي تقول: آه منك يا طائري البديع؁ أنت حقا عاطفي بزيادة!

- ها؁ ولذلك لا تمزقيني مجددا؁ سنذهب ونلعب؁ لكن علينا أن نأكل شيئا فأنا جائعة؁ وصلت ونمت مباشرة دون أن تدخل لقمة واحدة إلى جوفي.

رأت إيمي ابنتها مع ريتومي؁ فاحتارت؁ وقالت: أحسنت يا ريتومي؁ فقد استطعت أن توقظي تلك العنيدة؁ رغم محاولاتي إلا أنها أصرت على النوم.

قالت إيسٲارا بنبرة صوت ودودة: هل لنا يا ضياء قلبي بشيء نأكله فأنا جد جائعة؁

وريتومي ستأكل ما إن تراني باشرت الأكل.

- كنت أعلم، تفضلا معي إلى المطبخ، بعدها يمكنكما الذهاب للعب مع الأطفال، والاستمتاع بوقتكن. جلست الاثنتان حول مائدة المطبخ وقالت إيمي: هيا باشرا الأكل، وهذا بعد أن قامت بوضع طبقين من الأرز بالدجاج فوق المائدة، لكن ريتومي اعتذرت عن الأكل بحجة أنها قد أكلت في المنزل قبل أن تأتي.

هنا نظرت إيستارا إليها، رفعت حاجبها وقالت: لك خياران إما أن تأكلي أو أذهب للنوم من جديد، تعلمين أن باستطاعتي النوم في أية لحظة.

- اهديني الآن، سأكل معك فأنا أعلم أنك ستفعلين كل ما يدور في رأسك دون أن تبالي. وهكذا تناولتا قليلا من الطعام وبعدها خرجتا للعب، كان قضاء الوقت كله في اللعب ظلّ ريتومي، أما إيستارا فكانت تريد الذهاب والمشي بمحاذاة السياج الحديدي للغابة لا غير.

بعد اللعب مع باقي الأطفال أقنعت إيستارا ريتومي بأن تمشيا بمحاذاة السياج، تبادلتا أطراف الحديث في أحضان الطبيعة البديعة والمناظر الخلابة، ثم عادتا قبيل الغروب إلى المنزل في انتظار ما ستسفر عنه الأيام القادمة.

بعد مضي حوالي عشرين يوما وبينما هما عائدتان من نزهتهما كالعادة، حتى قالت ريتومي: إيستارا، في الغد إن شاء الله سنرحل.

- كفاك من هذا المزاح، رأيت ماذا فعلت في المرة السابقة ما إن تفوهت بهذا الكلام وها أنت تعيدن نفس الكلام على مسامعي، ألا يمكنك التعلم من الأخطاء؟

- نحن ذاهبون فعلا، وعندما قلت لك في المرة السابقة أننا لن نذهب إلى أية قرية، كان فقط لكي تتمكن من قضاء بعض الوقت براحة واطمئنان ولمعرفة ردة فعلك، وها قد انقضت المدة سريعا، لكن على الأقل تسلينا، ضحكنا، وقضينا وقتا رائعا.

- اصمتي، لقد خدعتني للمرة الثانية.

عانقت ريتومي إيستارا وقالت: ما بك يا من ليس لي سواك، قلت أننا سنرحل لكن لم أقل لك أننا لن نأتي لزيارتكم ولم أقل أننا لن نلتقي، هيا فكري بإيجابية يا إيستارا وتأكدي أنني لن أتخذ لي صديقة أحبها كحبي لك.

ابتسمت إيستارا ابتسامتها التي تتملك بها أي قلب وقالت: هل هذه الخدعة الثالثة أم ماذا؟ حسنا ارحلوا، لكن إياك ونسياني.  
أردفت: الحمد لله أن هناك ابنة خالتي جوساي، أتمنى أن يأتوا لزيارتنا عما قريب إن شاء الله.

- لم أكن أعلم أن لديك خالة ولديها ابنة، لم لم تخبريني من قبل؟ لم لم ألتق بها بما أننا نقضي معظم الوقت معا؟

- ريتومي، فكري، لم يتوافق الزمن وحسب، على أية حال، أتمنى أن تلتقي بها يوما ما، إنها في مثل عمرنا، لكنها فتاة عجيبة.

سارت الفتاتان بمحاذاة بعضهما البعض، حتى انتبهت ريتومي إلى أنها قد أصبحت قريبة جدا من منزلها، فقالت: إيستارا، أألم تذهبي لمنزلك أم تريدين أن توصليني؟  
- لا شيء من هذا القبيل، فلدي خطة لقضاء وقت أكثر مع بعضنا.

وصلت إيستارا مع ريتومي إلى منزلها، فطرقت ريتومي الباب ليفتح والدها جورفين الذي ما إن رأى إيستارا حتى قال: لم أكن أعلم أن لدينا مفاجأة، كيف حالك يا إيستارا وكيف حال إيمي؟

أثناء كلامهم سمعت مانفيت الكلام فخرجت وقالت: مستحيل، الفتاة التي لو كان لها توأم حقيقي لكانت هي الأجمل، هي هنا!

قالت مانفيت مرة أخرى: إيستارا هنا، هيا ادخلوا، لماذا أنتم واقفون عند الباب؟.

قالت إيسيتارا: لا داعي يا خالة، فأنا لم أخبر أُمي أُنِي آتية، وأتيت فقط لأطلب منكما أن تدعَا ريتومي لتأتي إلى منزلي اليوم بما أنكم راحلون في الغد إن شاء الله للإقامة عند أقاربكم. بانت علامات الدهشة على وجه جورفين، لحظات قليلة ثم سأل: من قال لك يا إيسيتارا بأننا راحلون؟

نظرت إيسيتارا إلى ريتومي وأشارت برأسها لكي تتكلم، قالت ريتومي: لا تنظري إلي هكذا وكأنني كذبت عليك فنحن راحلون حقا.

نظرت إلى أبيها قائلة: سمعتك منذ أيام وسمعتك البارحة كذلك عندما كنت تقول لأُمي أننا سنرحل تاركين منزلنا هذا لأحد أصدقاءك الذي لديه زوجة وثلاثة أطفال، وليس لديه منزل، إنما يستأجر.

لم يتمالك جورفين نفسه وسرعان ما بدأ بالضحك وكذلك أمها. لم يستطيعا التوقف عن الضحك لدرجة أنَّ إيسيتارا بدأت بالضحك هي الأخرى، وشعرت ريتومي بالإحراج. قال جورفين بعدما توقف عن الضحك: سيكون العشاء عندنا هاته الليلة، وستبيتين هنا يا إيسيتارا، ستذهب مانفيت لإحضار إيمي، بهذا لن تقلق عليك، وتقضين وقتا أطول مع ريتو، أطول بكثير، لأننا لن نرحل، وسنذهب في زيارات عادية بإذن الله.

ما إن أنهى جورفين كلامه حتى نظر إلى ابنته وبدأ بالضحك من جديد. قال: لا تسألاني عن شيء، فيما بعد سأوضح كل شيء، ثم ذهبت مانفيت لدعوة إيمي للعشاء. كانت إيمي منهمكة في الاعتناء بالحيوانات وما إن رأتها مانفيت حتى قالت: دائما على عادتك يا إيمي، لا تنفكين تعنتين بحيواناتك، فنظرت إليها إيمي وقالت: مرحبا يا مانفيت، كيف حالك؟

- بخير، أرى أنك أنت من ليست بخير، خاصة مع كل هذا التعب مع الخراف، الأحصنة والأبقار، دون نسيان الدجاجات والأرانب.

ضحكت إيمي ثم قالت: معك حق، لكن صدقيني، ستسعين كل التعب معهم خصوصا تلك الدجاجات الطريفة التي لا تنفك تبقى بقربي في كل لحظة.

قامت مانفيت بمساعدتها وأخبرتها أن ريتومي وإيستارا في المنزل وأن العشاء سيكون عندها، فنظرت إيمي إليها وقالت: لكن هل هناك مناسبة ما؟

- لا توجد أية مناسبة، لكن إيستارا أتت إلى المنزل وأرادت من ريتومي أن تبيت معها في منزلهم فطلب جورفين أن آتي لأعزمك على العشاء عندنا هاته الليلة، بذلك تتمكن الفتاتان من السهر سويا. ما إن أتممت مانفيت كلامها حتى قالت إيمي: لكن كيف خطرت لإيستارا هذه الفكرة، فهما دائما معا، لا تفترقان عن بعضهما؟

ردت مانفيت: ظنت أننا راحلون إلى قرية أخرى، لذلك أرادت اغتنام الوقت المتبقي لتقضيه مع ريتومي قبل أن نرحل.

- أصبح أنكم سترحلون من هنا مانفيت؟

- ألف لا يا عزيزتي. لن نرحل إلى أي مكان، كان هناك سوء فهم من ريتومي، فظننت أننا سنرحل إلى قرية أخرى، فأخبرت إيستارا التي ظنت هي الأخرى أننا سنرحل حقا، ولكي لا تطرحي المزيد من الأسئلة سأشرح كل شيء فيما بعد، دعينا الآن نذهب، لأنك ستساعديني في إعداد العشاء، أظن أننا أدخلنا كل الحيوانات.

- أجل، أدخلناهم كلهم، ولم يبق إلا أن أغلق عليهم ثم نذهب.

ذهبت إيمي مع مانفيت وما إن دخلتا حتى ارتمت ريتومي في أحضان إيمي مرحبة بها وقالت: شكرا لك يا خالة لأنك قبلت الدعوة.

قبل أن تقول إيمي أي شيء قال جورفين: وهل لديها خيار آخر يا ابنتي؟

قالت إيمي: مرحبا جورفين، كيف حالك؟

- بخير يا إيمي، شكرا لقبولك الدعوة وأتمنى أن لا نكون قد أزعجناك. كانت إيستارا



قرب ريتومي فقالت: عن أي إزعاج تتحدث يا عمّ جورفين، هذا لطف منك؟  
قال جورفين: حسنا، أنتما الآن اذهبا إلى الغرفة واستمتعا بوقتكما ريثما تُحضر  
مانفيت وإيمي العشاء، أما أنا فسأذهب وأستريح قليلا.

ذهب جورفين إلى إحدى الغرف ليستريح، وذهبت مانفيت وإيمي إلى المطبخ لإعداد  
العشاء، أما الفتاتان فذهبتا إلى الغرفة التي كانتا فيها لتواصلتا اللعب أو تتشاجرا  
بالوسائد. لحظات وذهبتا إلى جورفين. قالت ريتومي: أبي، كدت أنسى تماما، لماذا قلت  
لأمي أننا سنرحل، وعندما أخبرتك بدأت بالضحك؟

- تذكرت يا ابنتي، لكن سرعان ما بدأ بالضحك. قال: حسنا، سآتي بعد لحظات  
لأوضح لكما اللبس الذي حصل.

ذهب جورفين إلى غرفة النوم وأحضر كتابا ذو سمك صغير فأعطاه لريتومي قائلا:  
افتحيه على الصفحة المئة واقرئي لنا.

قلّبت ريتومي الصفحات لتصل إلى الصفحة المرجوة، لحظات وبدأت تقرأ:  
" حسنا، اسمعيني، لا بد أن نرحل من هذا المكان ونذهب إلى قرية أخرى، سنترك  
هذا المنزل لأحد أصدقائي فلديه زوجة وثلاثة أطفال وبذلك نجّبه عبء الإيجار... "  
وقبل أن تكمل ريتومي قال والدها: هنا أغلقت الكتاب وخلدنا للنوم، هل فهمت لماذا  
كنا نضحك؟

ابتسمت إيستارا ثم همست في أذن ريتومي: يا لغبائك، ظننت أنك ذكية!  
لحظات وقالت إيستارا: لكن ألم تكوني في غرفتك يا ريتو؟  
أجابت ريتومي أنها كانت بصدد أن تسأل أمها سؤالا يتعلق بالدراسة، وما إن سمعت  
ذلك الكلام حتى عادت إلى غرفتها دون أن تسأل.

قالت إيستارا مخاطبة ريتومي: لكن لم قلت لي أنكم راحلون في اليوم الأخير للدراسة،

وأعدت لي نفس الكلام بعد حوالي عشرين يوما، بصراحة لست أفهم؟  
- أخرى بك أن تسألني أبي لماذا قرأ نفس الفقرة بعد عشرين يوما، أما الإجابة فكانت بسيطة وقال جورفين: لم أعد قراءة الفقرة نفسها، كل ما هنالك أنه يوجد كتاب ثانٍ به فقرة تشبه هذه، هناك اختلاف طفيف، لكن جوهر الفقرتين نفسه.

قالت ريتومي: ما لا أفهمه الآن هو أي توافق هذا، في المرة الأولى سمعت تلك الفقرة، وفي المرة الثانية سمعت فقرة تشبهها، أليس عجيبا؟

قالت إيستارا: ليس عجيبا، إنه القدر، لكن لماذا لم تحاولي الاستفسار من الحالة مانفيت أو العم جورفين؟

قالت ريتومي: القرار كان قرار والديّ ويجب أن أحترمه. قالت إيستارا: تبالغين كثيرا!  
فجأة قالت إيستارا: مهلا، كنت أخبرتي أنكم راحلون للإقامة عند عمك ولأجل أن

تحصلي على صولجان، والفقرتان تتحدثان عن الذهاب إلى قرية غير محددة؟  
- كان أبي قد أخبرني قبل حوالي شهرين أننا سنزور عمي لأجل الحصول على صولجان، وقبل أن يتضح لي اللبس أخيرا، رجّحت أن القرية التي سمعتها على لسان أبي هي نفس القرية التي يقطن بها عمي.

قالت إيستارا: عمّا، هلاّ سردت لنا القصة التي يرويها كل من الكتابين باختصار؟  
قال جورفين: أحد الكتابين يحكي عن قصة تدعى قصة شلال الذهب. والآخر، يحكي عن قصة تدعى قصة الدرب السقيمة، الأول يحكي عن شلال وأحد الفقراء ويقولون أن الكثير من الغموض يلفها، حتى أنهم يقولون أن القصة المتداولة مزيفة، هذا فيما يخصّ قصة شلال الذهب، أما الكتاب الثاني فيتحدث عن درب لها علاقة بجزّ صوف الأغنام، ورجل فقير كذلك.

تابع جورفين يقول: القصتان بسيطتان جدا، والفضول الحقيقي كامن في أن الكتاب

الأصلي للدرب السقيمة لا يملكه سواي، والكتب الأخرى نسخ، أما الكتاب الأصلي الذي يحمل عنوان شلال الذهب فلا يزال مفقودا حتى الآن، وجلّ ما يُعرف عنه هو أن القصة المتداولة حول محتوى النسخ الموجودة فهي قصة مزيفة.

اندهشت إيستارا وقالت: حقا؟

أجاب جورفين: أجل يا ابنتي، لا أحد يملك كتاب الدرب السقيمة سواي، أما الكتاب المعلنون بقصة شلال الذهب فهو مفقود.

نظرت ريتومي إلى الكتاب وقالت: لا شيء مميز فيه!

قال جورفين: الكتاب الذي بين يديك ليس الكتاب الأصلي للدرب السقيمة، إنما هو نسخة لا غير.

قالت ريتومي: حسنا، بالنسبة لكل من الكتابين، ما الفرق بين نسخة وكتاب أصلي ما دام كلاهما يرويان نفس القصة؟

أخرج جورفين نفسا عميقا ثم قال: للأسف، لا أحد يعلم!

قالت إيستارا: لا تختلف يا عمّ جورفين كثيرا عن عمتي مينال، ثم التفتت إلى ريتومي قائلة: قبل أن أنسى، ما اسم القرية التي يقطن بها عمك يا ريتو؟ أجابت ريتومي قائلة: اسمها آيراغسيكوناس.

ما إن نطقت ريتومي باسم القرية حتى قالت إيستارا: ما هذا الاسم البشع؟ قالت: كوكوسيكوناس! فانفجر جورفين ضاحكا.

قال: بسيطة يا إيستارا، آيراغسيكوناس، قولها بروية، وهنا استرجعت إيستارا الشعور بالغرور وقالت: هه، اسم بسيط جدا، إنها تدعى آيرا كوريلاس!

ضحك جورفين وقال: حسنا، هناك شيء عليك معرفته يا ريتو وهو أننا سنذهب بعد أيام قليلة لزيارة عمك إن شاء الله، وربما نمكث هناك أكثر من شهرين.

نظر إلى إيستارا قائلاً: قلت سنذهب ولم أقل أننا سنرحل يا إيستارا، لذلك لن تضطري لتحمل غياب ريتومي سوى عدة أشهر على الأكثر، وكذلك بالنسبة لريتومي.

قالت إيستارا: شكرا لك يا عماه. بعد العشاء، أمضت إيستارا الليل مع ريتومي وهي تحاول نطق اسم القرية حتى نجحت وقالت في الأخير: الجميع يعلم أن العباقرة يعجزون عند أبسط وأتفه الأشياء!

ولأن الأيام تنقضي بسرعة، ذهب جورفين وعائلته إلى القرية التي يقطن بها أخوه بعد أن ودعوا سكان قرية هاسماي، وفي ليلة اليوم الذي ذهبوا فيه كانت إيستارا جالسة مع أمها بعد العشاء لارتشاف الشاي كالعادة.

استفتحت إيمي الكلام قائلة: هل تعلمين يا ابنتي أن لكل إنسان في هذه الحياة أمنيات يريد تحقيقها بشدة دون شيء سواها مهما كان جميلاً؟

- أجل، أعلم يا أمي، لكن حتى الأغبياء لديهم أمنيات، فكيف نفرق بين من هو غبي ومن هو ليس غبي، فأظن أن أمنياتي أمنيات غبية؟

- لا تقولي أغبياء، فالذي نظنه غباء، لا يعدو كونه تعالياً منا على القدرات المتواضعة للآخرين، والآن ما هي أمنيات ابنتي الغالية التي تريد تحقيقها؟

- قبل أن أجيبك عن أمنياتي، يجب أن تقتنعي أن الأغبياء موجودون، سواء رضيت أم لم ترضي، الأغبياء موجودون، فكما يوجد الأذكياء، يوجد الأغبياء.

عانقت إيمي ابنتها ثم قالت: حسناً، معك حق، لكن بالحديث عن الأمنيات، هل من أشياء تريد أن أحققها لك قبل أن أموت، تكلمي ولا تشعري بالخجل.

- ماذا أقول يا أمي؟ أمنياتي، منها التي يمكن أن تتحقق ومنها التي يستحيل تحقيقها، و سأبدأ بالتي يمكن أن تتحقق وهي جد بسيطة لأنني أتمنى أن أجعل الذي يقترب من الموت يعود إلى الحياة، ولا شك أن هذا ما يريده الجميع يا أمي، أليس كذلك؟

- معك حق يا ابنتي، فما من شيء في هذه الحياة أسمى من تقديم المساعدة لمن يحتاجها ولا شك أن من يقترب من الموت يريد يداً تساعد على العودة لهذه الحياة إن كان القدر موافقاً لتلك الرغبة، الآن ما هي أمنياتك المستحيلة؟

- أمنياتي المستحيلة لا تخطر على بال يا أمي، سأخبرك بعضها منها. أتمنى أن أتمكن من الترحلق فوق قوس المطر، أريد مرافقة الطيور المهاجرة، وأتمنى أن أمسك أول ورقة تسقط في فصل الخريف، لأضعها في غرفتي بعدما أكتب عليها الناجية من الوقوع على أديم الأرض، انتظار أول وردة تتفتح في الربيع لأغلقها وأقول: تابعي نومك يا صغيرة، فلا يزال الوقت مبكراً، أنا أعلم أنك تريدين مواصلة نومك.

بدأت إيمي بالضحك وقالت: فتاة مجنونة، تابعي كلامك. قالت: أريد أن أسقي وردة بدموع الألم وأسقي وردة أخرى بدموع الفرح، هل سيكون لهما نفس الشذا الفواح؟ أتمنى معرفة الإجابة لا غير. أتمنى أن أعرف ما إذا كانت الزهور تعطس إذا حطت عليها حشرة مؤذية، لدي الكثير من الأسئلة، قد تظنين أنها أسئلة غبية، لكن ماذا سأفعل، هذه أمنياتي ولا تزال هناك أمنيات كثيرة جداً لا تنتهي، لكن صارت لديك فكرة عنها.

بقيت إيمي صامتة حتى قالت لها إيستارا: تكلمي يا أمي، ماذا هناك؟ ابتسمت إيمي ثم عانقت إيستارا بشدة قائلة: أدهشتني بأمنياتك يا ابنتي، وفي نفس الوقت ذكرتني بوالدك عندما أفصحت لي عن أمنياتك.

- أرجوك يا أمي، دون أن تجدي عذراً، هلا حكيت لي عن أبي؟ أخبرتني أنه اختفى ولم يُعثر له على أثر بعد ذلك، هلا حكيت لي رجاء؟

أخذت إيمي نفساً ثم قالت: في أحد الأيام حدث معنا مشكل كما يحدث لجميع الأزواج ولم نستطع التوصل إلى حل وسط، فخرج من القصر غاضباً ولم يعد، بحثنا عنه طويلاً دون أن نجد له أثراً للأسف، لذلك نعتقد أنه توفي، فقد مرّ زمن طويل على غيابه.

- حسنا، لن أسأل مرة أخرى، لكن عن أي قصر تتكلمين؟
- قصر جدك كيجابير، وأرجو أن لا تسأليني لم هو ليس معنا الآن. قالت إيستارا: لا، لن أسألك، بديهي أنه كان قاسيا جدا.
- لا يا ابنتي، لم يكن جدك قاسيا أبدا، بل كان حنونا جدا، كان يخاف علينا، ويعطف علينا، لكنني لست أعلم لماذا لا نتنازل ولو قليلا في المشاكل بيننا ونظن دوما أننا على حق، وأن الغير هو المخطئ.
- شوقتي أكثر حتى أعرف ما الذي جرى بين جدتي ياريكا وجددي كيجابير فصرنا بعيدين جدا، هلا حكيت لي أكثر يا أمي، أرجوك.
- قامت إيمي من مكانها وقالت: حصلت على جواب دون أن تسألني، لكن لا بأس، أما الآن، فالوقت أصبح متأخرا ويجب عليك الذهاب للنوم؟
- لكن إيستارا كانت عنيدة، وقالت: لكن قولي لي ما الذي جرى يا أمي بينهما وبعدها سأذهب لأنام، لا تتركيني متشوقة.
- لا، لا يا إيستارا، اذهبي إلى الفراش، وستعلمين ماذا حصل في الوقت المناسب إن شاء الله، أنت لا تزالين صغيرة، والآن قبليني واذهي لكي تنامي.
- قالت إيستارا: سأذهب وأنام لأني فتاة مطيعة، وأنت تعلمين هذا.

### الفصل الثالث: الزيارة المتوقعة

" اغرس زهرة على الأرض و سوف تحرك أبعد نجم. "

بول ديراك

نامت إيستارا وبعد حوالي ساعة من نومها نامت إيمي، ومضت ساعات الليل سريعا. أشرقت الشمس وكانت إيستارا جالسة في الحديقة تداعب الأزهار وعلامات السرور تكاد تكون غائبة عن محياها البديع، فهي لم تعتد العيش بعيدا عن صديقتها ريتومي. فجأة ضربت على جبينها براحة يدها قائلة: مرّت كل تلك الأيام ونسيت أن أرى تلك القصيدة التي كتبتها لريتومي، أين كان تفكيري؟ لكن لا بأس.

لم تشأ إيستارا الذهاب واللعب مع الآخرين وصديقتها المفضلة ليست معها، فبقيت في الحديقة تقطف زهرة من هنا وهناك قبل أن تغير رأيها وقطفت زهورا كثيرة ثم أحضرت خيطا رقيقا وجعلت تصنع عقدا من الورود لتهديه إلى أمها.

كانت إيمي في المطبخ تحضر الغداء، قبل أن تراودها فكرة النظر إلى ما تفعله ابنتها في الحديقة، خصوصا بعد أن ذهبت صديقتها، فأطلت من نافذة المطبخ لترى ابنتها تدخل البراعم في الخيط وهي تقول: سأهدي هذا العقد الجميل لأمي، لا بد أنها ستفرح كثيرا، ثم أمسكته بكلتا يديها وأخذت تنظر إليه. قالت: ستفرح كثيرا.

كانت إيستارا تتكلم مع نفسها أما إيمي فقد علت وجهها ابتسامة عريضة. قالت: ليباركك الله يا ابنتي. ثم عادت لتكمل طهو الطعام ومشاعرها تتراقص فوق صفحات قلبها بسماع تلك الكلمات التي كانت تجري بين شفاه ابنتها لتدغدغ أحاسيسها، بقيت تنتظر فقط متى تُحضر إيستارا العقد، وليس الوقت الذي يكون فيه الطعام قد نضج.

ما إن انتهت إيستارا من إدخال البراعم في الخيط حتى حانت المرحلة الأخيرة وهي أن

تعقد طرفيه. فجأة سمعت صوت فتاة تقول: ألن تأتي لمعانقتي؟

رفعت إيستارا بصرها لأنها لم تُصدق ما سمعته، وما إن وقع بصرها على المتكلمة حتى طارت مشاعرها فرحا وابتهاجا، فقد كانت المتكلمة هي ابنة خالتها جوساي، ومعها أمها كوريسي ووالدها الذي يدعى مالفى.

كانت جوساي في عمر إيستارا تقريبا، ذات بشرة بيضاء، مشرقية الطلعة، ورثت طول القامة من والدها، أما أمها كوريسي فكانت امرأة بهيمة المنظر ذات بشرة بيضاء، ولم تكن تشبه أختها إيمي كثيرا، أما مالفى فما إن تقع عينك عليه حتى تدرك أن طول جوساي لم يكن إلا بسبب طوله، فقد كان طويل القامة معتدل الجسم ذا بشرة سمراء، وشعر أسود، ومن المستحيل أن تنظر إلى محياه دون أن تبدأ بالابتسام فقد كانت أساريه البشوشة تدفع أي شخص للابتسام.

ما إن همّت إيستارا بالركض حتى سقطت على الأرض، لكنها سرعان ما قامت لتبدأ بالركض نحوهم من جديد وهي تنادي بصوتها العذب الصاخب: أمي... أمي... تعالي لترى من أتى يزورنا، تاركة العقد الذي كانت تصنعه من يديها دون أن تشعر.

جثت كوريسي على إحدى ركبتيها ثم شرعت ذراعيها لتعانق ابنة أختها بجمرة. لحظات وقالت إيستارا: لكن أين جدتي، يستحيل أنها لم تأت معكم؟

ابتسمت كوريسي قائلة: لا شيء من هذا يا ابنتي، لقد أتت معنا، لكنك تعلمين أن العجائز يُفضّلن الجلوس وسط الطبيعة الخلابة ويتأملن المناظر هنا وهناك، وكذلك يتعبن من المسير، ثم استدارت إلى جهة الدرب الذي سلكوه وأشارت إلى أمها ياريكا قائلة: ها هي جدتك يا إيستارا، ألن تذهبي لتلقي عليها التحية وتقبلها؟. لكن إيستارا كانت قد ذهبت قبل أن تكمل خالتها الكلام.

قبلت إيستارا جدتها ياريكا، واتجهتا نحو البيت، وكانت ياريكا عجوزا، لكنها لم تكن



تحتاج إلى عكاز.

أما إيمي التي كانت في المطبخ، فما إن سمعت إيستارا تنادي عليها قائلة "أمي تعالي لترى من أتى لزيارتنا"، حتى أطلت من النافذة ورأت ابنتها تسقط العقد من يديها وهي تتجه نحو الضيوف لترحب بهم فقالت إيمي في نفسها: يا لها من فتاة، نسيت أمر العقد تماما، ثم أتبعته: لكن الأهم هو أنها لم تنسني ونادتنني.

خرجت للترحيب بهم، لتصل إيستارا أخيرا مع جدتها ياريكا وهما تمسكان يدا بعضهما البعض. قالت ياريكا لإيمي التي أقبلت تسلم عليها وتعانقها: قولي لي يا ابنتي، ألا تتعب هذه المشاكسة من الركض والجري هنا وهناك؟

ابتسمت إيمي قائلة: إنهم الصغار يا أمي، إذا لم يركضوا ويمرحوا فماذا لديهم ليفعلوا!! صحيح أنها في السادسة عشر لكنها لا تزال صغيرة جدا في عيوني تماما كما كانت عندما أتيت بها إلى هذه الحياة.

قالت ياريكا مخاطبة حفيدتها: حسنا، اركضي كالمجنونة، لكن حاذري أن تسقطي، فإنّ لونغفيرو لن يسامحنا إن حدث لك مكروه!!

جلس الجميع في غرفة الاستقبال الواسعة، إلا كوريسي التي لم تستطع الجلوس وترك إيمي تحضر الغداء لوحدها. ذهبت لتساعدنها، وتفاجأت عندما لم تجدها بالمطبخ، لحظات فقط قبل أن تنضم إيمي إليها قائلة: آسفة يا كوريسي.

أما كوريسي فقالت: خلت أنك بالمطبخ فأين كنت يا ذكية؟. ردت إيمي: لا يهم هذا الآن، المهم هو أن الطعام سينضج قريبا.

هذا وبعد الانتهاء من تناول الغداء اتجه الجميع لأخذ القيلولة. قبل العصر بقليل كان الجميع مستيقظين وقد استعادوا نشاطهم، ولم يطل الوقت كثيرا حتى غابت الشمس من محيا السماء وأسدل الليل ستاره الأسود العجيب، متربعا على الأرجاء وبدأ يتبادل أطراف

الحديث مع النجوم والقمر.

كانت جوساي وإيستارا تتبادلان الحديث مع مالفي، والجدّة ياريكا تستمع وترسم ابتسامة عريضة، أما الأختان فلم يكن لهما بد من إعداد عشاء شهّي.

تحت ضوء الشموع أنهوا العشاء في هدوء، بعدها اتجهوا مباشرة إلى الغرفة الرئيسية لتبادل أطراف الحديث وارتشاف الشاي.

قالت إيستارا: الحمد لله أنكم أتيتم، وأرجو أن تطيلوا البقاء لكي أتمكن من قضاء الكثير من الوقت مع جوساي.

قال مالفي: للأسف يا ابنتي، أنا وخالتك لن نطيل البقاء هنا، وعلينا العودة في الغد إن شاء الله لبيتنا الجديد، فلا بد من العودة يا ابنتي.

قالت إيمي: لماذا يا مالفي، فجوساي في عطلة، أهنأك من خطب ما؟

- ليس بالأمر الجلل، لكن كما تعلمين فإن المرض الجلدي الذي أصاب يدي تفاقم كثيرا وصرت أجرح يدي إذا قمت بالحك لا سيما ليلا، وقد سمعت عن حكيم في إحدى القرى المجاورة يدعى جايري واير، تردد حوله الكلام أنه بارع، فأردت قصده.

- أتمنى لك الشفاء العاجل إن شاء الله، وأتمنى أن تذهبا دون أن تصادفكما أية مشاكل وتعودا بسلام.

قالت إيستارا: أخبرتي أمي أنكم اشتريتم منزلا جديدا، وكنت أريد أن أسألك سؤالا، لكن تراجععت، فهو يبدو غير مهم.

قال مالفي: أتمنى أن لا تندمي على عدم طرح سؤالك في يوم من الأيام.

هكذا، وفي الصباح الباكر، وبعد تناول فطور الصباح، غادر مالفي وكوريصي، وودّعهم ياريكا وإيمي قائلتان: في حفظ الله تعالى.

## الفصل الرابع: البر الأبيض والوردة البرتقالية

" سيكون ممكنا عدم تحويل الظلام إلى نور، و السكون إلى حركة دون عاطفة. "

كارل غوستاف يونغ

بعد أن عاد والدا جوساي إلى المنزل وهذا لأخذ ما يلزمهم في رحلتهم، قالت إيستارا لأُمها أنها ستذهب مع جوساي في نزهة حتى تريها روعة الأجواء، فلم تمنع أمها بشرط ألا تبتعدا كثيرا وعدم التفكير في دخول الغابة أو حتى الاقتراب منها، فوافقت إيستارا وذهبت مع جوساي إلى حديقة المنزل لتقبلا جدتهما التي كانت جالسة على الكرسي المدولب، وهي تغزل في بعض الثياب.

قبلتاها وقالتا: إلى اللقاء يا جدي.

ردّت ياريكا: رافقتكما السلامة يا ابنتاي، إيّاكما أن تطيلا الغياب.

انطلقت إيستارا وجوساي تتبادلان أطراف الحديث وتستمتعان بقطف الأزهار ومطاردة الفراشات وفي جو الحديث الممتع نسيتا أنهما قد سارتا طويلا وفجأة وجدتا نفسيهما أمام سياج الغابة ففرحت إيستارا فرحة عارمة أما جوساي فقالت: علينا العودة يا إيستارا، فقد ابتعدنا كثيرا. نظرت إيستارا إلى جوساي وهي تبسم ابتسامة لا توحى بأي رغبة في العودة وقالت: لا زلنا أمام السياج، لا داعي للخوف، سنمشي بمحاذاته فقط؟

سارتا بمحاذاة السياج، فجأة لمحت إيستارا منفذا في السياج، فأسرعت نحوه تجري وتبعتها جوساي قائلة: انتظريني، فهي لم تكن تعلم بما لمحت عيون إيستارا، أما هذه الأخيرة فكانت تقول في سرها: الآن يا إيستارا تبدأ الحياة الحقيقية.

توقفت إيستارا، وما إن وصلت جوساي ورأت المنفذ في السياج حتى بدأت خطواتها

تترجع إلى الخلف وهي تقول: ماذا يا إيستارا؟ ماذا تنتظرين؟ نحن على مشارف الغابة، لنعد أدراجنا فأنا جد خائفة.

قالت إيستارا: الغابة تخيفنا والوحوش تريدنا والفضول يسوقنا فماذا سنفعل؟. أضافت: بالنسبة لأمي، إذا عرفت أي دخلت الغابة فهناك احتمالان وهما: إن حاولت الهروب من أمامها فسأكون عرضة لعقابها، أما إن حاولت الهروب من ورائها فسأكون عرضة لدعائها.

لحظات وقالت: ما كل هذا الخوف يا جوساي، قد أتجراً وأقول أنك جبانة. لم ندخل إلى الغابة بعد، وتراودني أفكار دخولها الآن فقط، وأنت ترتعشين خوفاً، حافظي على توازنك قليلاً.

- إيستارا، انسي تماماً أمر الدخول فقد قلنا لخالتي أننا لن ندخل أبداً إلى الغابة، وهذا يعني أننا لن ندخلها، لذلك هيا نعد أدراجنا.

- كوني ذكية يا جوساي؟ قلنا لن نقرب لكننا لم نقطع لها وعداً بعدم الاقتراب، ثانياً، عند قولنا أننا لن ندخلها كان المقصود أننا لا نستطيع تسلق السياج، أما الآن فقد وجدنا مدخلا سهلاً، وقالت في سرها: أمي سأخرج قليلاً عن طاعتك، سأمحيني رجاء، إنها اللحظات الرائعة للحياة.

قالت جوساي: لا تحاولي التذاكي، قلنا أننا لن ندخل وهذا يعني أننا لن ندخل وانتهى الأمر، لنعد أدراجنا دون أن تجادلي.

- جوساي، أنت تحرمين نفسك من لحظات الحياة الرائعة، أليست لديك روح المغامرة، الكبار يقولون لا تفعلوا ذلك لأنهم يعلمون أننا سنفعله، وليس تحذيراً لنا، فالواجب أن يقنعونا، وأمي لم تقنعا بأن هناك حيوانات مفترسة بهذه الغابة، لذلك فالدخول ليس محرماً.

- بلى، هناك خطر، ماذا لو دخلنا ووجدنا حيوانا مفترسا، ماذا سنفعل حينها؟  
سنصبح طعاما له ولن يستطيع أي شخص إنقاذنا.

أمسكت جوساي بيد إيستارا قائلة: ستعودين معي إلى المنزل الآن شئت أم أبيت،  
لكن سرعان ما أفلتت إيستارا يدها وعادت إلى المنفذ ثم أسرعت بالدخول.

قالت لجوساي: حسنا، هل يمكنك أن تمنعيني الآن؟

- كما تشائين، سأعود إلى المنزل، وأخبر خالتي ولن أكون مسئولة عن أي شيء قد  
يحدث لك فأنت فتاة متهورة.

همّت جوساي بالعودة إلى المنزل لإخبار خالتها بما فعلته إيستارا، أما هذه الأخيرة فقد  
دخلت إلى الغابة التي نُهِيت عن دخولها.

كانت الغابة مخيفة وموحشة، أشجارها غاية في الارتفاع وكل الطرق فيها متعرجة  
فكانت إيستارا تمشي وتضع علامة على كل شجرة تمرّ عليها بإحدى الأحجار التي  
التقطتها، حتى لا تنسى في أدغال الغابة. ثم التقطت بضعة أحجار صغيرة وبدأت ترمي بها  
عشوائيا عندما توغلت في تلك الغابة، وبعد أن رمت آخر حصاة قالت: الحمد لله على  
حفظه، لو خطوط بضعة خطوات أخرى لكان انتهى أمري. بعد مدة قصيرة قررت  
العودة للحاق بابنة خالتها.

عادت إيستارا وهي تركض بأقصى سرعة كي تلحق بابنة خالتها وتأسر قلبها  
بأوصاف الغابة، وقبل هذا لكي لا تخبر جوساي خالتها بما فعلته.

لحسن حظها فإنها لحقت بجوساي قبل أن تصل هذه الأخيرة إلى المنزل، وما إن رأتها  
حتى بدأت تنادي بأعلى صوتها: انتظري يا جوساي، انتظري أنا قادمة.

استدارت جوساي ورأت إيستارا تلهث من شدة التعب فاتجهت نحوها مباشرة  
لتطمئن على حالها وترى إن كانت على أحسن ما يرام. قالت: ماذا جرى لك؟ هل أنت

بخير؟ أخبريني، هل حدث لك أي مكروه؟

- اصمتي قليلا رجاء ودعيني ألتقط أنفاسي ولو للحظة، فكل ما جرى لي هو بسببك يا جوساي.

- بسبي، يا لك من ناكرة للجميل؟ الذنب ذنبي أني جئت مسرعة نخوك كي أطمئن على حالك بعد كل الذي فعلته وذاك العناد الذي أبديته.

نظرت إيستارا إليها وكانت عيناها تأسر الناظر إليهما فيسامحها وينسى كل شيء حتى وإن كانت هي المخطئة.

قالت بصوت رقيق: هل غضبت يا جوساي؟ كنت أمزح معك ليس إلا.

- حسنا، لنعد إلى المنزل فلدي أشياء كثيرة أقولها لخالتي بشأنك كي تتعلمي أن تسمعي كلام من هم أكبر منك ولا تحاولي التذكي.

- أنت ابنة خالتي ويستحيل أن تفعلي هذا بي، أرجوك لا تخبري أُمي، فأنا أعلم أنها ستضربني وإن أشفقت فستشفق إن قالت جدتي: دعيها يا إمي هي لن تفعل هذا مجددا، لذلك لا تخبريها أي شيء، اتفقنا.

- لم نتفق بعد، أنا سأخبرها ولن تنظلي كلماتك علي، حاولي بطريقة أخرى.

- رائع، قلت أننا لم نتفق بعد، يعني أنه من الممكن أن نتفق، قلت حاولي بطريقة أخرى، يعني أنه توجد طريقة لأقنعك بالصمت.

بعد محاولات مضمية من إيستارا لإقناع جوساي بعدم الكلام لم تفلح البتة، وبقيت جوساي متمسكة بقرار إخبار خالتها إمي بما فعلته إيستارا.

قالت: أنا إنما سأخبرها من أجل سلامتك فقط فلا تقومي بالدخول مجددا إلى الغابة الموحشة.

قالت إيستارا: يا عيني، من أجل سلامتي، الآن ضقت ذرعا، حاولت معك بكل

الطرق لكن لدي طريقة أخرى ستجعلك تصمتين رغما عنك بل تتوسلين، وهنا ابتسمت جوساي ابتسامة عريضة أبانت عن جمالها وقالت: تحاولين إخافتي بكلامك؟ كلامك هذا يدفعني للضحك.

اقتربت إيستارا منها، ثم جعلت تدغدغها ولم تفلتها ولو للحظة، حتى بدأت جوساي تضحك وتقول: لن أخبرها، اتركيني أرجوك.

قالت إيستارا: لن تخدعيني، يجب أن تقولي لن أخبر خالتي ولن أخبر جدتي، سأتركك إن وعدتني بأنك لن تنطقي بحرف واحد.

- حسنا، موافقة، أعدك אני لن أقول لهما شيئا. تركتها إيستارا وهي تضحك وتقول: رأييت كم كانت طريقي رائعة لجعلك تلتزمين الصمت يا ذكية؟

ردت جوساي: نجحت هذه المرة لكن لن تنجحي في المرة القادمة. قالت إيستارا: سترين אני سأدخلك إلى الغابة في الغد إن شاء الله، اصبري قليلا فقط.

عادت الفتاتان إلى المنزل، وما إن رأتا جدتهما تتمشى في أرجاء الحديقة، حتى أسرعتا نحوها فقبلتاها، وقالت إيستارا: اشتقنا إليك كثيرا يا جدتي.

- كذلك اشتقت لحفيدي، لكنكما أطلتما الغياب رغم אני طلبت منكما الإسراع بالعودة، لماذا تأخرتما ولم تلقيا بالاً لكلامي؟

قالت إيستارا: لا يا جدتي، لم نطل الغياب وتأخرنا قليلا، قليلا فقط. لحظات ونظرت جوساي إلى إيستارا وكأنها تتوعدها.

قالت ياريكا: هيا، تعاليا معي لتناول الغداء فقد اضطررت لانتظاركما إلى حين عودتكما، فردت الفتاتان بصوت واحد: شكرا يا جدتي، أنت لطيفة.

دخلت الفتاتان مع جدتهما وبدأت إيستارا تنادي: أمي، أين أنت يا أمي؟ ها قد عدنا. ثم التفتت إلى جدتها قائلة: جدتي، أين أمي؟

- لا بد أنها تعتني بالأحصنة، تعلمين، في العطلة لا شيء يملأ وقتها ويشعرها بالمتعة كالاعتناء بحيواناتها الأليفة.

ما إن تناولوا طعام الغداء، حتى دخلت إيمي وقالت لأمها ياريكا: أخيراً، متى عادت المشاكستان يا أمي؟

ابتسمت ياريكا قائلة: منذ وقت طويل!. نظرت إلى إيستارا وجوساي قائلة: أليس كذلك يا حفيدتي أم أنا مخطئة؟

أخفضت الاثنتين رأسيهما، وقالت إيمي: كنت أعلم أنهما مشاكستان، لا بأس هذه المرة.

جلست إيمي وأمها في غرفة الاستقبال تتبادلان أطراف الحديث، أما الفتاتان فقد جلستا تلعبان في حديقة المنزل حتى غربت الشمس فدخلتا إلى المنزل وبدأت إيمي وياريكا بإعداد العشاء، بعد أن أنهى الجميع عشاءه قالت إيمي: إيستارا، جوساي، اذهبا إلى الغرفة وناما فقد تعبتما كثيراً.

قالت إيستارا: أرجوك يا أمي، حبذا لو سهرنا الليلة، أليس كذلك يا جدتي؟ فقالت ياريكا: أجل، معها حق يا إيمي، هنّ الآن في عطلة، هيا اذهبن وأنرن الغرفة ريثما آتي مع فناجين الشاي والحلويات.

بعد تبادل أطراف حديث ممل قالت إيستارا في سرها: يجب أن أفضي لمسة أكثر جدية.

قالت: جدتي، أريد أن أسألك سؤالاً يراود فكري، لم أجد له جواباً إلى الآن، وأرجو أن تجيبي عليه.

- ما هذا السؤال الذي يزعج حفيدتي ولا يفارق ذهنها؟

- أريد أن أعلم ماذا جرى بينك وبين جدي كيجابير حتى انفصلتما عن بعضكما،



هذا فقط، لم أجد له أي جواب وسألت أمي، لكن جُلّ ما أخبرتني به هو أن هذا الوقت ليس الوقت المناسب لكي أعرف.

وضعت إيمي فنجان الشاي وصرخت في وجه إيستارا قائلة: كم مرة علي أن أقول لك لا تطرحي هذا السؤال وأنت ستعرفين في الوقت المناسب، لكنك دائما عنيدة، لا تسمعين الكلام، هيا اذهبي إلى غرفتك ونامي، فتاة مزعجة.

بنبرة صوت تكسر القلب قالت إيستارا: أرجوك، لا تصرخي يا أمي، جل ما فعلته هو محاولة استحضار الوقت المناسب. إن أزعجك الأمر، فسأذهب إلى غرفتي، لكن بعد أن تقولي بوّد: سأحتك يا دميتي البديعة، ولا تنسي أنني نيمايسولة لونغفيرو الصغيرة! أما ياريكا فقالت لإيمي: لا عليك يا إيمي، دعيها تسأل فهي لا زالت صغيرة ولا يجدر بك الصراخ في وجهها هكذا ومن حقها أن تعرف شيئا قليلا.

هدأت إيمي وقالت: حسنا لك ذلك يا أمي.

قالت جوساي: أنا كذلك كلي آذان صاغية، فحتى أمي كانت تطلب أن لا أسأها هذا السؤال.

قالت إيمي: حتى أنت يا جوساي، ما كل هذا الفضول؟ اسمعن القصة.

قالت ياريكا: لا يا إيمي، ستعرفان القليل فقط، فهما صغيرتان ويستحيل أن تفهما. قالت جوساي: حسنا، أنا سأذهب للنوم، في الغد إن شاء الله أخبريني يا إيستارا من كان المخطأ فقد استسلمت للنعاس، لكن إيستارا كانت قد نامت في حضن جدتها ولم تنتبه أيّة واحدة إلى أنها نامت.

ابتسمن وسارت جوساي باتجاه الغرفة، أما إيستارا فقد كانت تحملها الجدة ياريكا بين ذراعيها. برفق، وضعت ياريكا إيستارا في فراشها، ثم غطت إيمي الفتاتين وأطفأت إيمي كلّ الشموع.

خرجت إيمي وياريكا من الغرفة، وأغلقتا الباب، وقالت ياريكا: أرجو أن تعود الأجواء إلى صفائها عما قريب.

قالت إيمي: أتمنى هذا من كل قلبي يا أمي، ثم نام الجميع في سكونة وهدوء. استيقظ الكل فجرا دون أن يؤثر عليهم السهر، وقالت إيستارا في نفسها: متى ستشرقين أيتها الشمس البديعة؟ أنشد الذهاب للغابة بشدة. كان الجميع نشطين، لكن بعد تناول فطور الصباح عادت جوساي لتواصل النوم.

أشرقت الشمس واتجهت إيستارا لغرفتها حتى توقظ جوساي، أخذت ترجها يمينا وشمالا حتى تستيقظ فقامت جوساي وهي في قمة الغضب ودفعت إيستارا إلى فراشها قائلة: توقفي الآن عن إزعاجي رجاء، فتاة مزعجة.

- أنت مخيفة؟ أتعلمين أن تعابير وجهك تبدو رائعة إن كنت غاضبة؟ حتى إنها تدفعني للضحك بدل الخوف، لكن لا بأس، سأدعك تنامين فلدينا اليوم رحلة جميلة وطويلة لتناول البندق.

هنا قامت جوساي قائلة: أحقا ما تقولين؟ أين وجدته؟ لنذهب الآن!!  
- كنت أعلم أن البندق نقطة ضعفك، فمنذ الصغر وأنت مولعة بالبندق، توجد أشجار بندق في الغابة التي دخلتها البارحة.

- أنت تكذبين؟ تقولين هذا فقط لكي آتي معك، لكن انسي هذا الأمر فلن نذهب أبدا إلى هناك وإن أصريت، فسأخبر خالتي.

رفعت إيستارا الوسادة وأخرجت خمسة حبات من البندق، وقالت: معاذ الله أن أكذب، تفضلي هذه الحبات الخمسة.

اتجهت جوساي نحو إيستارا مباشرة، ونزعت حبات البندق من يدها، وجعلت تقول: هيا لنذهب الآن يا إيستارا حتى نعود بكمية كبيرة من البندق.

قالت إيستارا: نسيت أمر النوم تماما، أليس كذلك؟ على أية حال، أظنك لم تسمعي كلامي جيدا يا جوساي، لذا سأذكرك أن الأشجار داخل الغابة، هذا يعني أننا قد نجد حيوانات مفترسة، وقبل ذلك، قلنا لأمي البارحة أننا لن ندخل إلى الغابة، ماذا دهاك حتى نسيت كل شيء؟

- دعينا من هذا الآن، وهيا لتتناول شيئا ما ثم نذهب دون تضييع الوقت في هذا الكلام، فأنت تريدان الذهاب على أية حال، وإلا لما قلت لي أنه توجد أشجار بندق بالغابة. ردّت إيستارا: هذه ابنة خالتي الذكية.

قامت جوساي وغسلت وجهها ثانية ثم اتجهت مع ابنة خالتها إلى المطبخ لتناول بعض الفطائر. تناولت جوساي فطيرتين بشرهة على مرأى من جدّتها ياريكا التي قالت: هل هناك أشجار بندق لا أراها يا جوساي!

- لا يا جدتي، إنما أنا وإيستارا متحمستان للعب كثيرا في هاته المروج الجميلة والطبيعة الخلابة. آه، كدت أنسى شيئا مهما، أنا آتية. ذهبت جوساي إلى غرفة النوم، وعادت بعد لحظات وكأن شيئا لم يحدث.

قالت: كما كنت أقول لك يا جدتي، نريد أن نلعب وهذا كل ما في الأمر، ثم نظرت إلى إيستارا وقالت: أليس كذلك يا إيستارا؟

- نعم، بكل تأكيد. قالت إيمي: لا تبتعدا كثيرا وعودا قبل منتصف النهار، لا تطيلا الغياب مثلما فعلتما البارحة، وإياكن ونسيان هذا الكلام أو نبذه وراء ظهوركن.

قالت جوساي: هيا بنا يا إيستارا الآن فيجب أن نعود قبل منتصف النهار كي لا نخالف كلام خالتي، يجب علينا طاعتها في كل أمر، فهمست إيستارا لجوساي: اسحي كلامك الأخير فبقائه قائما يعني أنه لا يجدر بنا الذهاب بتاتا إلى الغابة وإحضار البندق.

بعد أن سارتا خطوات قليلة قالت إيستارا: انتظري يا جوساي، نسينا إحضار سلة معنا لنضع فيها البندق فجيوبنا لا تتسع لحمل ما يكفي، فردت جوساي: لكن بهذا ستشك خالتي بالأمر حتما وتمنعنا من الذهاب؟

- لدي فكرة رائعة، تعالي معي فقط، لكن لا تنطقي بأية كلمة.  
عادتا ركضا إلى المنزل وما إن دخلتا حتى بدأت إيستارا تنادي: أمي، أمي أعطني سلة لنقطف الورد لك و لجدتي.

خرجت إيمي بعد سماع نداء إيستارا، وقالت: هذا لطف منكما، لذلك سأعطي واحدة لك وأخرى لجوساي، سيكون هذا أفضل.

قالت إيستارا: أمي رائعة جدا، أهديتها قطرة حب فتمطرنى!  
اتجهت الفتاتان إلى الغابة وقالت إيستارا: يجب أن نسلك الطريق الآخر حتى لا يرانا الأطفال الآخرون فيتبعوننا أو يخبروا أمي أنهم رأونا نسلك اتجاه الغابة، هيا بنا يا جوساي.  
كانتا تمشيان وتقطفان الأزهار وسط تلك الطبيعة الخلابة والأجواء الرائعة، وبعد مسير طويل وصلتا إلى المدخل، فدخلتا ببطء شديد وحذر وما إن صارتا داخل الغابة حتى ضمت جوساي ذراعيها وأفلتت السلة من يدها من شدة الخوف.

كانت تلك الغابة موحشة للغاية، تبعث في النفس الشعور بالفزع، كأن عيوننا تراقبك في كل لحظة من كل الجهات، لكن إيستارا شجعت جوساي بقولها: هيا، استجمعي قواك ولا تنسي أنك جوساي ملكة البندق، لا تنسي أن وجهتك البندق، ووجهتي سعادتك.

- شكرا لكلامك العذب، لكن قبل أن نبدأ المسير، سأربط طرفا لهذا الخيط الطويل الذي أحضرته معي في إحدى الأشجار القريبة من المدخل، والطرف الآخر سأبقيه في يدي حتى لا نضيع وسط الغابة، أما أنت فخذى حصاة محدبة وعلمي كل شجرة نمر

عليها كحلّ ثانٍ إن انقطع الخيط.

قالت إيستارا: علّمت الأشجار بالأمس عندما دخلت يا ذكية.

قالت جوساي: جيد، هذا يعني أن كل ما علي فعله الآن هو إبقاء هذا الطرف معي دون إفلاته، وإن أفلت فلن تكون مشكلة كبيرة. أضافت: أليست ذكية جدا عندما ذهبت إلى الغرفة وجلبت هذا الخيط معي؟

نظرت إيستارا إليها وقالت: بديهي أن تكوني ذكية، فأنت ابنة خالتي.

توغلت الاثنتان في الغابة، وانتاب الشعور بالخوف هذه المرة كلا من قلب جوساي وإيستارا، لكن الخوف تلاشى من قلب إيستارا ما إن رأى وجه إيستارا البديع، وأكملت الفتاتان مسيرهما، للوصول إلى أشجار البندق.

أما الغابة، فرغم الخوف الذي كان ينتاب نفس الناظر إليها إلا أنها كانت تجسد كل معنى للسعادة في داخلها، فما إن تمشي قليلا حتى تحس كأنك لست في هذا العالم، وكأنك بصدد الولوج إلى عالم آخر لا تعلم صفاته، كانت الأعشاب المفروشة داخلها كأنها بساط حريري أخضر، تجد أنك ستستسلم لجماله الأخاذ لا محالة، تريد النوم فوقه طيلة حياتك أو البقاء والتقلب فوقه، واحذر فقط أن تصطدم بجذوع إحدى الأشجار فتتأذى من قسوة الضربة التي ستنساها بمجرد أن يمتزج خرير المياه مع صوت الأطيّار ويرسم النسيم الهادئ فوق صفحات مشاعرك ألوان الحياة فلا تبصر غير لون السعادة لونا وتختار في التناغم بين حفيف الأوراق ورقصات الأزهار، فتتحرك عواطفك حتى كأنك تريد أن تترك روحك تحلق في جوانبها.

في كل لحظة أو في كل نصف لحظة، تجد أيادي تلك المشاهد تحضنك وتعانقك دون أن تضيق أنفاسك وتلقي نفسك إليها راضيا مطمئنا.

سارت الفتاتان بحذر وقالت إيستارا: ابقى ممسكة بيدي، ولا تحاولي سبقي، فهذه

المناظر الجميلة قد تسرق منك الحياة في أية لحظة.

قالت جوساي: حاضر، لا تقلقي، سأفعل ما تقولينه، لكن لماذا تتحدثين وكأنه يمكنك إنقاذ نفسك من وحش!

بعد السير ببطء وحذر شديدين لمدة ليست بالطويلة، لمحت جوساي أشجار البندق، فلم تصدق ما تراه عيناها، ولم تستطع أن تتمالك نفسها، فتركت يد إيستارا وانطلقت نحو الأشجار مباشرة، لتسقط وتبدأ بالتدحرج على منحدر يكسوه العشب.

انفلت الخيط من يدها، أما إيستارا فبدأت تقول بصوت عالٍ: تمسكي بالأعشاب... تمسكي بها. سرعان ما نفدت جوساي كلام إيستارا وتوقفت عن التدحرج. تنفست إيستارا الصعداء، وقالت: حمدا لله أن جذور هذه الأعشاب قوية، وإلا لكان أمرك انتهى. قالت جوساي: ماذا دهاك يا إيستارا؟ العشب ناعم جدا، لم أتأذ، ولم تكن توجد أية شجرة في طريقي.

أمسكتها إيستارا وقالت: هذا البساط الأخضر الناعم والجميل، بساط كاذب، ولو لم تتمسكي بالأعشاب القوية لكنت متّ. حملت إيستارا بعض الحصى بيدها، ثمّ بدأت ترمي بها بجوار ذلك المكان، ليصدر صوت سقوط الحصى في الماء.

اقتربت الاثنتان من ذلك الموقع وقالت إيستارا: هذه ليست مجرد مياه متجمعة هنا، إنه بئر شديد العمق. مستوى المياه بعيد عن فوهة البئر، هذا يعني أنك لو سقطت ولم يكن هناك أحد لإنقاذك فستموتين حتى وإن كنت تحسنين السباحة.

ابتلعت جوساي ريقها ثمّ قالت: الحمد لله، لكن كيف عرفت أنه بئر شديد العمق؟ - أين ذهب ذكائك؟ من خلال قصبة طويلة دفعتها في مياهه، استنتجت أنه بئر عميق جدا.

ارتعبت جوساي كثيرا وقالت: كدت أن أغرق فيه، كيف عرفت أنه موجود هنا؟

كذلك لم لم تقولي لي هذا عندما دخلنا إلى هنا؟

- عندما دخلت البارحة كنت أمشي وأرمي الحصى عشوائيا، وأصدرت واحدة صوت سقوط في الماء، فبدأت أرمي بحذر شديد حتى عرفت موقع المياه. ولو أنك راقبت العشب لوجدت أن العشب في هذا المكان يبدو جليا أنه أزيح وأعيد إلى مكانه، هذا جواب كيف عرفت، أما جواب سؤالك الثاني، فلم أرد إخافتك أكثر، لأنك كنت خائفة ما إن دخلنا، فلم أرد أن أضاعف خوفك، وربما قلت لي أنه من الممكن وجود آبار أخرى، وبذلك ستفرضين مرافقتي، أنت لست مجنونة مثلي حتى ترفضني التراجع، أما أنا، تعلمين أن الفضول يسوقني.

قالت جوساي: ما الدليل على أنه لا توجد آبار أخرى في هذه الغابة؟  
ردت إيستارا: لا دليل، لكنني رأيت العصافير تحوم في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر، لذلك لا بد من أنه الوحيد.

قالت جوساي: حسنا، سمعت الكثير، دعينا نأخذ ما أتينا لأجله ثم لنعد أدراجنا.  
قالت إيستارا: حسنا، املئي السلتين ريثما أعود إليك، أريد التجول.  
- مستحيل، يجب أن تبقي أمامي دون أن تبتعدي عني، وإذا أردت الذهاب إلى أي مكان فسآتي معك، لا يمكنني تركك تذهبين وحدك فالمكان موحش جدا.  
- إذن، اتركي السلتين وتعالني معي، لكن ببطء، واحذري أن تنزلق رجلك، سترين شيئا لم تريه من قبل في حياتك.

قالت جوساي: أتساءل في نفسي عن هذا الشيء الذي سأراه، لا تقولي أنه جبل ضخم من البندق؟

- اصمتي يا جوساي فنحن وسط الغابة، خطأ صغير قد يجعل حيوانا ضاريا يفتك بنا في لمح البصر، فاصمتي أرجوك واتبعيني فقط. هكذا بقيت إيستارا تتقدم ببطء،

وخلفها تمشي جوساي في حذر شديد، وما هي إلا لحظات حتى رأتا مكانا تكاد لا تراه العين وحيوانا جميلا كان نائما.

قالت جوساي لإيستارا: هل ذاك نمر؟

ردّت إيستارا: إنه يشبهه، إذ أنه مخطط بخطوط سوداء، لكن لونه الأبيض، عيونه الزرقاء وأنفه الوردي، هذه الأشياء هي ما تحيرني، حقا إنه بديع المنظر، أما الآن فدعينا منه ودعينا نجتمع البندق الذي أتينا من أجله، ثم لنعد أدراجنا، فقد ملئت هذه الغابة.

قالت جوساي: تعين أنا لن نعود أبدا لجني البندق؟ لا، لا أتفق معك في هذا.

- ماذا دهاك، أنسييت أنه توجد وحوش ضارية، والحمد لله أننا لم نصادف حتى الآن أي حيوان مفترس، وإلا لأصبحنا طعاما له ولصغاره.

- إذن ساعديني في جمع البندق، بعدها سنغادر مباشرة، معك حق في كل كلمة قلتها للتو.

بعد أن ملئتا السلتين، قطفتا بعض الزهور الجميلة والعطرة من تلك الغابة، حتى توها إيمي أنهما ذهبتا حقا لقطف الزهور وإهدائها لها وللجدة ياريكا.

قالت جوساي بنبرة صوت يملؤها الفزع: إيستارا، أين الخيط الذي كنت أمسك بأحد طرفيه؟

أجابت إيستارا بسكينة: عند البئر الذي كدت أن تسقطي فيه، هيا، فبعد قليل سنصل إليه، لا تخافي، علّمتُ الأشجار التي مررنا بها، ألا تذكرين ذلك؟. لم يمض وقت طويل حتى وصلتا إلى البئر الذي كادت تسقط فيه جوساي، وهنا فرغت جوساي فرعا شديدا، فلم تر أي أثر للخيط.

قالت: إيستارا، دعينا نركض ونسرع بالخروج، أنا جد خائفة.

- لا تكوني جبانة بسبب أنك لم تجدي خيطا كان معك، انظري، ها هو ذا، لا



تقلقي، استريحي من خوفك.

قالت جوساي: صدقيني، ظننت أن شيئاً ما يحدث معنا، قلت في نفسي أننا لن نعود إلى المنزل.

قالت إيستارا: لتتابع المسير حتى نخرج من هذه الغابة، لقد سئمتها حقاً. عاد الاطمئنان إلى قلب جوساي بعد الخوف الذي انتابها، وواصلتا المسير حتى وصلتا إلى المخرج، المنفذ الموجود في السياج الذي دخلتا منه. مباشرة وضعت جوساي السلة من يدها وجلست على الأرض المعشوشبة كي تطرد كل الخوف. فجأة قالت إيستارا بصوت عالٍ: جوساي اركضي، وانطلقت هذه الأخيرة تركض بأقصى سرعة، حتى انتبهت إلى أن إيستارا تضحك، فعادت إليها ودفعتها بقوة لتسقطها أرضاً. قالت: ما هذا المزاح يا إيستارا، كاد يتوقف قلبي عن النبض، ألم أقل لك دعك من هذه الأفعال؟

بينما كانت إيستارا على الأرض حتى قالت وهي باسمة: أليست لديك ذرة من الشجاعة يا ابنة خالتي؟ كل ما تعرفينه هو الخوف والركض، إني أحاول فقط أن أجعلك شجاعة، فمن لا يملك الشجاعة لن يُرضي فضوله.

مدت جوساي يدها إلى إيستارا قائلة: لنعد الآن رجاء، تأخرنا كثيراً بسبب مزاحك السيئ.

حملت الفتاتان السلتين وعادتا إلى المنزل وقبل الدخول قالت إيستارا: اذهبي وخبئي، حتى لا تعلم أُمي فنتعرض للضرب.

- حسناً، انتظريني قليلاً، ريثما أذهب وأخبئه في مكان آمن. بعد أن خبأت جوساي البنديق عادت، وقامت هي وإيستارا بوضع الزهور في كلتا السلتين ودخلتا. وجدتتا إيمي تتبادل أطراف الحديث كالعادة مع أمها، فقبلتاها وأهدتا الزهور لهما، وكانت الفرحة غامرة قلوب الجميع فالتفاتة صغيرة من طرف، قد تجعل الآخر طيراً محلقاً

في السماء، مرفرفا بأجنحة المودة.

انتهى اليوم كالعادة، وقبل النوم تذكرت الفتاتان أنهما تركتا البندق خارجا، فذبل وجه جوساي وهي التي كانت تنتظر لحظة الجلوس وكسر البندق بفارغ الصبر، لكنها لم تكن لترضى ببقاءها بعيدة عن البندق.

قالت: إيستارا، دعينا نحمل شمعة ونخرج سوياً لإحضاره، ظللت النهار أنتظر أن آكل ولو قليلاً، هيا لنحضره.

- يا كسّارة البندق، هناك مشكلة كبيرة وهي في كيفية الخروج، فليس بإمكاننا الخروج لأن أُمّي تغلق الباب بالمفتاح وتخبأه في مكان أجهله.

- منذ متى وهي تخبأ المفتاح؟ فحسب ما أذكر لم تكن تخبأه العام الماضي عندما أتينا لقضاء العطلة معكم.

أجابت إيستارا: نعم، لأنّها لم تكن تعلم آنذاك أنني أسير ليلاً دون أن أدرك.

ضحكت جوساي من كلام إيستارا وقالت: ابنة خالتي تسير ليلاً، هذا لا يصدق، هذه أجمل طرفة سمعتها في حياتي، ابنة خالتي تسير ليلاً!

- اصمتي ودعك من الضحك، فلا شيء يضحك، هيا اخلدي للنوم.

قالت جوساي: لكن البندق، يجب أن آكل ولو قليلاً، أي حظ هذا؟ عندما ظننت أنني من أسعد الناس، وجدت أنني من أتعسهم، واحسرتاه.

قالت إيستارا: إليك هاته الحبات التي كانت في جيب تنّوري، كليها ثم اخلدي للنوم.

- شكراً لك، أنا أعلم أنك تحبينني كثيراً، وأنت ذكية جداً، أعطني كل البندق الذي

جنيناه، أعدك أنني سأفنيه الليلة، بقبضة واحدة أكسر عشرة!!

ردت إيستارا: أنت صماء، كأنك لم تسمعي ما قلته للتو، قلت لك حبات كانت في

جيب تنّوري. لكن جوساي لم تسمع هذه الكلمات الأخيرة بتاتا.

تناولت جوساي تلك الحبات واستمتعت بطعمها الذي لم تذق مثله في حياتها. قالت: اسمعيني، سأخرج لأجلب كل البندق مهما كلف الثمن، حتى لو اضطرت للخروج من النافذة، لم أعد أحتمل، البندق هنا وهو بعيد، سأكله نيئا ولن أملّحه أبدا.

- لن تستطيعي الخروج من النافذة أيضا، فأمي تغلقها من الخارج، تغلقها من الخارج لأنني أسير ليلا، وكما تعلمين، تخاف علي كثيرا فأنا في الأخير أكون ابنتها الوحيدة.

قالت إيستارا بفتور: أرجوك اخلدي للنوم، ستأكلينه في الغد إن شاء الله، طبعاً إن كان مقدراً لك أن تأكله، هيا نامي. وكان الرد جميلاً هذه المرة، فقد قالت جوساي: حسناً، سأنام، تصبحين على خير.

بعد أن غرقت إيستارا في أمواج متلاطمة من النعاس، قامت جوساي لتحاول الخروج، لكن سرعان ما شعرت بيد تمسكها.

قالت إيستارا: إلى أين تريدان الخروج يا حبة البندق؟ لن تخرجي، ستأكلك جوساي، إنها لطيفة، لكن إن تعلق الأمر بك فإنها شريرة، هيّا ونامي.

همت جوساي بالخروج ومجددا سمعت: حبة البندق عودي ونامي ولا تحاولي التذاكي.

قالت جوساي: ما هذه المجنونة، هل تتكلم أثناء نومها أم هي مستيقظة؟ على أية حال سأعود وأنام حتى لا توقعني في مشكلة.

عادت جوساي إلى فراشها، لتقول إيستارا: حبة بندق مطيعة، نامي قبل أن يأتيك شبح جوساي يقول يامي... يامي، ويأكلك، ثم نزعته إيستارا الغطاء عن وجهها قائلة: إنني آسفة، كنت أمزح معك، والآن نامي، أنا أتكلم بجد. لحظات ونامت الاثنتان.

في الصباح، استيقظت جوساي في الوقت الذي استيقظت فيه خالتها إيمي، ولم تفهم إيمي ماذا جرى لجوساي، حتى ظنت أنها قد أحدثت جلبة جعلت جوساي تستيقظ، فقالت: جوساي عزيزتي، هل أيقظتك عندما فتحت الباب، آسفة؟

- لا يا خالتي، لا شيء من هذا، استيقظت من النوم ولم تعد لديّ رغبة فيه، أشعر  
أني نلت قسطا كافيا من الراحة.

- حسنا، اغسلي وجهك، وسأحضر لك الفطور، ستجدينه في المطبخ.  
أعدت إيمي فطور الصباح لجوساي، أما جوساي فذهبت مباشرة ودون أن تبدأ  
بتناول فطورها إلى المكان الذي خبأت فيه البندق. لم تجد أية حبة، وكادت تصرخ: أين  
بندقي، أين بندقي؟. لكنها اكتفت بقول: ما هذا الحظ التعيس؟ كل البندق اختفى، أنا  
واثقة أنني وضعته هنا قبل أن ندخل إلى المنزل ومعنا الأزهار، سأذهب وأسأل إيستارا، ربما  
خبأته في مكان آخر.

اتجهت مسرعة إلى الغرفة، وكانت إيستارا قد استيقظت لتوها، فقالت جوساي: جيد  
أنك استيقظت، ذهبت لأحضر البندق، لكنني لم أجد حبة واحدة، هل خبأته في مكان  
آخر؟

ردت إيستارا بنبرة صوت هادئة جدا: كيف أغير مكانه، وأنت من خبأته؟  
لحظات و قالت جوساي: مهلا... مهلا... أيعقل أن خالتي رآته فأخذته ونسيت أن  
تعطيه لنا؟

قالت إيستارا: أين خبأته البارحة؟  
ردّت جوساي: بالقرب من إحدى الأشجار القريبة من المنزل.  
قالت إيستارا: أممم، أظن أنني عرفت من كان السبب، أولا: غبائك، وثانيا  
السنجاب، لا شك أن هناك سنجابا ما، ما أغباك، كيف خبأته قرب الشجرة، ألا  
تعلمين بوجود السناجب التواقة لأكل البندق، ولم تمسك إيستارا نفسها من شدة  
الضحك جراء ما جرى.

- يا لحظي التعيس، سأذهب لتناول فطور الصباح، أما أنت، فاذهي لغسل وجهك،

سأذهب مجددا إلى الغابة لجني البندق.

- اذهبي وحدك، سبق وقلت لك البارحة أنني مللتها ولن أعود إليها.

قالت جوساي: حسنا، سأذهب وحدي، لست خائفة من أي شيء، سأجمع البندق ولن تأكلي معي ولو حبة واحدة.

ذهبت إيستارا لغسل وجهها، وبينما هي تقوم بتنشيف معالم الجمال المتجسد في محياها البديع، حتى رأت جوساي تقابل المرأة.

قالت لإيستارا: ألن تنظري للمرأة؟. ردّت إيستارا: من لديهم شك في جمالهم ينظرون إليها، أما أنا فالمرأة تتمنى لو تستطيع أن تسترق النظر مرة واحدة لتتنظر إلى جمالي.

قالت جوساي: أنت مغرورة فقط!

قالت إيستارا: حسنا، سأريك تواضعي. قالت: إن عشتُ سأكبر، وسيتلاشى جمالي، ما الفائدة في هذه الحالة من الجمال الدنيوي.

ردّت جوساي: كأن هذه ابنة خالتي الحكيمة!

كانت الشمس قد أشرقت، وفعلا، أخذت جوساي السلتين وهي عازمة على اقتحام الغابة من جديد وجمع البندق، وما إن وصلت إلى المنفذ، حتى سمعت إيستارا تقول بصوت عالٍ: انتظري، انتظري، ألن تأخذيني معك؟

ابتسمت جوساي وركضت نحو إيستارا تعانقها. قالت: كنت أعلم أنك لن تتركيني أذهب لوحدي، شكرا لك، لكن لماذا جلبت هاته السلة الكبيرة؟

- جلبتها لنعيد البندق الذي كان مقدرا للسنجاب أن يأكله وبهذا نكون استرجعنا ما جنيناه بأيدينا ولم نأكل منه سوى بضعة حبات، أقصد أنك أكلت منه بضعة حبات.

دخلتا إلى الغابة، وبعد مدة وصلتا إلى أشجار البندق المرجوة. جمعتا البندق حتى امتلأت السلال الثلاثة كلها، سلتين صغيرتين، وسلة كبيرة نسبيا. لما همتا بالعودة قالت

جوساي هل تسمعين ما أسمع يا إيستارا؟

ردت إيستارا: لا أسمع شيئاً.

- أنصتي جيداً فهناك صوت أنين، لا بد أنه صوت حيوان جريح؟. لحظات قليلة

فقط لتقول إيستارا: أجل لقد سمعته، لكن من أين هو قادم؟

بقيت الاثنتان هادئتان، تحاولان ترصد مكان الصوت. قالت جوساي: اتبعيني يا

إيستارا، أظني عرفت.

وضعتا السلال، وبدأتا بتتبع مصدر الصوت بخطوات بطيئة، لحظات وصار الصوت

أقرب جداً وقالت جوساي: هل يعقل أنه آت من خلف هاته العرائش المتراكمة هنا، لنر

ماذا يوجد خلفها، هيا ساعديني يا إيستارا برفعها.

بعدما رفعتا تلك العرائش تفاجأت الاثنتان بما رآته عيونهما، فلأسف، كان ذلك

الحيوان الجميل الذي أبصرته بالأمس، كان جريحاً، ولا يزال ينزف.

قالت جوساي: من الجلي أن بعض الوحوش الضارية هاجمته أثناء غياب أمه يا

إيستارا؟

- لم تنطق إيستارا بكلمة واحدة، كانت تفكر في طريقة يمكن من خلالها إنقاذه،

وكان تحقيق أمنيتها قريباً ولا تستطيع تحقيقها. شقّ قلب إيستارا وجوساي لذلك المنظر،

وكأنهما غير مصدقتين لما تراه عيونهما، وبدأت ترتجف أيديهما فصفحات الحياة تقلب في

لمح البصر، البارحة كان يجري ويمرح في أرجاء الغابة، واليوم يبدو وكأنه على مشارف

الموت، يترنح بين الحياة والموت.

أخافهما المنظر القاسي للحيوان الجريح، وهو بين أنياب الموت. همتا بالعودة مباشرة،

لكن قلب إيستارا الرقيق لم يطاوعها لتركه في تلك الحالة والعودة.

قالت إيستارا: يجب أخذه إلى المنزل لمعالجته قبل أن يفقد المزيد من الدم ويفارق الحياة

التي لم يأت إليها إلا قبل أشهر قليلة.

- صحيح أنه ينزف وقد يموت، لكن لا يمكننا أخذه معنا، هو حيوان مفترس، يستحيل عليه التعايش معنا، سنصبح فريسة له في يوم من الأيام، يجب تركه في الغابة، فهي موطنه، دعينا نرجع أدراجنا يا إيستارا متمنين له النجاة.

- لا تكوني قاسية يا جوساي، المسكين ينزف وقد يغادر الحياة في أية لحظة، وأنت تتفوهين بهذا الكلام، كيف ينجو إذا تركناه على هذه الحال؟

- اسمعي يا إيستارا، صحيح أنه جميل لكنه يشبه النمر أو الفهود، هذا يعني أنه مفترس، لذلك يجدر بنا الذهاب وعدم المخاطرة، ماذا لو نجا فعلا بعد معالجته وهجم علينا، ألن تقولي حينها لو تركناه ذلك اليوم يموت لما وصل إلى حد مهاجمتنا؟

- ربما يكون حيوانا مفترسا، لكن من الخطأ توقع نتائج الأمور التي فعلها خير، حتى ولو هاجمنا لا يمكن لومه فذلك طبعه، كذلك نحن لن نتركه يعيش معنا، فما إن يتعافى حتى نعيده إلى موطنه في هذه الغابة، وأخيرا، هل هناك ما هو أجمل من إنقاذ حياة؟  
قالت جوساي: لا أدري ماذا أقول، لكن كوني متأكدة من أن خالتي لن تدعنا نعالجه البتة، ستأمرونا بإعادته فورا من حيث أتينا به.

- لا عليك، إن لم تتفهم سأقنعها بطريقي. قالت جوساي: انتظري قليلا يا إيستارا، هل لديك أية فكرة عن طريقة حمله إلى المنزل؟

- لا نأخذ إلا ما هو مقدر لنا، والبندق الذي في السلة الكبيرة ليس مقدرنا لنا أخذه، أسرعني وأفرغي السلة الكبيرة لنضعه داخلها.

لحظات وقالت إيستارا: هيا يا جوساي، بسم الله. ما إن حملتا الحيوان الجريح وهمتا بوضعه داخل السلة، حتى رأتا بقعة شديدة السواد، ذات شكل دائري، بقطر صغير نسبيا.

قالت إيستارا: الفضول، الفضول... فجأة قالت: لا، قد يموت، يجب أن نسرع بأخذه إلى المنزل، صحيح أي فضولية، لكن حياته أهم الآن.

وضعتا الحيوان الجريح في السلة الكبيرة وتلطخت يداها بالدماء، لكنهما لم تباليا بتاتا، كان هُمهما الوحيد هو الإسراع للوصول إلى المنزل قبل فوات الأوان. تعاونتا على حمل السلة الكبيرة، وكل واحدة منهما تحمل سلة صغيرة مليئة بالبندق بيدها الثانية.

قالت إيستارا لجوساي: ما إن نصل إلى المنزل، حتى آخذه إلى أمي، أما أنت فأسرعي وأدخلي البندق إلى غرفة نومنا اتفقنا.

ردت جوساي: حاولي فقط أن تقنعي خالتي بتركنا نعالجه لينجو من الموت. وهكذا تعاونت الاثنتان على حمل الحيوان الجريح إلى المنزل.

كانت إيمي والجدة في الحديقة، تنزعان النباتات الشائكة، وما إن رأتهما إيستارا حتى تكفلت بحمل السلة التي بداخلها الحيوان الجريح وطلبت من جوساي أن تدخل البندق إلى داخل المنزل. بدأت تنادي بأعلى صوتها: تعالي يا أمي، أسرعي، أسرعي... في حين كانت جوساي تستعد لإدخال سلتها البندق بعد أن تلهي إيستارا أمها وجدتها فلا تنتبها لدخولها.

ما إن سمعت إيمي صوت ابنتها حتى تركت كل شيء، وأقبلت بسرعة نحوها، أما ياريكا فسارت خلف ابنتها إيمي بخطوات بطيئة، قالت إيمي لابنتها: ما هذا الذي تحملينه يا ابنتي، وما هذه الدماء التي تقطر من السلة؟

قالت إيستارا بنبرة صوت محتشمة: أمي، رجاء لا تغضبي لأني أحمل حيوانا جريحا في هذه السلة، وقد غطيته بالأعشاب حتى لا ينتبه أي من الأطفال عليه. نzf الكثير من الدماء، إن لم نسرع بمعالجته فقد يموت، وأنا لا أريده أن يموت... فجأة سالت الدموع على وجنتيها وهي تقول بنبرة صوت باكية: أمي لا أريد أن يموت، لا أريد أن يموت...



مسحت ياريكا دموع حفيدتها، أما إيمي فقالت: طبعاً يا ابنتي سنعالجه بأقصى سرعة، لا تقلقي، سينجو بإذن الله.

عانقت إيستارا أمها بشدة وهي تقبلها وتقول: شكراً جزيلاً لك يا أمي، وأنا آسفة جداً.

- لا تشكريني يا ابنتي، لكن أين جوساي؟

بعد فترة قصيرة عادت جوساي وما إن لمحتها إيستارا حتى نادى عليها قائلة: تعالي يا جوساي، لقد وافقت أمي على علاجه، فأقبلت جوساي إليهن وقالت: شكراً لك يا خالتي.

- ما خطبكما؟ إنني طيبة القلب جداً، ومرهفة الحس، حسناً اذهبا وارتاحا، فلديكما الكثير لتشرحانه بعد أن أعالج هذا المسكين، هيا ولا تبقيين أمامي حتى لا يتشتت انتباهي.

بدأت إيمي بتنظيف جراحه، وبعد أن انتهت من تنظيفها جيداً قامت بتضميدها، ثم أخذته إلى الإسطبل، أين وضعته في مكان منعزل، كانت فرشته ببعض العشب الناعم ووضعت حاجزاً من الأخشاب حتى لا تدوسه حوافر الأحصنة أو الأبقار.

لم تدرك إيمي ماذا تعطيه كي يأكل، فقد كان عاجزاً عن الحراك، ولا حتى تحريك فكيه، فأخذت تحاول جعله يشرب بعض الحليب، فعلت ذلك بصعوبة شديدة ثم تركته يتعافى. خرجت من الإسطبل ووجدت ابنتها وجوساي قد صنعتا لها باقة من الورد الجميلة، تركتاها قرب باب المنزل، تعبيراً عن امتنانهما لما فعلته، وما إن رأت إيمي الباقة حتى اتجهت إلى إيستارا التي كانت داخل المنزل وقالت: شكراً لكما على الباقة، لكن هذا لا يعني أنني لن أسألكما عما قمتما به من اقتحام للغابة.

قالت إيستارا وقد أخفضت رأسها: حسناً يا أمي، نحن لم نهد لك باقة الورد لنعقد

صفقة بيننا، إنها مجرد تعبير عن شكرنا الذي لا يرقى ولو قليلا للعمل النبيل الذي قمت به للتو.

ردت إيمي: ابتنائي، صغيرتاي، العمل النبيل كان ما قمتمما أنتما به، جل ما فعلته أنا هو معالجته ليس إلا.

كانت الجدة ياريكا قد أتمت طهو الغداء، واجتمع الجميع على المائدة، وبعد الانتهاء أخذوا قيلولته حتى يستعيدوا نشاطهم ويكملوا اليوم بنشاط.

الكل أخذ قيلولته إلا جوساي التي كانت مهتمة بالبندق، كأنها كانت تحاول الانتقام من ليلة البارحة عندما لم تأكل سوى بضعة حبات.

بعد القيلولة خرجت إيستارا من المنزل مسرعة، فجأة سمعت جوساي تنادي عليها: إلى أين أنت ذاهبة يا إيستارا؟ انتظري، أنا قادمة.

قالت إيستارا في سرها: هل هذا الوقت المناسب لصراخك؟

توقفت في مكانها في انتظار وصول جوساي إليها التي قالت: إلى أين أنت ذاهبة، كنا صباح اليوم داخل الغابة؟

قالت إيستارا: جوساي، أرجوك عودي إلى المنزل ريثما أعود، أعدك أي لن أطيل الغياب، فهناك شيء يحيرني وعلي معرفته.

قالت جوساي: لكن احذري هذه المرة، فرما واجهتك الوحوش، ثم قالت: لا، لن تذهبي.

- دخلنا مرارا وتكرارا دون أن نصادف أي وحش، لذلك تمّي أن لا أصادف أي وحش وأعدك، هذه المرة ستكون المرة الأخيرة التي أدخل فيها إلى الغابة.

- لدي فكرة، سأجلب السلتين لكي نجني المزيد من البندق وأنت حاولي معرفة ما يحيرك، اتفقنا؟. لتزد إيستارا: أسرعني إذن.

أحضرت جوساي السلتين، هذا بعد أن أفرغت ما تبقى فيهما داخل الغرفة، ودخلت الاثنتان مجددا إلى الغابة.

قالت جوساي لإيستارا: أليس غريبا أننا في غابة دخلنا إليها مرارا وتكرارا ولم نر أي حيوان مفترس سوى ذلك الحيوان الذي وجدناه جريحا؟

- معك حق، لذلك أظن أن الوحوش المفترسة تستوطن نواحٍ أخرى من نواحي هذه الغابة، والحيوان الذي وجدناه ربما حاول حيوان آخر افتراسه نظرا لحجمه الصغير نسبيا. تركت إيستارا ابنة خالتها عند أشجار البندق، أما هي فأتجهت إلى البقعة السوداء التي كانت بالقرب من الموضع الذي حملت منه الحيوان الجريح، وقالت: لا بد أن أعرف، فالفضول يسوقني في هذه الحياة، وما لبثت أن وصلت إلى المكان الذي حملت منه ذلك الحيوان.

قالت: سأبدأ بالحفر في هذه البقعة السوداء، فلا يعقل أن يوقد شخص ما النار ثم يدفن الرماد ويضعه في حفرة صغيرة كهذه. بدأت بالحفر، كان قطر الحفرة صغيرا نسبيا، وقالت: لا بد أنه اضطر للمبيت هنا وأشعل النار لكي يخيف الحيوانات، لكن لماذا دفن الرماد في حفرة صغيرة، هذا الأمر محير جدا؟

وبينما هي تحفر، حتى أحست كأن يدها تلامس شيئا صلبا، فزادت رغبتها في معرفة الشيء ذاك، وحفرت حتى استخرجت وردة معدنية. كان طولها حوالي ثلاثين سنتمترا، وبرعمتها عدة ثقبوب جانبية. نفضتها من الرماد جيدا ثم قالت: شكلها يشبه الوردة تماما، لكن لا تبدو لي وردة ذهبية أبدا، ولا وردة نحاسية حتى، ما هذه يا ترى؟

لحظات وقالت: سأخذها!

ثم ترددت وقالت: لا، لا، يجب أن أعيد كل شيء كما كان، يجب أن أعيدها هي الأخرى كذلك فهي ليست من حقي.

نظرت مجددا بتمعن إلى الوردة، ولاحظت أن معدنها البرتقالي براق. قالت: لا يمكن إنكار أنها بديعة المنظر، إنها رائعة.

احتارت مجددا ثم قالت: سأخذها لأعلمه أن يحفظ أشياءه جيدا وأن لا يكون غيبا، هذا إن كان هناك حقا من أوقد النار هنا ودفن الرماد، سأخذها وأخبئها في مكان سري وإن ظهر صاحبها سأعيدها له، رغم أنني كنت أريد إهدائها لأمي، لكنها ليست ملكي، لذلك لا يمكن أن تكون هدية، رغم أنها جميلة جدا ورائعة حقا.

هذا وما إن انتبهت إلى أن الشمس قد شارفت على المغيب، حتى قالت: عليّ الإسراع بالعودة الآن.

ما إن نظرت إلى يديها حتى وجدتهما سوداوتين بالكامل فقالت: يا ويحي، ستقتلني أمي لو رأته هكذا، يجب أن أذهب إلى أقرب نبع وأغسلهما جيدا، وإلا سوف يحدث ما لا يحمد عقباه. تابعت: يا ويحي، حتى ثيابي اسودّت.

اتجهت صوب نبع عذب المياه وقامت بغسل يديها جيدا وأطراف لباسها، ثم انطلقت تركض بسرعة، ولما وصلت إلى أشجار البندق وجدت جوساي عاكفة على جني البندق وهي تشارف على ملاء السلتين، فاقتربت منها وقالت: لم لست سريعة، دعيني أساعدك لنسرع بالذهاب.

ملأتا السلتين وعادتا إلى المنزل، دخلتا خلصة كي لا تراهما إيمي، وما إن فتحت إيستارا باب غرفتها حتى قالت: ما هذا الجنون يا جوساي؟. فقد رأيت جيلين من البندق. قالت جوساي: أنتِ أطلت المدة وأنا اغتنمت الفرصة، فكنت أملأ السلتين، وأعود من جديد، وللأسف، لم أجد سلالا أخرى كبيرة في المطبخ، كل السلال كانت بحجم هاتين السلتين.

خبأت إيستارا الوردة ذات اللون البرتقالي، ثم وضعتا سلتي البندق، وخرجتا من الغرفة

سريعا، بعد أن سحبت جوساي الباب ورائها.

قالت جوساي: لا بد أنك عدت إلى المكان الذي حملنا منه الحيوان، فابتسمت إيستارا ابتسامة خفيفة.

قالت جوساي: صدقيني، سأقول لخالتي إيمي حتى تعاقبك فأنت لا تسمعين الكلام أبدا، لتسمعها إيمي وتقول: ماذا فعلت يا جوساي؟ أخبريني فقط، فردت إيستارا: لم أفعل شيئا يا أمي، لكن أظن أنها اشتاقت لتراني أعاقب، واشتقت كي تعاقبيني لأني في هذه الأيام فتاة مطيعة جدا ولا أفعل أي شيء يستحق العقاب. فابتسمت إيمي وذهبت.

كانت كل واحدة تتناول طعام العشاء وهي صامئة حتى كسرت جوساي الصمت المطبق وقواعد الأكل قائلة: تعبت كثيرا هذا اليوم، أكثر من أي يوم مضى، حتى كأني أنتظر فقط أن أنهى العشاء، وأخلد إلى النوم.

قالت إيمي: مؤكد أن تتعب، فقد استيقظت باكرا رغم أننا سهرنا ليلة البارحة حتى وقت متأخر، ثانيا، لم تستقبلي حتى، أليس كذلك؟

وقبل أن ترد جوساي، قالت ياريكا: ماذا كانت تفعل بما أنها لم تأخذ القيلولة؟. أجابت إيستارا: لا تستعجلي، بعد قليل عندما نجلس لارتشاف الشاي وتجلسان لاحتساء القهوة ستسمعين القصة بأكملها يا جدتي، لا شك أن جوساي ستضطر لشرب عدة فناجين حتى تتمكن من السهر معنا وتساعدني في سرد القصة على مسامعكما.

قالت إيمي: من الجيد أنك لم تنسي بأن عليكما شرح كل شيء. فردت إيستارا: طبعاً يا أمي، بكل صدق، سنخبرك بكل شيء.

انتهى الجميع من عشاءهم، وغسلت إيمي وأمها الصحون، ولم يمض كثير من الوقت حتى طلبت إيمي من أمها أن تذهب لتستريح قليلا في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن

فيها، بعدما أخبرتها أنها ستُحضّر القهوة والشاي.

- لا يا ابنتي، هذا كثير عليك وحدك، تعبت هذا اليوم كثيرا، سنحضر كل شيء سوية، هكذا لن نشعر بالتعب. ابتسمت إيمي ثم عانقت أمها بشدة قائلة: كم أنت لطيفة يا أمي، رغم أننا كبرنا، إلا أنّك لا تزالين تساعدننا في كل الأمور.

كانت إيستارا وجوساي في الغرفة التي جرت العادة أن يسهرن فيها، وأتت إيمي وأمها بالقهوة والشاي، وجلسن لسماع القصة التي سترويها إيستارا وجوساي، وقبل أن تبدأ إيستارا الكلام قالت جوساي: انتظري، لا يزال هناك شيء ناقص، سأحضره سريعا وإياك أن تتفوهي بكلمة قبل أن آتي.

عبرت جوساي الرواق باتجاه الغرفة وهذا لتحضر بعض البندق، وما لبثت أن عادت إليهنّ. قالت: بهذا ستكون السهرة أحلى، وتكون القصة أجمل.

قالت إيمي: بندق؟ من أين أحضرته يا جوساي؟. أجابت هذه الأخيرة: سأترك إيستارا يا خالتي لتخبرك من أين أحضرناه، ثم التفتت إلى إيستارا، بإشارة من حاجبيها جعلت إيستارا تفهم أن عليها البدء بسرد القصة.

قالت إيستارا: إنه أحد الفصول الرئيسية في القصة التي بدأت عندما ذهبنا لقطف بعض الأزهار، كنا نمشي بمحاذاة السياج الذي يحيط بالغابة ثم وجدنا مدخلا إليها، في المرة الأولى دخلت وحدي دون أن تدخل جوساي وكانت تريد إخبارك رغم كل كلمة قلتها لها، لقد كانت مصرة على إخبارك. هنا نظرت جوساي إلى خالتها وأشارت إلى نفسها وقالت: لتعلمي يا خالتي أنني مطيعة لأوامرك، أما إيستارا فأكملت: لذلك لجأت إلى نقطة ضعفها، وقبل أن تكمل إيستارا الكلام، ضحكت ياريكا وقالت: الكل يعلم يا جوساي أن نقطة ضعفك الدغدغة والبندق، أليس كذلك يا إيستارا؟

- بلى يا جدتي، إنك على حق، فقد دغدغتها حتى قطعت لي وعدا أنها لن تقول

أي شيء، لا لك ولا لأمي، وفي صباح الغد قلت لها أن هناك شجرة بندق في الغابة وحينها لم تتردد بالمجيء معي على الإطلاق، جنينا البندق وكنا رأينا ذاك الحيوان، نظرت إيستارا إلى جوساي وقالت: حان دورك لتكلمي، هيا.

في اليوم الذي جنينا فيه البندق خبأته خارجا كي لا ترينه فتسألاننا من أين أتينا به، لكن للأسف، نسيته، وكنت قد أوصدت الباب يا خالتي ولم نستطع الخروج لذلك استيقظت اليوم باكرا لأحضره، لكن للأسف، فالسنجاب أكله، لذلك عدت مع إيستارا التي لم تكن تريد العودة للغابة، جمعنا البندق ووجدنا ذلك الحيوان جريحا، فأتينا به وانتهت القصة.

قالت إيمي: إذن، العقل المدبر كنت أنت يا إيستارا، لماذا دخلت إلى الغابة؟  
- صدقيني يا أمي، دخلت إلى الغابة فقط من أجل المغامرة لا غير، ونسبة ضئيلة أني أردت رؤيتها من الداخل، لأجل هذا فقط.

- اسمعاني الآن، أول خطأ هو أنكما لم تطيعا كلامي، دخلتما الغابة التي كان من الممكن أن تنتهي حياتكما فيها، والخطأ الثاني هو الكذب، كم مرة قلت لكما أن تبعدا عن هذا التصرف السيئ؟

طأطأت الفتاتان رأسيهما وقالت إيستارا: نحن نقر أننا أخطأنا، يمكنك معاقبتنا كيفما شئت، لكن الفضول يا أمي لا يتركني!

- انسيا أمر العقاب، هذه أول مرة لا تطيعان فيها كلامي، وكذلك أول مرة تلجئان فيها إلى الكذب، لكن لا تعيدا فعل هذا مرة ثانية.

أقبلت الفتاتان نحو إيمي تقبلانها، وقالت إيستارا: أنا أعلم يا أمي لماذا لم تقومي بمعاقبتنا، هل أخبرك؟

قالت إيمي: أخبريني يا ذكية لماذا؟

- أولا كان الخطأ الأول، وثانيا حتى لا نكسر ثقتك، ونعيد الخطأ نفسه ثانية، ثالثا لأننا صغيرات، لهذا لم تعاقبينا هذا كل شيء.

- أخطأت يا ابنتي.

قالت جوساي: يا ذكية، إننا في وقت متأخر من الليل، لذلك تخلت عن معاقبتنا، أليس كذلك يا خالتي؟

عانقت إيمي جوساي بشدة، وضمتها إليها قائلة: من أين تأتين بهذه الأفكار، طريقة تفكيرك تجعلني أبتسم!

قالت إيستارا: لماذا يا أمي لم تعاقبينا إذن؟

قالت ياريكا: أنصتا يا حفيدي، لم تعاقبكما حتى تتعلما أن لا شيء أسمى في هذه الحياة من التسامح والعفو. الآن اذهبا للنوم، فقد تأخر الوقت كثيرا. قبلت جوساي كلا من خالتها وجدتها، وقالت: تصبحان على خير، أنا جد متعبة، إيستارا، هيا دعينا نخلد للنوم، قبلت إيستارا كلا من أمها وجدتها، وبدأت بالسير. لحظات وناقتها إيمي قائلة: تعالي إلى هنا يا ابنتي.

استدارت إيستارا إلى أمها قائلة: حاضر يا أمي، هل من شيء تودين مني القيام به؟  
- لا شيء، فقط لأرى إن كنت تعلمين لماذا عاجلت الحيوان الجريح بالرغم من أنه حيوان مفترس؟

أجابت إيستارا: لا بد أنك أشفقت عليه وهو في تلك الحالة، كما أشفقتُ عليه أنا وجوساي وحتى جدتي، فابتسمت إيمي وقالت: أردت أن أحقق أمنيته الأولى وهي إنقاذ حياة من الموت.

عانقت إيستارا أمها بشدة، ثم قالت: لم أكن أعلم أنك تهتمين لأمنياتي، تصبحين على خير يا من أضعت قلبي في تفاصيل حبها. قالت: رمال الحب تنساب بين ثناياك



الليليه، ورياح الشوق تعبر من خلال تفاصيلك المسكيه، زهور العمر تسأل عن مياهاك الطيفيه وأطيار قلبي تريد أن تبهج لياليك الصيفيه، أحاسيسي المكسورة ستجتمع في لمسة من أيادي أحلامك الوردية، لتسبح في بحارك السحريه... سأذهب لأكتبها فوراً في الدفتر الذي أهدته لي ريتو، بعدها سأنام مباشرة، وأرجو أن تكون كلماتي أرضتك يا شمس قلبي في ظلمة ليلي.

ابتسمت إيمي وقالت: من حسن حظي أني أمك وأنت ابنتي، أما ياريكا فقالت مخاطبة إيمي: أرى أنك على خطي أهلك تماماً.

قالت إيمي: لا تنسي أن أبي كان على خطاك يا أمي.

فجأة عادت إيستارا وقالت: أمي، نسيت أن أسألك شيئاً، قالت: ذلك الحيوان ليس نمراً، وليس فهداً، رغم أنه يشبههما، فما اسمه؟

- إنه من فصيلة السنوريات ويدعى البر الأبيض، هناك عدة أنواع من الببور لكنه الأجمل، بفروه الأبيض المخطط بالأسود وخاصة عيونه الزرقاء وأنفه الوردية، كل هذا يجعل منه حيواناً ذو مظهر ساحر ومن أجمل الحيوانات، خُلق ذلك الحيوان ليعطي مفهومًا للجمال، لكنه يعد مفترساً بالرغم من جماله وروعته، لذلك سنعيده للغابة ما إن يستعيد عافيته بشكل كامل، والآن إلى النوم.

## الفصل الخامس: المكعبات الغريبة

" بالتأكيد إنها ليست المعرفة، بل التعلّم، ليس الامتلاك بل الاكتساب، ليس الوجود هناك، بل

الوصول إلى هناك، هذا ما يمنح أعظم متعة. "

كارل فريديريك جاوس

كانت إيستارا تتردد كثيرا على بيت عمتها باروانا، بيتها الثاني، خاصّة أنها كانت تعدّ باروانا أما ثانية لها، بعد أن أرضعتها هذه الأخيرة لحول كامل، حتى أن إيستارا كانت تناديهما أُمّي بدل عمتي.

كانت باروانا جالسة فوق كرسي خشبي في فناء المنزل وهي تنظر نحو السماء وتتأمل عظمتها.

فجأة سمعت إيستارا تقول: أمّاه، الناس تتأمل السماء ليلا حين تكون مرصعة بالنجوم المتلألئة والقمر الخلاب، أما أنت فتراقبينها نهارا حين لا تكون هناك أية نجوم؟ جذبت باروانا إيستارا إليها، وضمتها بين يديها قائلة: الناس نهارا مشغولون بأعمالهم، فلا ينظرون إلى السماء ولو للحظة حتى يتأملوا عظمتها، والناس ليلا مشغولون بالنوم فلا يراقبون السماء ليلا ولا نجومها، لذلك يا إيستارا: كل يعمل على شاكلته، أفهمت ما أرمي إليه؟

قالت إيستارا: حسنا، سأعمل على شاكلتك، وأنظر إلى السماء. تبادلتا أطراف الحديث لفترة ثم قالت باروانا: والآن يا ابنتي علي تحضير الغداء، لذلك اذهبي والعبي قليلا ثم عودي لتتناولي فطور الغداء، وأحضري جوساي معك. قالت إيستارا: موافقة، لكن لا تنسي أن تطبخي طعام العشاء باكرا، أنت تعلمين أن قريتنا لن تنام الليلة. ردت باروانا: طبعا، طبعا يا ابنتي الحبيبة.

تناولت إيستارا وجوساي طعام الغداء عند باروانا وعادتا مباشرة للمنزل لأخذ القيلولة، وما إن عادتا حتى وجدتا إيمي وياريكا تتبادلان أطراف الحديث فقالت إيستارا: أمي، حري بكما أن تأخذا قسطا من الراحة، نحن لن ننام الليل بطوله، اليوم لن نتناول العشاء كالعادة، وسنقدمه قليلا، فاليوم موعد إطلاق الأحجار المتقدمة.

قالت إيمي: اذهبا ولا تقلقا بشأننا.

سارت الفتاتان والتفتت جوساي إلى إيستارا قائلة: موعد إطلاق الأحجار المتقدمة؟ لم أسمع بهذا في حياتي، فما هو يا ترى؟

- اليوم وبعد العشاء مباشرة إن شاء الله، ستجتمع قريتنا الصغيرة لتشهد أحجارا متقدمة تتطاير في السماء، هذا كل شيء يا جوساي.

قالت جوساي: آه، أظنني فهمت، تقصدين سيلا من الشهب المتساقطة، لكن من أخبرك بأنه في هذا اليوم ستساقط الشهب؟

- ليست شهبًا تتساقط، بل أحجارا متقدمة، وقد تكون كريات طين، صلبة تتراقص في صفحات السماء المزينة بالنجوم والقمر، ترقى إلى السماء، ويدوم هذا المشهد حتى الخيوط الأخيرة للفجر.

قالت جوساي: قولي أنكم ستقومون بصنع هذا المشهد.

- لسنا نحن من سيقوم بصنع هذا المشهد، نحن فقط سنرى أحجارا متقدمة تتراقص في السماء، وما إن تهوي واحدة حتى تظهر أخرى وهكذا دواليك.

ذهب بعض أعمامي في أحد الأيام للبحث عمّن يقوم بهذا وسألوا الكثير من الناس لكن دون جدوى، ودون التوصل إلى من يقوم بإطلاقها، لكن أضمن لك شيئا واحدا وهو روعتها.

- غريب جدا؟

- ما الغريب يا جوساي؟ هل لأننا لم نعرف من يقوم بهذا المشهد الرائع؟  
ردّت جوساي: الغريب هو أنه رغم فضولك فلم تحاولي معرفة من يقوم بإطلاق  
الأحجار المتقدمة.

- لا تكوني غبية، أنا لا أضيع وقتي لأني أعلم أن محاولاتي لن تكون أفضل من  
محاولات أعمامي، لذلك اكتفيت بانتظار هذا اليوم ومراقبته.

- لا أظنه جميلا بالقدر الذي وصفته، يبقى مجرد أحجار متقدمة ترتفع في السماء  
وبعدها تهوي، يظل المشهد يتكرر حتى الفجر.

- لأني لم أخبرك بالشيء الأجل يا جوساي؟

قالت إيستارا: أولا تكون أحجارا متقدمة، وبعدها دوائر ومثلثات وغيرها من الأشكال  
الهندسية، تتطاير في السماء، أما الشيء الأجل فهو... لكن قبل أن تكمل كلامها  
غيرت الموضوع وقالت: هل لاحظت أن زوجة عمي غايد تعامله بلطف زائد؟

- لم أفهم لم غيرت الموضوع، لكن لا بأس، أما فيما يخص زوجة عمك غايد، أقصد  
روسينات، فنحن نعلم أن واجب الأزواج معاملة بعضهم بلطف.

- حسنا، لم تفهمي، تعامله بلطف زائد وهذا لأنه في العام الماضي قدم لها هدية رائعة  
عندما سقطت دائرة نارية قربه. وبسرعة قالت جوساي: هل قدم لها هدية بسبب  
نجاته... أنت تمزحين يا إيستارا؟

- لا تكوني حمقاء، عند سقوط الدائرة المتقدمة بقربه، أمر أحد أعمامي بإحضار دلو  
مياه له، فأحضر دلو المياه، واثنان أو ثلاثة على ما أذكر كانوا يحملون مشاعلا، ألقى  
عمي غايد قطرات من المياه على تلك الدائرة وعندما انخفضت حرارتها قام بكسر الكرات  
الطينية الصلبة التي وضعت حول سلك نحاسي مستدير، كانت هناك حوالي عشرة كرات  
طينية على ما أذكر، وبحجر قاسٍ قام عمي غايد بكسرها ليجد بكل واحدة ألماسة براقّة.

قالت جوساي: مستحيل، أحقا ما تقولين، ألماسات؟

- أجل عشرة ألماسات رائعات، جعلهن عمي غايد يزين خاتما ذهبيا، وجعل الخاتم يزين إصبع زوجته، الخالة روسينات.

تربع الليل، وبدأت شرارات تحاول تقبيل السماء عبثا. كانت إيستارا وجوساي، والجميع ينظرون بعيون واسعة لذلك المشهد البديع، كانت الأحجار المتقدمة وكل الأشكال الهندسية الرائعة تلك تسقط بعيدا عن قريتهم.

أما إيستارا فكانت تنظر إلى السماء وهي تدعو بصمت: يا ربّ، يا ربّ، لتسقط بقربي عشرة ألماسات، وفجأة سقطت ثلاثة مكعبات طينية صغيرة انطفأت النار المحيطة بها ما إن وقعت على الأرض.

كان طول ضلع كل منها مختلفا عن الآخر، أطوال الأضلاع توحى أنها ليست أطوالا عشوائية وقد كادت تصيب رأس إيستارا، لكن لحسن الحظ أن القمر الحبيب انزاح في الوقت المناسب ولم يُصب بأذى.

كانت المكعبات الثلاثة لا تزال شديدة الحرارة، لكن إيستارا أمسكتها دون أن تهتم لحرق راحة يدها.

سرعان ما وضعتها قائلة: أحضري لي المياه يا جوساي، واجتمعت القرية حول إيستارا في انتظار ما سيسفر عنه كسر المكعبات الثلاثة.

لم تستطع إيستارا كسر المكعبات فطلبت من عمها غايد أن يقوم بكسرها لكنه عجز عن كسرها، وحاول كل الرجال كسرها لكن لم تنفع المطرقة، ولا أي شيء. انتهى العرض والمكعبات لم تكسر.

قال غايد: إنها صلبة جدا، لا أظن أنها ستكسر، علينا وضعها في إناء مياه والانتظار فرما لانت قليلا.

مضت ساعة وساعتان وثلاث وأشرق الشمس والمكعبات لم تلتن، أخيرا فقد الجميع الأمل.

قالت جوساي: ابنة خالتي، حظك سيء جدا، وأرى أن ترميها فلا جدوى من احتفاظك بها، هي لن تنكسر.

قالت إيستارا: لا، لن أرميها حتى ولو كانت دون فائدة تذكر، سأحتفظ بها، وتابعت تقول: صحيح أنها لم تنكسر، لكن هذا لا يعني أبدا أنني سأرميها. ابتسمت إيمي قائلة: حسنا، احتفظي بها بما أن لا أحد يجبرك على التخلي عنها، دعونا نرجع إلى البيت الآن.

لم ينم السكان الليل، ولم يناموا النهار كذلك، كان كل شيء عاديا بالنسبة إليهم عدا أنهم كانوا متأسفين لأن إيستارا لم تحصل على أية ألماسات أو جواهر. قبل الظهيرة اتجهت إيستارا إلى بيت باروانا وكانت هذه الأخيرة تطعم في الدجاجات. قبلتها إيستارا وقالت: كيف حالك يا أمي؟

- بخير يا حلوتي البديعة، هل تمكنت من تخطيط المكعبات؟  
- أيقنت أن تخطيطها ليس سهلا أبدا، حاول الجميع أن يكسرها دون جدوى، لذلك خبأتها في غرفتي مع بعض الأشياء الجميلة الخاصة بي.

قالت باروانا: هل يمكنك إحضارها حتى ألقى عليها نظرة يا ابنتي؟  
- بالطبع يا أمي، يمكنك حتى أخذها.

مرت فترة قصيرة وعادت إيستارا إلى باروانا وهي تحمل المكعبات الثلاثة بين يديها، أرتهم لباروانا فقالت هذه الأخيرة بدهشة كبيرة: كما توقعت تماما، إنها هي!  
قالت إيستارا: أمّا، ماذا تعنين بكلامك هذا؟

أجابت باروانا قائلة: للأسف، هذه المكعبات لن تنكسر يا ابنتي، والموضوع شائك

نوعا ما.

قالت إيستارا: لم أفهم، كيف لا تنكسر وهي مكعبات طينية، وما الفائدة منها في هذه الحالة؟

قالت باروانا: أخبرتك أن الموضوع معقد جدا يا ابنتي، انسي الأمر رجاء. بعد ذلك تبادلنا أطراف الحديث قليلا، وبعد فترة وجيزة التحقت بهما جوساي. ما إن رأت باروانا جوساي وهي قادمة نحوهما حتى استوت واقفة لتعانق جوساي بحرارة وهي تقول: صغيرتي جوساي، كيف حالك؟ يبدو أنك لم تشتاقي إليّ كثيرا هذه المرة؟

قالت جوساي: اشتقت إليك كثيرا، لكن إيستارا تُبقيني معها طول الوقت.

## الفصل السادس: اللصوص الثلاثة

" أن تفعل الشيء النافع، أن تقول الشيء المشجع، أن تنوي الشيء الجميل: هذا

يكفي لحياة شخص واحد. "

توماس ستيرنز إليوت

أيام قليلة، وتعافى البير الأبيض الذي أحضرته الفتاتان من الغابة، وصارتا تلعبان معه، وكذلك الأطفال الآخرون وكأنهم يغتنمون فرصة اللعب معه في هاته الأيام قبل إعادته إلى الغابة التي تكون موطنه، ولا بد من إرجاعه إليها ليواصل عيشه بأية طريقة، لأن البقاء على قيد الحياة، والصراع من أجلها لا يحتاج إلا للقوة في عالم مثل ذاك.

كان الكل مستمتعا، لكن في بعض الأحيان، هناك من يضحي بسعادتنا من أجل شيء فإن، قد يكون هذا بسبب شخص الإنسان، أو قد يكون بسبب أفكار مظلمة تغطي سبيل السعادة الحقيقية، والتي لا تكون إلا عندما نفرح لفرح إخوتنا، نُسعد لسعادتهم، ونخزن لحزنهم و نتألم لألمهم.

كانت هذه الأفكار تراود بال عم إستانرا المدعو كاياجي. كان هذا الأخير يخفي خلف ابتسامته المصطنعة جشعا لا مثيل له وطمعا لا نهاية له، بالرغم من أنه في بعض الأحيان يكون شخصا رقيقا، أما جشعه وطمعه فلم يكن يعلم أي أحد من أقاربه إلى أي حد يمكن لهما أن يتوقفا عنده.

بعد أن أُسِدِلت ستائر الطمع على نوافذ قلبه، لم يعد يأبه إلا لكيفية تحقيق مراده، لذلك قرر أن يسرق البير الأبيض بأي ثمن لبيع فروه الناعم والنادر، دون أن يبدي أي اهتمام لمشاعر الأطفال الذين تعلقوا بذلك البير، ولم يفكر ولو لوهلة أنه سيكسر مرايا الفرح والسعادة التي تغمرهم، والتي ما كانت سوى انعكاس وجود البير الأبيض قربهم وهو



يجري معهم ويتقلب فوق الأرض بين الحين والآخر.

لم ينتظر كاياجي كثيرا ليذهب إلى جوار المنبع الذي يجلبون منه المياه، وهناك التقى بأحد الرجال، ليناقدش معه خطة سرقة البير، دون أن يعلم أي شخص - على الأقل هذا في نظره - ودون أن يشك في أمره أحد، وبعد مناقشة الخطة بكل صغيرة وكبيرة افترق الرجلان، ثمّ ملأ كاياجي قربة المياه، وهمّ بالعودة إلى منزله.

لم يكن الاثنان فقط هما من علما بالخطة، بل كان هناك شخص ثالث، وهو كونايشي ابن غايد الذي تبع عمه إلى النبع، واختبئ بين الأشجار وسمع الحديث الذي دار بين الرجلين.

قال في سرّه: لم أخطئ البتة عندما قررت اتباع هذا الجشع الطماع، وأمرّ جيد أني عرفت خطته، لحظات وخرج من بين تلك الأشجار، وسلك دربا آخر للعودة، وهو يقول في سرّه: سأفضحه.

أثناء العودة، صادف كاياجي ثلاثة شبان، لهم نفس الطول ولهم نفس البنية الجسدية، لكن ليس نفس رجاحة العقل. الأول ريوكساي، كان الأذكى، والثاني ريوفراي وهو ليس بالذكي، ولا بالغبي، أما الثالث فيدعى ريوكاي، وطبعا صفته الصفة المتبقية.

كانوا ثلاثة شبان إن لم تتوفر الأسباب المواتية لهم يكونون صالحين، وإن توفرت الأسباب ليكونوا سيئين، فلا يمانعون. بمعنى آخر، إذا كانت ظروف السرقة مواتية، يسرقون، وإن كانت السرقة تشكل خطرا عليهم، لا يقتربون.

ما إن رآهم كاياجي حتى قال في نفسه: يا لحسن الحظ، كنت أبحث عنهم وها هم آتون نحوي، هل هذا يوم سعدي يا ترى؟

قال: السلام عليكم، كيف حالكم؟

رد ريوفراي: كيف حالك أنت؟ فنحن في نعمة، نبصر، نمشي، نسمع، نتكلم، لا

ينقصنا أي شيء، لكننا لا نمانع زيادة الخير.

- بالتكلم عن الخير، هل سمعتم أن هناك ببرا أبيضاً في هذه القرية؟ وتابع: المنزل المنعزل، داخل الإسطبل.

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، وقال ريوكاي: يعني أن الخير متوفر يا أصدقاء، ليقول ريوفراي: متوفر، لكن من السباق!

قال كاياجي: إن كنتم تريدون أن نكون سباقين، فليس لدي مانع، لكن بشرط واحد وهو أن نتقاسم الغنيمة إن نجحت الخطة.

هنا تكلم ريوكساي، وكان هادئاً جداً ونادراً ما يتكلم. قال: دلّنا على خطتك إذن يا كاياجي، فرو الببور غالي الثمن، لذلك هل لديك خطة محكمة لسرقة الببر دون أن ينتبه إلينا أحد ودون أن يشك في أمرنا أحد؟

- الببر في الإسطبل، والإسطبل لا تستطيع فتح بابه الحيوانات، لكن ليس البشر، لذلك أظن أن البساطة تكفي، يُسرق والناس نيام، بعد تخديره طبعاً.

قال ريوكساي: أفهم أنه بعد الغروب بنحو ثلاثة ساعات يمكن أن تتم سرقة. رد كاياجي: إلا إن كان لك رأي آخر؟. قال ريوفراي: الذي لا أفهمه هو لماذا لم تحاول سرقة يا كاياجي وقررت إخبارنا؟

أجاب ريوكساي: إن حدث واكتُشف أنه هو السارق، فكر كيف ينتهي به الأمر، فضيحة كبيرة تشوه سمعته الطيبة أمام أقاربه.

اتجه كاياجي مباشرة عند أخيه غايد الذي كان جالساً بالقرب من منزله، وما إن رأى هذا الأخير كاياجي مقبلاً نحوه حتى قام من مكانه وقال لأخيه: هل حصل معك مكروه يا كاياجي، ما بك تهول؟

- لا، لم يحدث شيء، لكن أظن أنه علي أن أقول لك شيئاً لتتخذ قراراً بشأنه في

أسرع وقت، وإلا فإنه سوف يحدث عما قريب أمر سيئ.  
استغرب غايد كلام أخيه وقال: لم أفهم ما ترمي إليه من خلال كلامك هذا، رجاء،  
هلا وضحت لي قليلا، علني أفهم؟  
- ذهبت إلى النبع كي أملء قربة الماء، لكن قبل أن أصل سمعت صوت رجال من  
خلف الأشجار يتكلمون، فاقتربت حتى أعلم ماذا يجري، وبينما كنت أسترق في السمع  
علمت أنهم يضعون خطة لسرقة البير الأبيض، وهذا حتى يبيعوا فروه، وكما تعلم، فرو مثل  
ذاك غالي الثمن ولا عجب من محاولة أشخاص ما سرقته، لذلك أتيت أخبرك مباشرة.  
ظهرت علامات التعجب على وجه غايد، لكنه محى عن محياه كل علامات  
الاستغراب. قال: شكرا لك يا كاياجي، سأنظر كيف نمنع حدوث هذا، وشكرا جزيلا  
لك مجددا.

ردّ كاياجي: العفو يا أخي، العفو، واتجه إلى منزله.  
عاد ابن غايد إلى المنزل، وأخبر أباه بما كان يخطط له عمه، وقصّ على مسامع أبيه  
كل الحديث الذي جرى بين عمه كاياجي وأحد الرجال.  
لحظات وقال غايد: لقد ظن أنه ذكي بما فيه الكفاية. شككت في أمره عندما أخبرني  
أنه عاد مباشرة، بعد أن علم أنّ هناك رجالا يخططون لسرقة البير، و لو عاد مباشرة ما  
كان ليملأ قربة الماء، لذلك استعد يا بني لمراقبة عمك، إياك أن يخرج من منزله دون أن  
تبلغني. قال كونايشي: حاضر يا أبي، سأراقبه عن كثب دون أن أتجسس عليه.

## الفصل السابع: محاولة سرقة البئر الأبيض

"أحياناً، يتوجب عليك السفر بعيداً للعثور على ما هو قريب."

باولو كويلو

انطلق الثلاثة ليجلسوا قرب النبع، ويستريحوا وسط الأجواء الرائعة المريحة للقلب. قال ريوكاي: قرية رائعة.

ليقول ريوفراي: دعنا نفكر. فجأة قال: تذكرت أن أمك كانت تنتمي لتلك الجماعة، جماعة السر الأسود، أمر مؤسف.

قال ريوكاي: المهم هو أنها انسلخت عنها وكل البشر يخطئون، أنسيت أن أمك كانت صديقة لأمي؟

لحظات وقال ريوكساي: اصمتا، فأمي كانت تنتمي إلى تلك الجماعة كذلك! قال ريوفراي: مستحيل.

- للأسف، هذه هي الحقيقة، وخالتي بيلات وخالتي شيروسكا كانتا تنفذان أوامرها. صمت ريوفراي، ليقول ريوكاي: أليس من عجيب الأقدار أن أُمي اسمها بيلات، وأمّ ريوفراي اسمها شيروسكا!

انفجر كل من ريوكساي وريوفراي ضاحكين، ولم ينتبه ريوكاي حتى قال ريوفراي: إنه يتحدث عن أُمي وأمك أيها الأحمق!

قال ريوفراي مخاطباً ريوكساي: أحقا أن أمك كانت تنتمي إلى تلك الجماعة؟ أجاب ريوكساي: المصيبة هي أنني أرجح أنها لم تنسلخ عن تلك الجماعة حتى الآن، دعنا من الموضوع، فذلك العالم له أناسه.

قال ريوكاي: سنصبح أثرياء، ببيع فرو البير الأبيض سننتهي من حياة البؤس التي نعيشها.

رد ريوفراي: إنني في أشد الشوق لوصول تلك اللحظة.

وهنا قال ريوكاي: لكن أية لحظة، لحظة سرقة البير، أم لحظة بيعنا الفرو؟

ابتسم ريوفراي قائلاً: أحيانا أحتار كيف تكون صديقنا، لكن لا نستطيع أن نتركك. بالطبع أنتظر اللحظة التي تصبح فيها القطع الذهبية بين أيدينا، ثم نظر إلى ريوكساي الذي كان صامتا طوال الوقت وقال: ما رأيك، فأنت لم تتكلم إلا قليلا منذ ذهب كاياجي؟

بدل أن يتكلم ريوكساي قال ريوكاي: دعه، لا بد أنه يفكر في ما سيفعله بالقطع الذهبية ما إن تصبح رهينة في يديه.

- أجل معك حق، إنه ينتظر أن تنقلب حياته، وتنتزع معالم الفقر منها، لربما نسج قصرا كبيرا من الأحلام في مخيلته، وتابع قائلاً: حتى أنه يمكنك أن تتصور كبر الأحلام التي ينسجها.

هنا استوى ريوكساي واقفا وقال: سأبني قصرا جميلا به ساحة كبيرة، وأضع في وسطه حديقة رائعة ونوافير مياه، كذلك إسطبلا كبيرا للأحصنة ... فجأة قال: يا لكما من غبيان وأخرقان.

احتار صاحباه في كلامه، لم يفهما شيئا، فقال ريوفراي: كل الذي قلته صحيح، قبل أن تقول أننا غبيان وأخرقان، لم أفهم ماذا دهاك يا صديقي؟ جلس ريوكساي من جديد، وقال: تعاليا إلى هنا رجاء فهناك ما يجب أن أفهمه لكما بما أنكما لم تفهما.

رد عليه ريوكاي قائلاً: ما الضير لو تكلمت من هناك؟ فردّ بنبرة صوت حازمة: قلت لكما اقتربا مني، فاقتربا ولا تناقشا، هيا تعاليا.

اقترب الاثنان من ريوكساي، ليقول هذا الأخير: اسمعاني جيدا، نحن نعلم أن كاياجي

طماع وجشع إلى درجة كبيرة، ولو فكرنا من هذا المنظور، لوجدنا أنه يريد كل النقود له وحده، دون أن تكون لنا قطعة واحدة، لذلك أرى أنه يحبك لنا أمرا ليقع بنا في الفخ، وله خطة أخرى ليسرق بها البير الأبيض ويصبح المال ملكه وحده. الآن، ما رأيكما، هل ظني في محله؟

احتار الاثنان، حتى أنهما خافا قليلا عندما قال أن كاياجي قد يكون وضع خطة ليقع بهم من جهة، ويكونوا قد قدموا مساعدة له دون أن يعلموا، هذا من جهة ثانية، فقال ريوفراي: معك حق في الذي قلته، أرى أن ننسحب مباشرة.

قال ريوكاي: نعم، يجب أن ننسحب، صحيح أننا نريد أن نكون أثرياء، لكن لا نريد أن نقع في مكيدة لا يحمد عقباها، لنعد ونحيا حياتنا، صحيح أننا فقراء لكن ماذا سنفعل؟ ثم قال: أظن أنه يجدر بنا أن نصبح صالحين، هذا جيد، فحياة السرقة هذه لقد مللتها، وأصدقكم، لا أريد أن أكون من الأشرار، لنعد أدراجنا ولنعد ذلك المحتال وحده ليفضح أمره.

قام كل من ريوفراي وريوكاي، في انتظار أن يقوم ريوكساي ليعودوا أدراجهم، لكن ريوكساي قال: اجلسا، سنصبح صالحين بعد أن نصير أثرياء، سيكون هذا رائعا للغاية! فرح الاثنان كثيرا وقال ريوكاي في نفسه: لا بأس إن كان عملنا هذا عملا شريرا، لأنه سيكون الأخير، بعدها نقلع عن السرقة إلى الأبد ونصبح صالحين.

قال ريوكساي: اسمعاني جيدا، هناك خطة، لكن يجب تنفيذها بحذر شديد دون أية أخطاء، فخطأ وحيد، يجعلنا فريسة سهلة في قبضة غايد والآخرين. قبل ذلك، هناك شيء يجب على اثنان منا القيام به، فمن يوافق على إنجاز هذا العمل معي؟

قال ريوكاي: هل يجب علينا القيام بهذا العمل الآن، أم ننتظر ريثما يحين الظلام؟ قال ريوفراي: اصمت رجاء ولا تتكلم مرة أخرى. ثم نظر إلى ريوكساي قائلا: أخبرني

عن هذا العمل ولنبادر به الآن إن استلزم الأمر، أما ريوكاي، فبقي يرمقهما بنظرات متقطعة بين الفينة والأخرى.

- جيد أنك أنت من سينجز معي العمل بدلا من هذا الغبي، لكنه سيقدم لنا مساعدة كبيرة، في الأخير هو صديقنا ويجب عليه تقديم يد العون لنا، متى احتجناها منه. أقبل الغبي نحوهما وقال: هذا مؤكد وبكل سرور، أطلب فقط، لن أرفض لك أي طلب. أشار ريوكساي إلى ريوفاي، وانهارا على ريوكاي بالضرب الشديد، وهو يقول: مهلا، ماذا تفعلان؟ دعاني، دعاني، ما هذا المزاح؟... لكنهما لم يتوقفا حتى نرف أنفه وسقط أرضا، حتى حسب الاثنان أنه قد أغمي عليه، فبدئا يرشانه بالمياه.

قال ريوكساي: انتهينا من العمل الآن، وشكرا جزيلا على مساعدتك يا ريوكاي.

- أي عمل وأية مساعدة؟ أنتما لستما صديقان أبدا، هل لأني قليل الفهم وجبان بعض الشيء قمتما بضربي بهذه الطريقة دون رحمة ودون شفقة؟ ابتسم ريوكساي في وجه ريوفاي وقال: حقا إنه قليل الفهم.

نظر إلى الشمس، وإذ بها تلقي تحية الوداع، فقال: شيء جميل أن تغرب الشمس الآن. قال لريوكاي: الآن ستذهب إلى منزل غايد، وتطرق بابه كأنك عابر سبيل، وبعد ذلك سيسألك عن ما جرى لك، فقل له إنك كنت ماشيا من هنا فجأة اعترض طريقك ثلاثة رجال وانهاروا عليك بالضرب دون أن تعرف السبب، وهذا لأنك كنت مارا بجوار المنزل المنعزل، بعدها هربت إلى منزله، لأنه المنزل الأول الذي صادفته في طريقك بعد أن هربت منهم، هل فهمت ما قلته لك؟

- أجل، لكن ما الهدف من كل هذا، فنحن سنقوم بالسرقة قبيل منتصف الليل بقليل وأنت تقول الآن.

- بهذا العمل سيترك غايد في منزله، ويسرع إلى الإسطبل، أما نحن فنكون قد سرقنا

الببر، فهم لا يتوقعون أن تكون السرقة بعد الغروب بوقت قصير، كذلك، فما إن يخرج غايد من المنزل ويبدأ بمناداة الآخرين حتى تخرج مسرعا للتلقي في الضفة الأخرى من النبع ونرحل.

قال ريوكاي وهو يكبح غضبه: لماذا لا نسرقه ثلاثتنا دون أن يفترق أحدنا عن الآخرين؟

- أحمق، نريد أن نوقع كاياجي في فخه، من المحتمل أنه متفق مسبقا مع شخص آخر، إذا كان هذا الفرض صحيحا فإنهم قد يمسكون بذلك الشخص، وسيعترف أنه أتى للسرقة وأن كاياجي هو من حرضه على السرقة، عصفورين بحجر واحد، هكذا سينال كاياجي عقاب طمعه، أما نحن فنكون قد هربنا ولا سبيل لهم لملاحقتنا.

كان غايد أوصى ابنه أن يراقب عمه كاياجي في كل لحظة عن كثب وأن لا يدعه يتعد عن ناظره، ولم يخبر إيمي بأي شيء، حتى لا يقلقها، وترك الأمور تسير كما هي.

ذهب الغبي إلى منزل غايد، وهو في تلك الحالة. طرق الباب بشدة، فخرج غايد، ليجده أمام عتبة المنزل وهو يبدو في حالة يرثى لها، ويستحيل أن يراه شخص في تلك الحالة ولا يشفق عليه، فأدخله غايد إلى المنزل مباشرة، وقام بمساعدته، وطلب من زوجته أن تحضر له بعض الطعام دون أن يسأله أبدا عما جرى له ليصبح في هذه الحالة.

كان غايد شخصا مؤدبا جدا، فقد انتظر حتى أنهى ريوكاي تناول الطعام، وبعد فترة قصيرة سأله عما حصل له، خاصة أنه ليس من قريتهم كما يوحي مظهره، وقال: بني كيف حصل لك هذا، ومن أين تقبل، وإلى أين تذهب؟

قال ريوكاي في سره: لقد كان إنسانا رحيمًا معي وقدم لي يد المساعدة، حتى أنه لم يسألني عما حصل لي حتى استعدت عافيتي ويجدر بي الآن أن لا أخفي الحقيقة عنه، وإلا سأكون شخصا لئيمًا جدا، ليس في نظره فقط بل حتى في نظر نفسي، وهم أن يقول



لغايد كيف حدث كل شيء، قبل أن يسمع صفيير صديقيه، فغير رأيه تماما، وقال في نفسه: بعد هذه المرة سنصبح صالحين، ثم قال لغايد ما أوصاه ريوكساي أن يقوله، لم يزد ولم ينقص.

خرج غايد مسرعا وهو يقول: ماذا سأقول لإيستارا إن سرق الببر؟ وبدأ ينادي على جيرانه الذين خرجوا مسرعين، أما ريوكاي، فقد خرج مباشرة قاصدا مكان النبع ليلتقي بصديقيه، ويرحلوا بعدها والببر الأبيض في حوزتهم.

خرج الجيران واتجهوا مباشرة إلى منزل إيمي ليروا إن كان لا يزال الببر هناك معهم، فتحت إيمي الباب ورأت إخوة زوجها والأقارب كلهم أمام الباب، فقالت مندهشة: ما هذا الذي يحدث؟. ثم نظرت إلى غايد بعيون تملئها الحيرة والكثير من التساؤلات وقالت: ما هذا الذي يحدث يا غايد ولم كلكم هنا؟ وخرجت الجدة ياريكا وكل من إيستارا وجوساي، وهن مندهشات.

قال غايد: لقد... وفجأة سمع ابنه كونايشي الذي كان قد أمره أن يراقب كاياجي آتيا وهو يصرخ بأعلى صوته: أسرع يا أبي، أسرع، فلم يردّ غايد على سؤال إيمي واتجه نحو ابنه وقال: ماذا هناك يا بني؟

- لقد سُرِق الببر الأبيض، أظن أن السارق ذهب باتجاه النهر وهو حامل مشعلا بيده.

- شكرا لك يا بني، ابقى هنا الآن. ذهب غايد والآخرين في اتجاه النبع، وكان كل شخص منهم يحمل مشعلا في يده، ينير به تلك الدروب المظلمة التي تمتلئ بالحصى والحجارة، خصوصا قرب النبع.

التقى الثلاثة عند ضفة النهر وقال ريوكاي: أين الببر، لا تقولا أنكما خبأتماه، وفي الصبح إن طال عمرنا نأخذه وننسى القرية؟

نظر ريوфраي إليه بجفون ذابلة وكأن مأساة حلت به وقال: لقد خدعنا ذلك الطماع، البير لم يكن في الإسطبل بتاتا، وربما كان في مكان آخر لم يكن يعلمه إلا أهل القرية. قال ريوكساي: دعونا لنذهب الآن.

لحظات فقط وسمعوا صوت سقوط وكأن شخصا تعثر وسقط أرضا، ليجدوا البير أمامهم، والشخص ذاك على الأرض.

كان جليا أن تعثره كان قويا، من خلال شدة على ركبته وضغطه عليها. أسرع ريوكاي حاملا البير الضعيف بين يديه ثم أخذ يمسح على فروه الناعم وهو يرقص من شدة الفرح قائلا لصاحبيه بنبرة تملأها البهجة: نحن أثرياء، نحن أثرياء...

قال ريوكساي: هيا بنا نرحل ولا نضيع الوقت، لنهرب، فجأة سمعوا شخصا يقول: إلى أين؟. فضرب ريوكساي ذلك الشخص الذي كان على الأرض برجله على بطنه، وقال: أنت على الأرض وركبتك تؤلمك، لا يحق لك سوى التألم، وذهبوا مباشرة.

حكى كونايشي ما كان يجري لإيمي وتفقدوا البير مباشرة ليجدوا أنه سرق حقا، وقالت إيمي: لن أسامح ذلك الطماع أبدا، قبل أن يقول لها كونايشي: إنه أذكى مما ظننا فهو لم يسرق البير، وكنت أقوم بمراقبته، لم يخرج من منزله أبدا، لذلك ليست لدينا أي حجة ضده للأسف، يجب أن نتمنى أن يسترجع أبي والآخرين البير سالما، وبعدها ننظر في أمر ذلك الجشع.

أما إيستارا وجوساي، فكانتا جد حزينتين، وبدأتا تبكيان دون توقف، لولا المواساة من روسينات التي كانت تقول: هل تظنان أن غايد سيسمح للدموع أن تطول لوقت أطول، امسحا دموعكما، سيسترجع البير عما قريب إن شاء الله.

وصل غايد وإخوته إلى النهر، لم يجدوا شيئا، وهذا بعد أن فتشوا المكان جيدا. عادوا أدراجهم، والفرق الوحيد هو أن عددهم زاد بشخص واحد، وهو ذلك الشخص الذي

سرق البير، أي الشخص الذي كلمه كاياجي، كان أسيرا بين أيديهم، واعترف لهم بكل شيء، وأخذوه كي يكون شاهدا على أن كاياجي هو الرأس المدبر، لكن غايد أطلق سراحه في منتصف الطريق، وقال: دعوه يذهب، فربما هذا العمل الجميل سيساعدنا في إيجاد البير.

قال أحد أبناء إخوته: كيف تطلق سراحه؟ سيكون شاهدا على ما دبره كاياجي. فردّ غايد: دع أمره لله يا بني.

أخذ الثلاثة البير معهم وانطلقوا، لكن في منتصف الطريق قال ريوكساي: يجب أن نعيده فهذا لا يجوز بتاتا، وإذا أردنا أن نصبح صالحين، فيجب أن نحاول تغيير أخطاء الماضي إن استطعنا، وليس تغيير حاضرننا ومستقبلنا، لا أن نفعل الأشياء السيئة ثم نصبح صالحين.

اندهش ريوفراي وريوكاي وظنا أنه يمزح وأكملتا طريقهما، فقال مجددا: لا يهمني إن أخذته منكم بالقوة، قرّرت أن نعيده.

قال ريوكاي: أنت تمزح، كنت وراء خطة السرقة والآن تقول أن علينا إعادته، ماذا جرى لك يا صديقي، دعنا نصبح أثرياء صالحين.

فجأة قال ريوفراي: لا، نكون فقراء صالحين خير، هيا لإرجاعه. فقال ريوكاي: أسحر بكما أم ماذا؟

لحظات وأمسكه ريوكساي من أذنه وقال: اتبعنا الآن أيها الغبي.

- حسنا اترك أذني أرجوك، لقد آلمتني، سنرجعه فهذا أفضل. فترك أذنه وعادوا إلى القرية في وقت متأخر، ليروا فتاة جالسة عند الباب تبكي، وقال ريوكساي: رأيتما فعلتنا وما سببناه لتلك الفتاة البريئة.

قال ريوكاي: يا ويحنا، إنها إيستارا... سيقتلنا لونهاو!! ليقول ريوكساي: سيسامحنا.

فجأة قال ريوفاي مخاطبا ريوكاي: هل تعرفها؟  
قال: طبعاً أعرفها، إنها ابنة أخ غايد، سمعته وهو يقول ماذا سأقول لإيستارا إن سُرِق  
البر، وماذا ستقول، ستقول عمي لم يستطع إنقاذ البر!  
نظر الاثنان إليه وقال ريوفاي: يا لك من ذكي!!  
قال ريوكساي: بل أنت الأبله يا ريوفاي، وفجأة لامست بندقية رأس ريوكاي الذي  
كان لا يزال يحمل البر الأبيض بين ذراعيه.  
كان حامل البندقية غايد، وقال للثلاثة: إياكم والتحرك، ثم نادى إيستارا التي ما إن  
رأت البر بين ذراعي ريوكاي حتى هرعت إليه والفرحة الغامرة تملئها، وفي اللحظة التي  
كانت فيها البندقية جارة لرأس ريوكاي قال لريوكساي: أرجوك قل له أن لا يقتلنا،  
سنصبح صالحين، قل له فقط أن يدعنا وشأننا، فأجابه ريوكساي قائلاً: في هذه  
اللحظات، تمنّ أن يكون غايد صالحاً ويدعنا وشأننا، بعدها أصبح نحن صالحين.  
وصلت إيستارا، وسلمها ريوكاي البر قائلاً: نحن آسفون... ها هو ببرك الأبيض  
الجميل يا نيماسولة لونفيرو الصغيرة، ونحن آسفون مجدداً.  
حملت إيستارا البر بلطف وقالت: لا عليكم، لكن لا ترتكبوا مثل هذا العمل السيء  
مجدداً.  
لحظات واستفاق البر، بعد أن كان الرجل الذي كلمه كاياجي أولاً، قد خدر البر،  
لكن المخدر لم يكن قوياً.  
قال غايد: والآن ستألون عقابكم على ما فعلتموه، لكن إيستارا قالت: لا يا عمي،  
دعهم وشأنهم، لو أرادوا سرقة لما عادوا به إلى هنا.  
- أنت لا تزالين صغيرة يا ابنتي، وإلا لكنت علمت أنهم أضاعوا الطريق فقرروا العودة  
من هذا الطريق قبل أن نقبض عليهم.

قال ريوكساي: أشعر بالغرابة تجاه قولك يا غايد، أليس لديك أي حسن ظن تجاه نوايانا؟

- لا تحاول أن تتذكري معي يا هذا، أرسلتَ صديقك الغبي ليقول أن السارقين قاموا بضربه، كذبتن من قبل فكيف أصدقكم الآن؟

- أشعرتني بغرابة أكثر، صدّقتنا عندما كنا نكذب، وكذبتنا عندما قلنا الصدق. وهنا تركت إيستارا البير على الأرض واتجهت نحو عمها وهي تمسك بالبندقية وتقول: أنزلها يا عمّ، أنزلها ودعهم وشأنهم، سترتكب خطأ كبيرا إن قتلتهم أو آذيتهم.

وهكذا أخلى غايد سبيلهم.

## الفصل الثامن: قرية دانجيه

" حيث تسود الحكمة، لا يوجد تعارض بين التفكير و الشعور. "

كارل غوستاف يونغ

عادت كوريسي وزوجها مالفي إلى منزلهم الذي يقع في إحدى القرى المجاورة، هذا لأخذ ما يلزم معهم من مال للذهاب عند الحكيم الذي تردد الكلام حوله أنه من أبرع الحكماء في الطب، واسمه جايري واير، ويقطن مؤخرا في قرية تدعى دورياساك.

بعد أخذ ما يلزمهم من المال والزاد، خرجا في الصباح الباكر واستأجر مالفي شخصا كي يوصلهم بعربة إلى قرية دانجيه، التي كانت تقع قبل قرية دورياساك. وصلا إلى دانجيه قبل غروب الشمس، وبقي عليهما السير على الأقدام، واستئجار بيت للمبيت فيه.

قالت كوريسي لمالفي: لا بد أن ابنتنا جد مسرورة مع إيستارا باللعب والمرح، فإيستارا فتاة لا تتعب أبدا ولو وجدت كيف تبقى تلعب طول حياتها لفعلت، أليس كذلك؟

- أجل، معك حق، لكن ألا ترين أنها تحب المغامرة إلى درجة أنها يمكن أن تخاطر بحياتها في سبيل أن تعرف شيئا يراود فكرها؟

- أوافقك، لكن أرتاح عندما أتذكر أنها دوما تجد طريقة للنجاة من أي مأزق يواجهها، حتى أنها تجاوزت بطريقة ما غياب والدها.

تبسم مالفي وقال: لا شك أن إيمي مسرورة برؤية أمها ياريكا وهي في صحة جيدة، خصوصا بعد أن تعافت من مرضها الأخير.

- مؤكد، وهذا يسعد إيمي كثيرا، وينسيها القصة الغامضة لاختفاء زوجها، وأنت تعلم أننا بحثنا عن نومداكي طويلا ولم نجد له أي أثر.

بينما هما ماشيان، حتى قالت كوريسي: عندما أتذكر أن نومداكي لم يظهر منذ خمسة

سنوات انقضت يُشق قلبي يا مالفى. بصراحة، أنا أظن أنه قد قضى نحبه، فحتى لو نظرنا إلى السبب الذي جعله يترك القصر في ذلك اليوم، بعد المشكل الذي جرى بينه وبين إيمي، لن يكون السبب كافيا ليبرر فترة غيابه الطويل، التي تجعل أحلام الفتى الصغير سقيمة وبراءة الأطفال شاحبة كشرنقة، سمعتُ كثيرا عن جمال الحياة ولما لمستها لوهلة تلاشى جمالها ورونقها، وإني أكاد أجزم أن هناك شيئا واحدا يجعل نومداكي يغيب هذه المدة الطويلة دون أن يعود إلينا، إنه الموت، ومع أنه لا ينطق، إلا أن غيابه الطويل جعل الموت يتكلم ليقول حقيقة نعلمها ولا نستطيع إدراك تفاصيلها حتى وإن ظهر قبره، أظنه قد مات يا مالفى.

وبمجرد أن تفوهت كوريصي بأن زوج أختها قد فارق الحياة حتى ألقت عليها الحياة سرايا حالكا جسده الألم الذي تجلى في عينيها وعصر تعابير وجهها من السعادة وأثنى من رباطة جأشها قليلا، والتي كثيرا ما تتحلى بها عند الخوض في فاجعة أختها، لكن هذه المرة كان الأمر مختلفا، فقد سيطرت عليها الدموع المنهمرة من عينيها والتي كانت تتغذى من حرقة قلبها على مأساة أختها إيمي، ولو لم يأخذ مالفى بيدها لكان ازداد حالها سوءا فنظر إليها قائلا: يكفي هذا الآن يا كوريصي، تمالكى نفسك، سأكون أنا الضعيف و ليس أنت إذا لم تستجمعي قوة صبرك، وقبل أن يسترسل مالفى في الكلام مجددا حتى حلقت الابتسامة من شفثيها لتعانق تعابيرها وتختفي ذنوب الألم من وجهها. تعالى السرور على قسمات مالفى وقال: لطالما كنت متيقنا أنني لم أخطئ الاختيار عندما اخترتك.

قالت كوريصي: توقف يا مالفى، لقد أخجلتني، فلنعد إلى سياق حديثنا. قال مالفى: حسنا، قد أوافقك الرأي أنه من المحتمل أن يكون توفي، فقد مرت خمسة سنوات، وأقول هذا ليس من باب التشائم وإنما من المستحيل أن يكون قد ترك زوجته

وابنته ويرحل، فهو رجل حنون جدا ولا يمكن أن يفعل هذا بأي حال من الأحوال إلا إن كان قد قضى نخبه حقا، خاصة أنّ المشكل الذي جرى بينه وبين إيمي لن يبلغ به لفعل أمر كهذا.

قالت كوريسي: جيد أنني لم أزعجك، أو كنت قلت لك كلاما يجعلك تغضب بشدة، هذا بالرغم من أنك هادئ طول الوقت.

قال مالفى: أزعجتني مرات كثيرة مذ تزوجتك، ألا تذكرين؟

- لست أذكر، لو فعلت لكنت غضبت علي، وأنا لا أذكر أنك غضبت علي ولو مرة واحدة، لا تزال زوجا مثاليا يا مالفى.

- لم أكن زوجا مثاليا وإنما كنت صبورا، كنت أصبر على كل كلمة تقولينها وكل فعل غير صائب تقومين به، هذا كل ما في الأمر.

نظرت كوريسي إليه وقالت: أنظر إلي. وما إن نظر إليها حتى بدأت بالضحك وقالت: من أين أتيت بكل هذه الحكمة التي تنطق بها، فلم أعهدك هكذا!

- لم أكن أظهر عبقرتي، هذا كل شيء، وإلا فالحكمة عندي تماما مثل الغزل العفيف، كلاهما يسريان في أعماقي بالفطرة.

لحظات وقال: قربك أكون طائرا مخلقا... لكن لن أريك موهبتي الآن!

ردّت كوريسي: إذا كنت مخلقا فلا تنظر إلي، وأدر بصرك، لأني حينها سأرميك بسهم من سهام عيوني لتموت في السماء قبل وصولك للأرض!

- زوجة قاسية، أوتعلمين: أكرهك، أكرهك، ليس قليلا فقط ولكن كثيرا، زوجة شريرة لا تعلم طريقة التكلم مع زوجها بلباقة، للأسف لا تعرفين أي كلام جميل حلو المذاق، لذلك سأعطيك مثالا. قلتُ لك أنني قربك أكون طائرا مخلقا، ولو كنت ذكية لقلت: حلقت بجناحيك فطار قلبي إليك، لكن لا بأس، أنت تتعلمين.



قالت كوريسي: كيف يطير قلبي وأنت كسرت جناحاه في الأرض؟!  
قال مالفي: الآن ستبدأ الجديدة. لتقول كوريسي: حسنا، بما أنك قلت حان وقت  
الجديدة، لنبدأ ونرى من الأبرع؟  
- أعلم حق المعرفة أنني الأبرع، لكن سأعطيك فرصة، إن نجحت سنواصل، وإن  
فشلت سنترك الكلام حتى حين عودتنا.

قالت كوريسي: يمكنك البدء، أنت لا تعرفني، سأكسر غرورك.  
تطلع مالفي في عيون كوريسي، وقال: تجمدت مياه البحر بنظرة من عينيك، ورست  
السفن بنسمة عبرت من بين شفتيك.

قالت كوريسي: يااه، رائع، أخيرا بعض الكلمات الرائعة، وهمت أن تردّ، لكن مالفي  
نظر إليها وقال: خسرت حق الردّ، عندما تجمدت البحار انزلقت السفن ولم ترسّ!. لا  
تغضبي، تمني أن نعيش حتى عودتنا لتكون لك فرصة الردّ، هيا ابتسمي.

قالت كوريسي: أرجوك يا مالفي، إلا إذا كان ذلك كل ما تعرف.  
- حسنا. لحظات وقالت كوريسي: والآن سأريك، أو لنقل سأعلمك كيف يكون  
الغزل العفيف!

قالت: أنسى الحياة أم الحياة تنساني؟ وجودك بقربي أين أمساني؟ بصري تركته أم  
حبك أعمايني؟ هل حبك طغى على أجفاني؟ دقات قلبي ترشدك أين تلقائي، على عجل  
تعال كي ترى ألوان المعاني وتغرق في بحار ألواني، ضم قلبي ولا تُردّ أحلامي، إلا إذا كنت  
ترجو ارتقاء آلامي، سافرت علني ألقاك، حتى عرفت أنني ضعت في عينك، لكنه لم يقل  
أهواك، حتى قال القلب ضاع المسكين في محياك!

نظرت كوريسي إلى مالفي، وقبل أن تقول أية كلمة قال مالفي: أهذا كل ما لديك؟  
قالت: أجل، انتهيت، يمكنك البدء، أم تريد الانسحاب؟

- إذا انسحبت، أين تبقى مروءة الرجال؟. لا تُخجلي قلبي بربيع أبياتك، فقد أنتهي في بسمه من بسماتك، لا تسحريني بباقه من كلماتك، أو تقتليني بسهام من نظراتك، معنى الزمن تجهله أكواني، في بحر من تهواني، انتزعت فؤادي دون أن تؤذيني، أهدتني قلبها فما بقي لتهديني، نثرت ورود الأنس حاولت تنسيني، أن الأنس قرب التي تكويني!

قالت كوريسي: ياااه... راقطني كلماتك.

مرّ الوقت ولم يشعر بالجوع ولو للحظة، حتى بدأت الشمس بالغروب. قالت كوريسي: علينا الآن أن نجد منزلاً يأوينا أو على الأقل أحداً يؤجرنا مكاناً لنبيت فيه هذه الليلة، فمن المستحيل أن ننام في العراء في هذا الجو البارد.

- لم أكن أعلم أن زوجتي ضعيفة، تخشى الأجواء الباردة، يعني لو كست الثلج هوراكام، لن نلعب بالثلج.

ردت كوريسي: أنا لم أقل هذا لأني خفت على نفسي من البرد بل لأن مرضك الجلدي سيتفاقم في جو مثل هذا، ثم أردفت: إذا لم أقلق عليك، فمن سيقلق عليك؟!

- ما هذا الكلام العذب الذي تنطقين به؟ لا أصدق أنك تفكرين فيّ قبل أن تفكري في نفسك!!

- اصمت ولا تخرجني!

لحظات قبل أن تلمح عيون مالفي بيتا صغيراً. قال لكوريسي: تعالي، سنطرق ذلك الباب عسى يفتح لنا أهله ويتكرموا بإيوائنا.

تقدم الاثنان نحو الباب بخطوات ثابتة، ثم طرق مالفي ثلاث مرات على الباب. مرّت لحظات قليلة فقط ليفتح صبي في عمر الخامسة عشر الباب، وما إن همّ مالفي بتكليمه حتى أوصد ذاك الصبي الباب في وجهه دون أن ينطق بكلمة واحدة، فاستغرب مالفي من سلوكه، وقال: عجباً لهذا الصبي؟ رفض الكلام معي دون أن يسأل ماذا أريد.

- لا تنزعج، فنحن غريبان عن هذه القرية وهذا من حقه، وقد يكون شعر بالخوف عندما رآنا، دعني، سأطرق أنا الباب وأحاول معه. طرقت كوريسي مجددا على الباب، لتفتح هذه المرة امرأة في العقد الخامس من العمر. قالت بلهجة غليظة: ماذا تريدان؟ قالت كوريسي: عذرا يا سيدتي، لكننا نحتاج بعض المساعدة إن كنت لا تمانعين هذا طبعاً. ثم تابعت كوريسي تقول في سرها: ما بها ترمقنا بهذه النظرات الغريبة؟ قالت العجوز: اعذراني، ليس لديّ ما أساعدكم به، وأغلقت الباب مباشرة في وجهيهما دون أن تسمع منهما كلمة واحدة هي الأخرى كذلك.

قالت كوريسي: ماذا علينا الآن أن نفعل، بالكاد وجدنا هذا البيت، وكل المنازل الأخرى بعيدة، وأنا لم أعد قادرة على المشي.

- لا تقلقي، سنجد حلاً بإذن الله، يجب أن نصبر فقط. تركا ذلك البيت ومشيا مسافة ليست بالطويلة، حتى التقيا بشيخ كأنه في الستين من العمر، قصير القامة نسيباً، فساراً نحوه.

ألقى مالفى السلام عليه، وقال بصوت مهذب: هل لي أن أسألك يا عم؟ قال ذلك الشيخ بأدب: نعم، تفضل واسأل ما شئت يا بني.

قال مالفى: إني وزوجتي غريبان عن هذه القرية، والآن نبحث عن منزل يأوينا في هذه الليلة حتى ولو يأجر لنا أجر المبيت، لكننا لم نعرف طريق الوصول إلى المنازل الأخرى، فكما ترى المنطقة منطقة جبلية والظلام يكاد يخيم على القرية، فهل لك أن تدلنا إن لم تمنع عن كيفية الوصول إلى تلك المنازل؟

- لا مشكلة يا بني، فمنزلي يقع بالقرب من تلك المنازل التي لم تعرفا طريق الوصول إليها، وإن شئتما تعاليا إلى منزلي، يمكنكما المكوث عندي.

قال مالفى: شكراً جزيلاً لك، لقد صنعت لنا معروفاً كبيراً، هذا فضل منك.

- العفو، فهذا من دواعي سروري، والمعروف إذا أحسنت ضيافتكم في منزلي المتواضع.

- ابتسم مالفي وزوجته وشكرا له لطفه، ليقول ذلك الشيخ: أدعى سادوي، وانتظراني هنا قليلا، سأعود عما قريب، ونذهب سوية.

ذهب سادوي باتجاه البيت الذي قصده مالفي وزوجته قبل لحظات قليلة، ليفتح له نفس الصبي، وهذا الأخير أغلق الباب بعد فترة قصيرة في وجه سادوي، جرى كل هذا على مرأى من مالفي وزوجته، فاحتارا من تلك المعاملة، أما سادوي فقد عاد بابتسامة بشوشة تعلو محياه. اتجه الثلاثة صوب تلك المنازل التي كانت تقع في منطقة جبلية تحفها الأشجار ولا يمكن أن يعرف طريق الوصول إليها إلا من كان يسكن هناك، خاصة وأن سواد الليل كان قد بدأ يغشي سماء تلك القرية.

قال سادوي: عذرا على التأخير الذي سببته لكما قبل قليل، فرد عليه مالفي بأدب: أنت من يجب أن يعذرنا ولسنا نحن يا سيدي.

ابتسم سادوي قائلا: ألم تقصدا هذا المنزل أم أنكما لم تمرا عليه؟. وكان يقصد البيت الذي احتار كل من مالفي وكوريسي من طريقة تصرف ساكنيه؟

قال مالفي: لا، لقد مررنا عليه، لكن في المرة الأولى فتح صبي لي الباب، وأغلقها بعد فترة قصيرة دون أن يسأل ماذا نريد، وفي المرة الثانية، طرقت زوجتي الباب، ففتحت امرأة في العقد الخامس على ما أظن وعندما سألناها إذا ما كانت تستطيع مساعدتنا قالت لا يوجد ما أساعدكم به، أغلقت الباب مباشرة في وجهينا. ليقول سادوي: أرجو أن لا تكونا قد أقيمتما اللوم عليهما جراء ما فعلاه.

قال مالفي بحيرة: هل أفهم من كلامك أنهما لم يخطئا في طريقة التعامل معنا؟

- طريقة المعاملة، كانت لتكون أفضل، لكن لا يمكن أن نقول أنها مخطئة، الصبي يا

ابني أصمّ وأبكم، لذلك لم يرد عليكما، أما الأم فهي أرملة منذ حوالي عشرة سنين أو أكثر، وتعيش بكرم المحسنين، لذلك لم يكن بإمكانها تقديم المساعدة لكما.

قال مالفى: لكن لماذا لم تقل لنا على الأقل، فكما ترى، يبين بأننا ميسورا الحال. ليردّ سادوي: الفقراء لا يسألون الناس، ولم تر أنكما ميسورا الحال لأنها لا تبصر يا بني.

تأسف كل من مالفى وزوجته على حال تلك المرأة وابنها، وقالت كوريسي: إننا قساة قلوب، دائما نفتقر إلى النظرة الرحيمة... لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال مالفى: لكن لماذا لم تسكن بالقرب منكم يا عم، وبذلك تخف معاناتها ولو قليلا من مصائب الحياة، فهذا كان ليخفف الكثير، أليس كذلك؟

- حاولنا معها كثيرا، لكنها كانت ترفض في كل مرة، وكل محاولتنا لإقناعها كانت فاشلة للأسف، لم ترد أن ترح بيتها.

قالت كوريسي: لا بد أن السبب الذي يجعلها متمسكة بقرارها، هو سرّ لا يمكنها البوح به.

قال مالفى: قبل فترة قصيرة كان لسانك شبه معقود والآن تتكلمين عن الأسرار التي تجعلنا نعيش حياة الألم والمعاناة.

وما هي إلا لحظات حتى استغرب مالفى وقال: عجبا، كيف وصلنا إلى هاته المنازل التي لم أكن أرى لها أي طريق واضح؟

ردّ سادوي: لكل مشكل حل، إذا لم نصل للحل فذاك راجع إلى ضعف عقولنا، وإذا وصلنا فاعلم أن الله وفقنا. ساروا بعد ذلك لفترة قصيرة، قبل أن يقول سادوي: ها هو ذا منزلي، تقدما معي لنرتاح من هذا الجو البارد.

## الفصل التاسع: الإبرة الموروثة

" كل شخص يريد أن يفهم الفن. لماذا لا نحاول أن نفهم أغنية طائر؟ لماذا نحب الليل،

الأزهار، كل شيء حولنا، دون محاولة فهمها؟ لكن في حالة الرسم، الأشخاص يظنون أنّ

عليهم أن يفهموا. "

بابلو بيكاسو

طرق سادوي الباب لتفتح زوجته وهي تحمل قنديلا في يدها، كانت تقارب عمر سادوي من خلال ملامحها، متوسطة القامة بيضاء البشرة، وما إن رأت مالفي وكوريصي حتى قالت: أرى أنه لدينا اليوم ضيوف يا سادوي.

قال سادوي: إذن، ابدئي بحسن ضيافتك ودعينا نلج، أم ستبقين واقفة عند الباب؟ ردت زوجته: دائما على عادتك، ثم طلبت من الضيوف أن يتفضلوا بالدخول.

قال سادوي: إنها زوجتي وتدعى آيريتي.

لحظات وقال سادوي: حسنا، اذهبي يا آيريتي وابدئي بتحضير طعام العشاء لضيوفنا. قالت كوريصي: أرى أنك لن تمانعي يا أماه إن ساعدتك في تحضير الطعام.

قال سادوي: ألم تتعلمي بعد يا ابنتي أن الضيوف عليهم أن يرتاحوا فقط، اذهبا وارتاحا في غرفة الاستقبال ريثما يصبح العشاء جاهزا، فلا أظن أنه سيستغرق وقتا طويلا. بعد أن أنهى الجميع عشاءه، ذهب سادوي ومالفي إلى إحدى الغرف ليتبادلا أطراف

الحديث قليلا، في حين ذهبت كوريصي مع آيريتي حتى تهيء معها غرفة ينامان فيها.

قال سادوي: هذه هي الغرفة المفضلة لدي، كما ترى، هي واسعة جدا ولا يمكن سماع أي صوت إذا كنت داخلها، لأن شئك جدرانها كبير نوعا ما، لذلك أسميها الغرفة الهادئة.

كانت غرفة فسيحة مفروشة بالحصير والزرابي، وجلس سادوي متكئا على وسادة وبجانبه مالفى.

لحظات وقال سادوي: إنّ ابني هو من صممها، وهو من قام ببنائها كذلك، مع مساعدة بسيطة مني.

ليقول مالفى: ألدك ابن يا عمّاه؟

أجاب سادوي قائلا: نعم، لدي ابن وحيد، وقد مضى على زواجه قرابة الأربع سنين. لحظات وقام سادوي ليأتي بفنجان قهوة، ثم عاد وجلس بجانب مالفى وراح يقول: مرضت زوجته الأسبوع الماضي، ولم تبرح الفراش فذهب إلى أحد الحكماء في إحدى القرى المجاورة علّ هذا الأخير يصف لها علاجا يجعلها تتماثل للشفاء، وزوجتي تعتنى بها هاته الأيام.

قال مالفى: لا تقل لي أنه قصد الحكيم المعروف جايري واير؟

ردّ سادوي: نعم، بالضبط يا بني، هل تعرفه؟

قال مالفى: الحمد لله أننا التقينا بك يا عمّاه. لا أعرفه، لكن أتيت وزوجتي من أجل أن يصف لي دواء، لأني أعاني من مرض جلدي، ونحن بصدد الذهاب إليه.

- أفهم من كلامك أنك لا تعرف أين يسكن؟

قال مالفى: عرفنا أنّه بقرية تدعى دورياساك، أما طريق الوصول إليه فهو أن نسأل الناس حتى نتهدي إلى موقع منزله.

قال سادوي: أرى أن تمكثا هنا ريثما يعود ابني، وبعدها هو يدلكما على موقع منزله وهكذا تتجنبان عناء البحث عنه كثيرا، فنحن سمعنا أنه في قرية غير دورياساك.

- شكرا، شكرا جزيلًا لك، بهذا تكون قد نزعت عنا حملا ثقيلا.

تابع مالفى: هل لي أن أعلم متى يرجع ابنك يا عم؟

قال سادوي: غادر المنزل قبل أربعة أيام، ولا نعلم تحديدا متى سيعود، لكن لن يطيل الغياب، لذا ارتاحا ريثما يعود، وهو من سيوصلكما إلى الحكيم إن شاء الله.

لحظات وقام سادوي قائلا: عليّ أن أصبحك على خير يا بتي، ولا تترددا في طلب أي شيء إن احتجتما إليه، أتمنى لكم ليلة هنيئة وأحلاما سعيدة.

كانت آيريكي وكوريصي قد رتبنا إحدى الغرف، ثمّ عادت آيريكي بعدما أصبحتهما على خير، وذهبت لتنام.

قالت كوريصي مخاطبة مالفى: يا لجمال هذه الغرفة، خصوصا حاملات الشموع هذه في أركانها، إنها حقا رائعة، ما أكرمهم؟

- أجل، فهم مضيافون حقا، قلما يجد الإنسان مثلهم في هذه الحياة، حقا أناس طيبون، من الرائع أن نمكث هنا ريثما يرجع ابنهما.

- لدي سؤال يحول في خاطري يا مالفى. قالت: عندما قال سادوي أنه يمكننا المكوث في منزله لم وافقت مباشرة، ولم تضع في الحسبان احتمال أنه سيخدعنا؟

- أولا قال يمكنكما المبيت في منزلي إن شئتما، أي أنه لم يجبرنا، أما الشيء الثاني الذي جعلني أطمئن إلى أن نواياه صادقة، هو عندما طلب منا الانتظار قليلا وذهب إلى ذلك البيت الذي قصدناه في المرة الأولى.

- لم أفهم كيف جعلك ذهابه إلى ذلك المنزل يشعرك بالطمأنينة وحسن نواياه، وكان في بالي أن أسألك لماذا ذهب لذلك البيت وعاد، وبعدها قلت في نفسي: لا بد أنه ذهب لكي يبين لنا أنهم لا يستقبلون أي أحد، وليس فقط الغرباء مثلنا.

- لا يا كوكوريصي، ما ظننته كان خاطئا، فقد ذهب وأعطى كيسا من المال لذلك الطفل، ولم يرد أن نعرف ما فعل.

- لكن كيف عرفت أنه أعطى كيسا من المال لذلك الصبي يا مالفى، فأنا لم ألحظ أنه



أدخل أيًا من يديه في جيب لباسه عندما فتح ذلك الصبي الباب له؟

- ما إن تمشى قليلا نحو ذلك البيت حتى سمعت صوت القطع في جيبه، وما إن ذهب لذلك البيت وعاد حتى صرت لا أسمع صوت القطع، فعرفت أنه تصدق بها، وعن إدخال يده في جيبه، لا بد أننا لم نلاحظ ذلك.

- أتساءل في نفسي الآن لماذا لم يجعلنا نعرف أنه سيتصدق لذلك البيت وبذلك يجعلنا نشعر بسكينة واطمئنان أكثر يا مالفي؟

- لا بد أنه فعل ذلك ليرى إن كنا ممن يحسنون الظن أم لا.

فجأة طرق سادوي على باب الغرفة التي رتبت لكل من مالفي وكوريصي، ففتح مالفي الباب، ليقول له سادوي أن النار متقدة في الخارج، هذا إن أرادا الجلوس أمام دفء النار، فشكره مالفي، وعاد سادوي لكي يخلد إلى النوم.

نام الجميع، أما مالفي فلم يستطع النوم وقال في نفسه: من الجيد أن النار متقدة في الخارج، سأخرج وأبقى قربها ريثما أشعر بالنعاس يداعب جفوني.

خرج مالفي إلى ساحة المنزل، وجلس بقرب النار المتقدة، وبعد حوالي نصف ساعة، خرجت كوريصي وكأنها لم تستطع النوم.

قالت: ألم تنم بعد يا مالفي؟ لا تقل لي أنك فضلت الجلوس أمام النار والاستمتاع بدفئها بدل البقاء في الداخل والنوم؟

- لا شيء من هذا يا كوريصي، لم أشعر بالنعاس، ولم تكن لدي رغبة في النوم، ففضلت أن أبقى هنا لأنعم بالدفء.

جلست كوريصي بجانب مالفي، وقالت: حتى أنا لم أستطع النوم، فارتأيت أن أخرج وأتنفس بعض الهواء، قبل أن أجذك هنا.

تسامرا لفترة وجيزة، قبل أن يسمعا سعالا حادا يأتي من الداخل، فहरها لينظرا ما

الخطب، وتفاجئا بسادوي في الرواق وهو غارق في دموعه.

بقي مالفى يطمئن في سادوي، فيما دخلت كوريسي إلى الغرفة، لتجد آيريتي، وامرأة طريجة الفراش. كانت هاته الأخيرة زوجة ابنهما المريضة.

كان السعال حادا جدا، والحمى شديدة عليها، وكانت آيريتي تحاول إعطائها بعض الأشرطة لتخفيف السعال الحاد.

كانت آيريتي تحاول إيقاف السعال، واقتربت كوريسي ووضعت يدها على جبهة الكنة، لتتفاجأ بشدة ارتفاع حرارتها، فأسرعت بإحضار قطعة قماشية والقليل من الماء البارد، بللت القطعة القماشية ثم وضعتها فوق جبهة المريضة حتى تحفّ الحمى.

لم يدر سادوي ماذا يفعل غير الدعاء لزوجته ابنه، وكان مالفى بجانبه يطمئنه، أما آيريتي وكوريسي، فكانتا جالستين قرب المريضة، آيريتي تمسك يدا وتمسح عليها، وكوريسي تمسك اليد الأخرى وتمسح عليها لتخف الآلام ولو قليلا.

توقف السعال تماما، ولمست كوريسي رأسها لتجد أن الحمى انخفضت، وبقيت الاثنتان قرب المريضة طوال الليل، أما سادوي ومالفى فقد اتجها إلى الغرفة الهادئة وجلسا بعد أن غادر النعاس سادوي، أما مالفى الذي لم يشعر بالنعاس، فقد نسي أمر النوم.

بعد أن نامت الكنة، نامت آيريتي وكوريسي بقربها، أما سادوي ومالفى فقد غلبهما النعاس وناما وهما متكئان على الحائط.

في الصباح استيقظ كل من مالفى وكوريسي، وكذلك سادوي وزوجته، أما الغريب فهو أن زوجة الابن كانت قد استيقظت قبلهم جميعا، وقد بدأت بإعداد فطور الصباح كأنها لم تكن مريضة ليلة الأمس.

كانت آيليتي امرأة رقيقة بعمر كوريسي، بيضاء البشرة، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة، جميلة المنظر تتدفق الطيبة من محياها.

فجأة أقبلت كوريسي نحوها ونزعت الفناجين من يديها قائلة: أنت بالكاد تعافيت، يجب أن تستريحى.

- لا داعي لهذا، أنا بحال جيدة والله الحمد، أنت ضيفة، لذلك وجب أن نخدمك.

قالت كوريسي: حسنا، سنقوم بهذا معا، متأكدة أن هذا سيسعدك.

فابتسمت آيلايتي وقالت: شكرا على لطفك. هكذا تناولوا فطور الصباح و أجواء الفرحة تغمر قلوبهم خاصة بعد شفاء آيلايتي.

ما إن انتهوا من الفطور حتى حكت آيريتي لكنتها قصة لقاء سادوي بمالفي وكوريسي لتقول آيلايتي لكوريسي: أتمنى له الشفاء العاجل يا كوريسي.

ردت كوريسي: شكرا لك يا عزيزتي، أما آيريتي فقالت: أما أنا، فأتمنى أن يشفى كما شفيت أنت يا ابنتي، وصدقيني، لا أحد فهم كيف أن سعالك الحاد ليلة البارحة توقف، وكيف أن الحمى انخفضت.

قالت آيريتي: سيسعد رايكن كثيرا بهذا، والشيء الجميل كذلك هو أنه لم يذهب إلى تلك القرية عبثا، فعند عودته، سيكون قد عرف منزل الحكيم جايري، بذلك لن تضطر كوريسي للذهاب، وسيكون رايكن دليلا لمالفي، على أمل أن يشفى قريبا إن شاء الله. كانت آيلايتي قد شفيت تماما، أما الشيء الملاحظ فهو كثرة ضحكها، فكثيرا ما كانت كوريسي تطبخ معها حتى تنفجر آيلايتي بالضحك.

بعد مرور يومين سألت كوريسي آيريتي قائلة: قد أكون فضولية يا أمها، لكن ألا ترين أن آيلايتي تضحك كثيرا.

قالت آيريتي: في الأيام الأولى يا ابنتي، كنت أحتار عندما أجدها تضحك بإفراط، أما الآن، فأجد أن الضحك ربما يكون دوائها لتشفى من مأساتها.

بعد أيام قليلة من ذهابنا لخطبتها، توفيت أمها، فتأجل الزواج قليلا، وفي اليوم الذي

كان من المقرر فيه إقامة الزواج ذبح أبوها أمام عينيها، كانت الفتاة الوحيدة لوالديها، وأقيم العرس بعد أيام من فاجعتها الثانية، وبقي منزلها مهجورا إلى هذا اليوم، وربما الذكرى الوحيدة التي تملكها هي إبرة.

قالت كوريسي بدهشة: إبرة، إبرة... أليس هذا غريبا؟

ردّت آيريتي: الأمر غريب نوعا ما يا ابنتي، خاصة أنها أخبرتنا أن والدها قد أهداها لها قبل أن يذبح بأيام قليلة.

تابعت آيريتي كلامها: لكن هذا لن يكون غريبا إذا عرفنا أن أحدهم وجد جملة مكتوبة على باب منزلهم بعد يوم واحد من ذبح أبوها، وتلك الجملة هي - أبوك يا فتاة ذبح، لكن قرار ذبحه لم يكن ظلما بحقه، وهذا ما جعل كثيرين يرجحون أنّ والدها كان يعمل لصالح جماعة العباءات السوداء.

صمتت لوهلة ثم قالت: أو باسمها الأدقّ جماعة السرّ الأسود، والتي لا تزال تبحث عن الأسود الجميل الذي أخذه منهم المجنون لونغفيرو كيمزاي، دعك من الموضوع يا ابنتي، فنحن أشخاص عاديون، ولا شأن لنا بتلك الأمور.

مضت بضعة أيام وعاد رايكن إلى المنزل. كان شابا قويا، أبيض البشرة، بهي الطلعة، متوسط القامة، وذو شعر أسود.

رحب الجميع بعودته سالما ولعل أكثر شيء أفرحه هو رؤية زوجته قد شفيت تماما وقال: أنت آيلايتي أم أنا أحلم؟ ألم تكوني طريحة الفراش في الأيام الأخيرة؟

قال سادوي: إنها هي ولست تحلم يا بني، لقد شفيت والحمد لله.

- لكن كيف حدث هذا يا أبي، كانت طريحة الفراش، لم تكن تستطيع التحرك، وكان المرض يشتد عليها في كل يوم وكل لحظة.

- بصراحة، حتى أنا لا أعلم كيف حدث هذا، وجل ما يمكنني قوله هو أنها شفيت

في اليوم الذي استقبلنا فيه هذان الضيفان الرائعان، وأشار سادوي إلى مالفى وكوريسي. قال رايكن: اعذراني، اعذراني رجاء لأني لم أنتبه لكما، فقد كان تفكيري منصباً على آيلايتي، وقال: أهلاً وسهلاً بكما.

قال سادوي: إذن لندخل ونتمّ الحديث في الداخل.  
- اعذرني يا أبي، سنتّم الحديث بعد أن أرتاح وأنام فلم أنم في اليومين الماضيين ولو ساعة واحدة، واعذروني لأنه لا رغبة لي بالأكل أبداً، أريد فقط أن أنام.  
قال سادوي: لك ذلك فلن نجبرك.

توجه رايكن مباشرة لكي ينام، أما سادوي فقد أخذ الحصان إلى الإسطبل، ثم عاد إلى مالفى ليبادلّه أطراف الحديث، فيما كانت النسوة تحضرن الغداء الذي كان شبه مكتمل. وهكذا تناولوا الغداء ثم أخذوا قيلولة وانقضّى اليوم بشكل عادي.  
لم يستيقظ رايكن من نومه إلا في وقت متأخر من النهار، ولم تتح لهم فرصة الحديث عن الرحلة إلا بعد تناولهم طعام العشاء.

اجتمعوا في الغرفة الهادئة، وسئل سادوي ابنه عن رحلته، كذلك عن الحكيم الذي قصده من أجل أن يصف له علاجاً لآيلايتي.

قال رايكن: كانت رحلة عادية يا أبي، لم يكن فيها أي شيء مميز، غير أنها كانت شاقّة جداً، فالطريق إلى تلك القرية كانت طويلة جداً، وقد اضطررت للمبيت في العراء قبل أن أصل، والأمر الجيد هو أن الزاد الذي أخذته معي كان كافياً حتى عودتي، والأمر الذي لم أتوقعه هو أن الحكيم جايري لم أجده في القرية التي أُخبرنا عنها، فقد أخبرني سكانها أنه رحل إلى قرية أخرى تدعى دورياساك، لذلك قصدت هذه الأخيرة.

التفت سادوي إلى مالفى وقال: جيد، كانت لديك أخبار دقيقة إذن؟  
ابتسم مالفى ثم قال سادوي مخاطباً ابنه مجدداً: حسناً، من الرائع أنك وصلت إليه،

أعلم أنك تفعل المستحيل لأجل آيلايتي، والآن أخبرنا عن الحكيم جايري.  
- كان شيخا طاعنا في السن، ذو شعر طويل شاب كليا، تبين على ملامحه علامات  
الحكمة ولم أصدق العدد الهائل من الناس الذين يتهافتون للعلاج عنده، وسبحان الله،  
كلماته تجعلك تشعر بالراحة، وكأنها شافية، حتى إنك ستنسى أنك مريض أصلا.  
- هل وصف لك دواءً لآيلايتي؟.

أجاب رايكن: نعم، لكن ما حاجتنا إليه الآن، فأيلايتي شفيت و لله الحمد.  
قال سادوي: يسعدني القول بأنك مضطر للذهاب إلى تلك القرية مجددا يا بني.  
استغرب رايكن كلام والده وقال: لا شك أنك تمزح يا أبي، وإن كنت لا تمزح،  
فأخبرني لماذا، هل هناك خطب ما؟

- إن ضيفنا مالفى مريض، وقد أتى من قرية مجاورة ليعالج عند نفس الحكيم، وارتأينا  
أن تدله على مكان الحكيم، بذلك تجنبه عناء البحث، وتجنب زوجته كوريصي كذلك  
عناء الذهاب والعودة.

- حسنا، هذا من دواعي سروري. ثم نظر إلى مالفى وقال: أظن أنها ستكون رفقة  
جيدة يا مالفى، لكن الرحلة لن تكون سهلة أبدا.

قال مالفى: شكرا لك يا رايكن، أتمنى أن تسامحني على التعب الذي سأسببه لك،  
فأنت لم تصل إلا اليوم، وستعود دون أن تكون لك فائدة، فاعذربي حقا.

أما رايكن فقال له: إن لم نساند بعضنا البعض يا أخي فكيف كانت لتكون الحياة؟

قال سادوي: اتفقنا إذن، بعد أيام قليلة إن شاء الله ستذهبان.

قال مالفى: شكرا جزيلا لكم، فهذا لطف كبير منكم.

استيقظ الجميع قبل شروق الشمس، كانت كوريصي تعد في فطور الصباح، أما آيريتي  
وكتبتها فقد كانتا تحضران الزاد الذي سيأخذه الاثنان في رحلتهم، أما سادوي وابنه

ومالفي فذهبوا للإسطل لاختيار حصان لمالفي فرايكن كان له حصانه الأبيض المفضل، وبينما هم يحاولون اختيار حصان جيد حتى لفت انتباه مالفي أحد الأحصنة، كان يبدو حصانا قوي البنية جدا، على خلاف الأحصنة الأخرى التي كانت عادية، مثل معظم الأحصنة المعروفة، رمادي يخالطه بعض السواد، وكان في إحدى زوايا الإسطل أقرب ما يكون منعزلا عن الأحصنة الأخرى.

ما إن وقع نظر مالفي عليه حتى قال: ما رأيكما بذلك الحصان، أراه قويا، دعونا نأخذه.

نظر سادوي إلى ابنه وتبسم ثم قال لمالفي: إنه من سلالة مختلفة، ولا بأس إن أردت أن يكون رفيقك في رحلتكما بشرط واحد، ألا وهو أن تستطيع امتطاءه.

قال رايكن: مهلا، أنت تعلم يا أبي أن ذلك الحصان جامح جدا، لم يسبق لأحد أن امتطاه، دعك منه يا مالفي وانظر حصانا آخر لك، فشبه مستحيل امتطاءه.

ردّ مالفي: لم يسبق لي أن عجزت عن امتطاء حصان من قبل، وامتطاء هذا الحصان لن يشكل تحديا. قال رايكن: حسنا، لنخرج الحصانين، ولا تقل أنني لم أحذرك.

بعد أن قاموا بإخراج الحصانين من الإسطل، قاموا بربطهما قرب إحدى الأشجار القريبة من بوابة المنزل حتى يكون خروجهم سهلا وذهبوا لتناول فطور الصباح، بعد الانتهاء حملوا زاد الرحلة واتجهوا نحو البوابة.

كان حصان رايكن لا يزال مربوطا، أما الحصان الذي اختاره مالفي فكان سادوي قد غير مكانه وربطه في ناحية معشوشبة من المنزل.

قال سادوي لمالفي: جرب أن تمتطيه هنا، فإذا ما سقطت ستسقط على العشب، ولن تتأذى كثيرا، هذا أفضل من السقوط على الأرض الصلبة مباشرة، إن حصل ولم تستطع امتطاءه رغم ثقتك بترويضه.

اقترب مالفى نحو الحصان، وأمسك لجامه. قال: بسم الله، ثم قام وركب الحصان بكل سهولة، نظر إلى رايكن وقال: أهذا صعب؟

لحظات وثارث نائرة الحصان، صهل بصوت مخيف وأسقط مالفى الذي من حسن حظه أنه لم يتأذ. قال رايكن: تستطيع امتطاه، أليس كذلك؟! كان قلب مالفى يخفق بشدة، فلم يتخيل أن ذلك الحصان جامح إلى تلك الدرجة. قال: أي حصان هذا؟

ردّ سادوي: هل اقتنعت إذن يا بني أن امتطاه مستحيل، رأيت هذا بنفسك، سأخذه وأحضر لك حصانا غيره.

قال مالفى: لا، انتظر قليلا، سأجرب امتطاه ثانية.

اقترب مالفى مجددا من الحصان ومسح عليه قائلا: صديقي الغاضب، هيا ابتسم. أمسك اللجام وقام بامتطائه مجددا وأحكم قبضتيه جيدا على اللجام، وما هي إلا لحظات حتى ثارت نائرة الحصان مجددا، وبقي مالفى متمسكا به بكل قوته وهو يقول: سنى الآن، أنت أم أنا؟

كان منظر الحصان وهو نائر مخيفا جدا، حتى طلب الجميع من مالفى أن يتركه مخافة أن يتأذى إذا ما أسقطه، لكن مالفى كان مصرا على امتطائه، رغم أنه في كل لحظة تظن أنه سيسقط، شيئا فشيئا هدا الحصان تماما.

قال رايكن وهو غير مصدق لما تراه عيناه: هذا وهم أم حقيقة؟ وهكذا ودعوا أهل المنزل، وقال سادوي: في حفظ الله يا أبنائي، على أمل عودتكم سالمين.



## الفصل العاشر: البيت المشيد في الغابة

"الخطر الأكبر لغالبيتنا ليس أن هدفنا رفيع المرتبة و نحن أهملناه، و لكنه جدّ متدني و نحن

حققناه." "

ميكيالانجلو بوناروتي

انطلقا حاملين معهما الزاد وكل ما يلزمهما، وأثناء المسير كانا يتبادلان أطراف الحديث وبعد حوالي ساعتين بدأ يلوح جبل شديد الارتفاع، ممتد على مرمى البصر كأنه حصن منيع تكسوه الأشجار الكثيفة ويبعث في نفس الناظر إليه الشعور بالرهبة.

قال مالفى: من يرى هذا الجبل، يخال أنه لا توجد أية طريق لمواصلة المسير، ولو كنت وحدي لصدقتك القول أني سأعود أدراجي على الفور.

قال رايكن: ليكن في علمك أنه لا يوجد أي طريق دون التوغل في هذا الجبل، فلا سبيل للوصول إلى الحكيم جايري قبل أن نعبّر هذا الجبل إلى الجهة الأخرى.

قال مالفى: وأين نبيت، من غير المعقول أن نبيت وسط تلك الأشجار الكثيفة التي تنذر بالخطر الذي بات يحرق بنا منذ هذه اللحظة؟

- للأسف، سنضطر للمبيت فيه هاته الليلة، الشيء الذي ربما يريحك قليلا هو أنه توجد دروب ما إن نصعده قليلا، نبقي نتبعها ثم نواصل المسير حتى نصل إلى وجهتنا.

- هل تعلم يا رايكن أنني أتساءل الآن في نفسي كيف كنت سأصل لو لم ألتق بوالدك أولا، وبعد ذلك أنت الذي ترافقني دون أن تكون لك أية فائدة، شكرا... شكرا لك يا رايكن واعذرنى على هذا التعب الذي أسببه لك.

- لا بأس، لو لم تقابل والدي، كان من الممكن أن تلتقي بشخص آخر، والشيء

الذي أنبهك إليه هو أن لا يكون مخادعا، ولو لم تتقابل، كان أبي سيوصلكما دون أي شك، وأخيرا تقديم يد المساعدة لمن يحتاجها واجبة.

قال مالفي: حبذا لو كان كل الناس هكذا، كانت ستكون حياة البشر حياة مثالية. لما وصلا إلى الجبل، نزل كل واحد منهما من فوق الحصان تاركا زاده على ظهر الحصان وسار الاثنان ببطء فوق التربة القاسية لذلك الجبل لوقت طويل، وكل منهما ممسك بلجام حصانه ويجره ورائه، حتى وصلوا إلى أرض مستوية وكان لا يزال الوقت طويلا نسبيا على غروب الشمس، ليقول رايكن: علينا التوقف يا مالفي لنكمل المسير في صباح الغد إن شاء الله.

- أجل، فقد تعبنا كثيرا، خاصة أن المشي فوق تربة قاسية كهذه صعب جدا، وحتى الحصانان، تعبنا تعباً شديداً.

- لم نتوقف من شدة التعب والإرهاق يا مالفي، بل لأننا لن نجد أرض مستوية كهذه إلا بعد أن نطيل المسير، إلى ذلك الحين يكون الظلام قد خيم، لذا اخترت التوقف الآن في هذا المكان الذي يتوجب علينا المبيت فيه.

- لكن أنسيت أننا في غابة جبلية، ماذا لو هاجمتنا بعض الوحوش أو الذئاب، فالليل فُسحت، أتريد أن نصبح طعاما لها يا رايكن؟

- لا تقلق بشأن الوحوش، فقبل أن تغرب الشمس سنوقد النار لنطهو قليلا و لإخافتها فلا تقترب، هل أسعدك هذا؟ كذلك دخان النار سيمنع عنا الحشرات.

قال مالفي: أجل أسعدني، لكن سأترك لك أمر الطهو فأنا لا أجيد طهو أي شيء. - لا مشكلة، سأطهو لك طعاما شهيا، واعتبره مكافأة مني بما أنك استطعت امتطاء الحصان. الآن دعنا نربط الحصانين ونبدأ بجمع الأغصان لإيقاد النار.

بينما كان الاثنان منهمكان في جمع الأغصان، حتى رأى مالفي منزلا خشبيا فاقترب

منه وأخذ يتفحصه بعيونه، ثم تسلق إحدى الأشجار ليجد أنه ذو سقف مائل مغطى بجلد غزلان جبلية.

فرح مالفى ونزل من الشجرة ثم عاد مسرعا إلى رايكن. قال: لن تتوقع ماذا وجدت بينما كنت أجمع الأغصان، لقد وجدت أين ننام هاته الليلة ولن نضطر لإبقاء النار مشتعلة طوال الليل.

قال رايكن: دع هذا المزاح ودعنا نعجل بإيقاد النار.

- هذا ليس مزاحا، هيا اترك الأغصان من يدك وانس أمر النار الآن، اتبعني لتتأكد بعينك، فرما غيرنا موقع إيقادها. قال رايكن: حسنا، ها أنا ذا قادم معك، وترك حجر الصوان الذي كان على وشك أن يوقد به شرارة النار وتبع خطى مالفى.

لم تمض سوى لحظات قليلة حتى وصل الشابان إلى ذلك البيت الخشبي، وقال مالفى: قل لي، الحمد لله على هذا الحظ السعيد، حتى أن مُشيدَه أقام له الدعائم والعوارض، وغطى السقف بجلود غزلان جبلية.

بدأ رايكن يفرك لحيته وهو ينظر إلى ذلك البيت مستغربا، وكأنه في حيرة من أمره. قال مالفى: ما بك، هل الفرح جعلتك تصاب بالدهشة إلى درجة أن لسانك قد انعقد؟ - مالفى، أنا متأكد، متأكد أن هذا البيت الخشبي لم يكن هنا في المرة السابقة عندما ذهبت لإحضار الدواء لآيلايتي من عند الحكيم جايري واير.

- لم يكن البيت هنا؟ لا بد أنك لم تنتبه، دعك من هذا، لم تنتبه فقط، هذا كل ما في الأمر إضافة إلى أنك لم توقد النار هنا، أي أنك لم تقترب من هذا المكان.

خطا رايكن خطوات مسرعة، وقال: اتبعني يا مالفى. فجأة وصلا إلى صخرة كانت جد قريبة من ذلك البيت، وقال: أترى هذه الصخرة يا مالفى؟. أجاب مالفى: نعم أراها، هل قيل لك أنني أعمى أو أنني ضعيف النظر حتى لا أرى صخرة!

- في المرة السابقة، لقد نمت متكئا على هذه الصخرة التي تراها بعينيك، تركت الحصان أمامي مربوطا، وتركت النار مشتعلة بالقرب مني، وهذا البيت لم يكن موجودا، لن يجادلني أي شخص في هذا.

- حسنا، لكن أنت لم تأت إلى هنا منذ عدّة أيام، أي في تلك الأيام الماضية أتى أناس آخرون فشيدوه لكي يأويهم ورحلوا بعدها، هذا هو التفسير المنطقي، وتابع: لا بد أنهم كانوا شديدي الخوف من الحيوانات المفترسة لذلك شيّدوه؟

قال رايكن: حسنا، سنمضي الليلة هنا، تعال لنحضر الأحصنة والأغصان. أحضر الاثنان الأحصنة والزاد، وقاما بربط الحصانين في إحدى الأشجار بالقرب من ذلك البيت و أوقد رايكن النار وأخرج ما يلزم للطهو، وطلب من مالفى أن يضع الزاد الباقي بداخل البيت، وبدأ بشواء شرائح اللحم التي كانت رائحته تداعب الأنوف.

قال لمالفى: أعطني الملح من فضلك فقد نسيت أن أخرجها، فقال مالفى: نسيت الملح يا رايكن، بدأ تساورني الشكوك إن كنت قد طهوت من قبل ولو مرة في حياتك! ابتسم رايكن قائلا: حتى أنا شككت في نفسي، دعني أتذكر، ورفع رأسه قليلا ثم قال: آه، لقد تذكرت، طهوت من قبل، لكن ليس كثيرا.

تفقد مالفى حقائب الزاد وقال مستعجبا، شموع! لحظات واستخرج الملح. قال لرايكن: تفضل الملح، أما أنا فسأدخل لأرى البيت، وأهيئه لكي ننام.

عكف رايكن على طهو الطعام في حين دخل مالفى البيت وهو يحمل غصنا صغيرا في يده، كان البيت شديد الاتساع وترتاح بمجرد أن ترى اتساعه ذاك، أما الغريب فهو أن البيت كان مفروشا بالحصير. بدأ مالفى يتفقد في الجوانب الخشبية وبقي يسير في الداخل ويتفقد لإرضاء فضوله، لا غير، لحظات واتجه نحو الباب مناديا رايكن قائلا: تعال يا صديقي لكي ترى شيئا يسرُّك.

- ألا ترى أنني أشوي في اللحم، أتريد مني أن آتي وأتركه يحترق؟ تعال وانعم معي بدفء هذه النار.

وضع مالفي الغصن الذي كان بيده مع الأغصان الأخرى لتستمتع به ألسنة النار وجلس بالقرب من رايكن. قال: ما أجمل الدفء في هذه الأجواء الباردة؟  
قال رايكن: أخبرني عن الشيء الذي أردت مني أن أراه قبل قليل؟. أجب مالفي: أردت فقط أن ترى كيف أن البيت مفروش بالكامل.

كان الظلام قد كسى الأرجاء، وبقيت النار كأنها نقطة حمراء فوق لوحة مطلية بلون أسود قاتم، وبدأ عواء الذئب يتعالى ليرسم مشهداً من الرعب، وتبدأ النفس تتقرب في أن تسلم من غضب الطبيعة المخيفة، وطلب رايكن من مالفي أن يخرج السيوف، فاستغرب مالفي وقال: سيوف، أنت تمزح؟

- لست أمزح، أخرجهم من حقائب الزاد، فمن يدري قد نحتاج إليهم في هذه الليلة، وأرجو أن تكون قد تعلمت المبارزة في صغرك.

أخرج مالفي السيوف، واختار واحداً وقام بإخراج السيف من غمده. قال في نفسه: يا له من سيف رائع؟ وبدأ بملاسة معدنه.

كان سيفاً حاداً للغاية، تشعر بشدة حدته ما إن تقرب إصبعك منه قليلاً لتلمسه، فقد كان مصنوعاً بدقة كبيرة، حتى كأن إبداع صانعه ينعكس فوقه.

بدأ مالفي يلوح بالسيف ببراعة كبيرة، حتى قال رايكن: لم أكن أعلم أنك تجيد استعمال السيف بهذا القدر من البراعة؟. ردّ مالفي قائلاً: لا تفرط في مدحي كثيراً وإن أصريت فلا بأس.

ابتسم رايكن ابتسامة عريضة وقال: اجلس ودعنا نتناول الطعام فإنه شهى جداً، أظهر براعتك هذه عند اقتراب الخطر.

جلس الاثنان وبدئا بتناول شرائح اللحم المشوي، وبينما هما يتبادلان أطراف الحديث، حتى بدأت قطرات مطر خفيفة بالتساقط، وقال مالفى: أيعقل أن هذا ينذر بأن الليلة ستكون ليلة ماطرة؟

ردّ رايكن: هذا ما أظنه، ليتهما تبقى خفيفة فقط.

ازداد تساقط المطر فجأة، فهرع الاثنان لذلك المنزل وأدخلا الحصانين، أما النار فبقيت تتوسل القطرات حتى لا تطفئها وكان توسلها عبثا، فما لبثت أن خمدت.

قال رايكن: أرى أن نشعل النار هنا لإنارة البيت، وللتنعم بقليل من الدفء في ظل هذه الأجواء الباردة، هيا ساعدني على إبعاد الأفرشة هذه قليلا.

لكن مالفى تذكر أنه عندما كان يهّم بإخراج الملح رأى بعض الشموع، فأسرع لإخراجهم وقال رايكن: ماذا تفعل يا مالفى فإنك تحيرني بتصرفاتك؟

ردّ هذا الأخير: انتظر قليلا يا صديقي ولا تتسرع في الحكم على تصرفاتي. لحظات قليلة وأخرج الشموع قائلا: ما رأيك، الآن نتجنب عناء إيقاد النار من جديد.

ضحك رايكن قائلا: يجب أن نوقد النار لننعم بقليل من الدفء!

- لقد نسيت، فالجو قد أصبح باردا جدا مع تساقط الأمطار، ومن الجيد أننا وجدنا هذا البيت الذي يأوينا في هذه الليلة الماطرة، أقرّ بدهاء مشيّد، لو أنه ترك السقف دون تغطيته بجلد الغزلان لكنا الآن في مأزق.

- أوافقك، أوقد النار بينما أذهب لأحضر بعض الأغصان، ربما احتجنا المزيد.

خرج رايكن وجمع بعض الأغصان التي كان جمعها مع مالفى نهارا، لكن وفي لحظة خاطفة فاجأته ثلاثة ذئاب و وثبت نحوه وكاد ينتهي أمره لولا فطنة مالفى وبراعته، الذي استطاع قتل الذئاب الثلاث بضربات سيفه الخاطفة، أما رايكن فكان لا يزال مصدوما مما جرى، ولم يستوعب نجاته بعدما كان موته محتما.

قال مالفى: لنبعد جثتها ونسرع بالدخول، بعدها ستتسنى لك فرصة شكري، لكن لا تشكرني الآن من فضلك فالخطر محقق.

أبعد الشابان جثث الذئاب وكلهم حذر وعادوا ودخلوا إلى ذلك البيت وكان المطر كفيلا بغسل السيف من دماء الذئاب التي قتلت.

جلس مالفى في إحدى زوايا ذلك البيت، وأوصد رايكن الباب بجذع كان داخل البيت بإسناد أحد طرفي الجذع على الباب ثم نظر إلى مالفى قائلاً: شكرا لك، فلولا فطنتك لما بقيت على قيد الحياة، لكن كنت قلت لك أن تهتم بإيقاد النار، لماذا خرجت؟ - نحن في رحلة، أي رفيقان، ويستحيل على الرفيق أن يترك رفيقه لو للحظة، خاصة في مكان كهذا الذي نحن فيه وفي ظلام حالك، لذلك أوقدت النار بسرعة، واستللت السيف من غمده وخرجت ورائك.

تابع: الحمد لله أنني كنت قريبك في الوقت المناسب وإلا لما تمكنت من إنقاذك، أما الآن، فهناك أوراق الشاي مع الزاد، فحضره لنا رجاء.

كان ايكن يحضر في الشاي وهو يتبادل الأحاديث مع مالفى، وما إن قدم فنجان الشاي لمالفى حتى قال هذا الأخير: ماذا دهاك يا رايكن، الشاي ساخن جدا؟

ضحك رايكن وقال: نسيت أن أخبرك بينما كنت تتحدث، فأنت تتحدث كثيرا! قال مالفى: آسف، ولكن عليّ القول بأنّ والدك طيب القلب كثيرا، فرغم أنه لا يعرفنا إلا أنه استضافنا بصدر رحب وقلما يلتقي الإنسان شخصا بمثل طبيته وسماحته.

- طبيته تلك جعلتنا نتعرض للخداع في إحدى المرات، ونبهته أمي أن لا يستضيف أيّا كان، لكنه لم يستمع إلى قولها وكان يقول لها: ليس خطأ تقديم يد المساعدة إذا طلبت منا، فليس خطأ منا إذا وثقنا بأقوال الغير وقمنا بمساعدته، إذا خدعنا فالخطأ ليس لأننا وثقنا بأقواله، الخطأ خطأه لأنه كذب علينا.

- معه حق، لكن على الإنسان أن يكون متبها، فالطيبة مع الأشرار ضرب من الغباء، لكن كيف تعرضتم للخداع؟

قال راىكن: لنخلد إلى النوم، لأننا سنغادر في الغد إن شاء الله، والإجابة عن سؤالك هي أنه سُرقت منا بعض الخراف إثر طبيته.

قال مالفى: حسنا، لكن ماذا لو بقي الجو ماطرا، كيف سنغادر؟

- لا تقلق فالمعاطف الجلدية معنا، والأجمل هو أننا سنمضي على ظهر الحصانين لأننا سنسلك دربا تنسل وسط الغابة مباشرة، لننم الآن.

استيقظ الشابان باكرا، ثم أزالوا بقايا الرماد وأعادوا ترتيب الأفرشة كما كانت تماما.

لحظات وحملوا زادهم، ثم واصلوا المسير للوصول إلى القرية التي يقطن فيها الحكيم جايري.



## الفصل الحادي عشر: الحكيم جايري واير

"أهمّ شيء نتعلمه في المدرسة، هو أن أهمّ الأشياء لا يمكن تعلمها في المدرسة." "

هاروكي موراكامي

كانت الأجواء صحوة تماما، أما التربة فانتعشت بعدما حيّتها قطرات المطر في الليلة الماضية، كانت أقرب إلى أن تكون زلقة، واضطرا لارتداء ملابس أخرى، فالنسّمات الباردة كانت تكاد تسلخ الجلد عن الوجوه، وتمنع الأصابع عن الحركة لشدة البرد في ذاك الصباح، حتى أنه إذا نظرت إلى الأشجار حولك ترى كأنها تقاربت فيما بينها أكثر وكل شجرة تضم الشجرة الأخرى بأغصانها المتفرعة، للحصول على بعض الدفء!

مضوا في رحلتهم، ومرت بضعة أيام فقط قبل يصلوا أخيرا إلى القرية المقصودة التي كانت تعج بالسكان، وبدأ الاثنان يسترجعان صور الحياة شيئا فشيئا، خصوصا أنهم لم يصادفوا الكثير من الناس منذ أن باشرا الرحلة.

كان أناس تلك القرية بسطاء الملبس، ولعل ما يلفت النظر في تلك القرية هو منازلها الترابية والمتقاربة فيما بينها، ذات أزقة ضيقة وحلة رائعة، أناس ذاهبون إلى أين يعلمون ولا تعلم، وأناس راجعون إلى أين يعلمون وتعلم، فالذاهب قد يكون قاصدا السوق، أو أي شيء آخر، والراجع راجع إلى منزله، وبين الفينة والأخرى تجد مجموعة من الصبية يلعبون حتى تتذكر أيام طفولتك، تمتزج صرخات البعض منهم بصرخات البائعين، وبهذا تسمعك أصواتا مزعجة.

وبالرغم من هذا فإن مالفى لم يستطع أن يفوت تلك اللحظات، فقد نزل من الحصان ليلعب مع أولئك الأطفال قليلا، ولعل أن البسمات والضحكات التي رسمها على أوجه أولئك الصغار كانت تلخص مدى رحابة صدره وصفاء قلبه.

تابعوا المسير حتى وصلوا إلى منزل الحكيم جايري، وقال رايكن مالفى: اللعبة الأولى فهمت أنها لعبة القفز بين المربعات، والثانية ما كانت؟

- إنها لعبة كنت ألعبها في الصغر، وهي كالتالي: ضع قطعة نقدية وبعد ذلك غطها بحفنة من التراب، ثم اقسم الحفنة الترابية بيدك، إن كانت القطعة في جهتك فهي لك، وإلا فهي لمن كان في الجهة المقابلة لك، مع شرط واحد وهو أن تغطي القطعة النقدية حتى تصبح جاهلا في أية جهة هي.

قال رايكن: تحب المال منذ الصغر، فقال مالفى: في الحقيقة كنا نلعب بالحصى، وقلت لك هذا لكي نلعب بالقطع النقدية!

كان منزل الحكيم مشابها للمنازل الأخرى تماما، وكان يقع في آخر زقاق، وبعده لا توجد أية منازل أخرى، وما إن وصل الاثنان حتى قال رايكن: ها قد وصلنا، الحمد لله أنه لا يوجد مرضى، ففي المرة السابقة وجدتهم على طول الزقاق.

نظر مالفى إلى رايكن وقال: أنت متأكد من أن هذا هو منزله، ألسنت مخطئا؟  
- لست مخطئا، متأكد من أن هذا هو منزله، فأطراف هذه الباب المتأكلة وكذلك هذه الجدران الترابية التي تقدمت كثيرا في السن والتي تظن أنها قد تسقط في أية لحظة، كلها تدل على منزله، المنزل نفسه الذي أخذت من عند ساكنه الدواء لأيلاتي، لكن لماذا تسأل هذا السؤال، هل لديك شك في قوة ذاكرتي؟

- ليس هكذا، لكن قلت في نفسي أن منزله لا يجب أن يكون هكذا، على الأقل يكون مثل المنازل الأخرى المجاورة له، فرغم أنها بسيطة إلا أنها أفضل حالا بكثير من هذا المنزل يا صديقي.

- إنه منزل الحكيم، أتمنى أن يصف لك علاجا جيدا، ومن ثم نعجل بعودتنا إلى الديار فلا شك أن ابنتك جوساي مشتاقة جدا حتى تراك معافى.

نزل كل منهما من على ظهر حصانه، وتقدما نحو الباب بخطوات ثابتة، ورفع رايكن يده إلى الباب ليطرقها، لكن أمسكها مالفى قائلا: أنا من أتى لبحث عن دواء يشفيه، إذن أنا من سيطرق الباب، لكن رايكن طرق الباب وقال لمالفى: أتشعر بالحرقه؟! - لا أشعر بأية حرقه. لم تمرّ إلا لحظات قليلة حتى فتح الباب صبي يبين كأنه في الخامسة عشر من العمر تقريبا.

نظر مالفى مباشرة إلى رايكن وقال: ألم أقل لك أنك قد تكون مخطئا في المنزل؟ وأتبع قائلا: لكنك لم تسمع، واعتذر من الصبي على الإزعاج، وهمّ بامتطاء الحصان، لكن رايكن قال: انتظر يا مالفى، دعنا نسأله أولا فأنا متأكد من المنزل. جثى رايكن على إحدى ركبتيه، ووضع يده فوق كتف ذلك الصبي قائلا: بني، أهذا هو منزل الحكيم جايري واير؟

أجابه ذلك الصبي قائلا: نعم يا عم، لكنه مريض، لم يستطع النهوض من فراشه لمدة يومين ولم يأكل كذلك، فجأة سمعا صوتا يخرج من الحنجرة بصعوبة شديدة، ويقول: أدخل الضيوف يا أيوجي، ألم أقل لك ألا تتكلم طويلا وأنت قرب الباب. فقال الصبي: أنا آسف، تفضلا بالدخول واعذراني على تكليمكم عند الباب.

قال مالفى: لا عليك يا بني، وأثناء دخولهم علت وجه مالفى نظرة استغراب سرعان ما أخفى تعابيرها، وهذا بعدما رأى شيئا في باطن الذراع الأيمن للصبي الذي كان يرتدي قميصا يصل كمّاه إلى المرفق.

دخل رايكن وهو واضع يده على كتف الصبي، وخلفه مباشرة مالفى وما إن توجهوا إلى الغرفة التي كان الحكيم جايري فيها حتى رأوه طريح الفراش، وكان واضعا قطعة قماش مبللة بماء بارد فوق جبينه لشدة الحمى التي كانت عليه، لكنه رغم ذلك فقد حاول القيام من فراشه، حتى هبّ مالفى إليه وقال: لا تجهد نفسك وأنت في هذه الحالة يا عم،

استرخ، استرخ رجاء.

كان الحكيم جايري كما وصفه رايكن تماما، حتى وهو طريح الفراش، وقال لمالفي: لا عليك يا بني. نظر الحكيم جايري إلى رايكن قائلاً بصعوبة: أأست نفس الشاب الذي كان عندي قبل أيام قليلة يطلب دواء لزوجته؟

ألقى رايكن عليه التحية، ثمّ جلس أمامه قائلاً: بلى، إنني نفسه يا عم. ليقول جايري: كيف حالك يا بني، وهل شفيت زوجتك من مرضها؟  
كان رايكن قد احتار ماذا يقول، لكن مالفي نظر إليه وأشار أن يقول أنها شفيت بعد وصفه لها ذلك الدواء، ففعل رايكن ذلك.

قال الحكيم: الحمد لله أنها شُفيت يا بني، هل من شيء آخر حتى أتيت مجددا؟  
- نعم، والأمر هو أن صديقي كان قاصدا إياك ولم يكن يعرف سوى أنك تقطن في هاته القرية، وبعد لقائنا أتيت معه لأنني كنت قد أتيت إليك في المرة السابقة، وبذلك يتجنب عناء البحث عن المنزل، والسؤال عن الموقع في كل لحظة.

نظر الحكيم جايري إلى مالفي وقال: حسنا يا بني، هل لك أن تخبرني عن السبب الذي حملك على المجيء إليّ، بالرغم من أنك لا تعرف المنزل ولا تعرف مداخل القرية؟  
أخرج مالفي كيس المال الذي كان مقررا أن يستعمله إذا استأجر بيتا للمبيت، وقال: الحقيقة أيها الحكيم، لقد أوصاني شخص أن أوصل لك هذا المال، لذلك قصدتك، وبذلك أوصل الأمانة التي أوثمنت عليها، هذا كل ما في الأمر.

أما الحكيم فقال: أعلم يا بني أنه لم يتبق لي إلا أيام قليلة وأغادر هذه الحياة، فهذا الذي أنا عليه الآن ليس إلا تبشير الموت، لذلك لا أحتاج أي مال، أحتاج شيئا آخذ عليه أجرا ينفعني في القبر، وهذا المال لن ينفع الصبي، فهو لا يزال صغيرا، ولا يعرف كيف يتصرف في المال، لذلك أريد منك شيئا يضاعف أجري، وإذا لم تمانعنا سأطلب

منكما طلبا أرجو أن تتكرما بقبوله.

قال مالفى: بكل تأكيد، وهذا من دواعي سرورنا وإن استطعنا فإننا سننفذه في الحال، قل فقط ونحن رهن أمرك.

- لن أقول حتى تصدقني يا بني، ما الشيء الذي أتيت من أجله من قرية بعيدة، وتحملت أنت وصديقك تعب المسير، أجبني بصدق.

- حسنا سأصدقك. الحقيقة أنني قصدتك لأني أعاني من مرض جلدي يسبب لي الحكمة خصوصا في الليل، وكثيرا ما أجد أني جرحت يدي من كثرة الحك، ولم أجد أي علاج نافع، لذلك قصدتك علي أجد مبتغاي عندك.

- شكرا لك يا بني لأنك لم ترد إزعاجي، لكن تعلم شيئا هذه المرة وهو أنه لا توجد أشياء تسقط قول الصدق إلا إن كانت تؤدي إلى عواقب وخيمة، والآن أظن أن لدي العلاج الذي تحتاجه.

طلب جابري من أيوجي أن يحضر بعض الأعشاب مع بعض الزيوت التي استخلصها من بذور بعض النباتات ولما أحضرها أيوجي، طلب الحكيم من الثلاثة أن يساعدوه على النهوض، فساعدوه واتفكأ على إحدى الجدران، ثم قام بخلط تلك الزيوت والأعشاب بشكل جد معقد، ليحصل على مرهم، وطلب من مالفى أن يضعه على يده ويدلكه جيدا ثم قال: تمنياتي لك يا بني بالشفاء العاجل، وضع المرهم مرة واحدة في كل ليلة لمدة خمسة عشر يوما.

- شكرا جزيلا لك، وعذرا على إزعاجك، والآن هل لك أن نخبرنا عن الطلب؟  
طلب جابري من أيوجي الخروج من تلك الغرفة والذهاب لغرفة أخرى، وهو الأمر الذي فعله أيوجي دون تردد وقال جابري: أظن يا أبنائي أن ساعتني قد حانت، وأنا أعلم أنه بموتي سيبقى أيوجي وحيدا، لذلك أرجو أن يكفله أحدكما بعد موتني إن لم تمانعا.

تحامل الاثنان على دموعهما، قبل أن تغلبهم الدموع وتنهمر من عيونهما.  
استجمع راىكن قوته وقال: حسنا يا سيدي، أنا سأكفله، وأعدك أنى سأعده مثل  
ابنى. فجأة قال مالفى: سأتولى رعايته دون سواى.

فقال الحكيم: لا يا بنى، يجب علينا المسابقة فى الخيرات وقد سبقك صديقك،  
وصدقنى لقد كنت أتمنى أن يكفله صديقك، لأنى لم أرد أن تكون بينى وبينك أية صفقة  
عندما عالجتك، فتقوم أنت بالتكفل بالصبي.

أمسك مالفى بيد الحكيم وأخذ ييكى. لحظات وقال راىكن: عذرا يا سيدي، لكن  
أريد أن أسألك شيئا، هل آيوجى حفيدك؟

ابتسم الحكيم جايرى وقال: سأفتقده، آيوجى، أو كما يحلو لى أن أناديه، صاحب  
اللسان المتحرر. لا يقربنى البتة، وإنما فى إحدى الليالى العاصفة، كانت الساعة تشير إلى  
منتصف الليل، سمعت طرقا شديدا على الباب بينما كنت نائما، فخرجت مسرعا لأرى  
ماذا هناك، وقد ظننت أن شريدا لم يجد مأوى يأويه أو أن عائلة لديها مريض قد أتوا به،  
فحملت إحدى الشموع واتجهت لكى أفتح الباب، لكننى اندهشت عندما رأيت أن  
الطارق كان فتاة فى العقد الثانى. كانت حاملة آيوجى بين ذراعيها وكان هذا الأخير  
مغمى عليه. قالت وهى تلهث: أرجوك يا سيدي اترك هذا الصبي عندك ريثما أرجع  
لأخذه ولا تجعل أحدا يعلم بوجوده عندك، وقبل أن أستفسر عن أى شيء، بل وحتى أنه  
لم تتسنَّ لى الفرصة لإيوائها تلك الليلة، ذهبت مسرعة.

تابع: مضت سنين، قريبا إن شاء الله ستصبح المدة عشرة سنين، أحضرته وهو ابن  
خمس سنوات، لم يتبقَّ الكثير حتى يبلغ الخامسة عشر، لم تعد تلك الفتاة أبدا، ولم أعرف  
من تكون إلى هذا اليوم وهى ليست أمّا لآيوجى، بقيت التساؤلات فى نفسى من تكون  
ولماذا يجب ترك هذا الصبي يعيش هنا دون أن يدري أحد؟

تابع: بعد مرور السنوات وتغير ملامح آيوجي أصبح يخرج معي إلى كل مكان، لم نواجه مشكلا واحدا، ونسيت تلك التساؤلات، ففعل الخير لا يحتاج إلى تفكير ولا يحتاج إلى قراءة مسبقة للأحداث، نفعله فقط، هذا كل شيء.

أرشد الصبي آيوجي كلا من رايكن ومالفي إلى إحدى الحجرات للنوم، وذهب هو الآخر للنوم، وهذا بعد أن تركوا الحكيم جايري ينام.

نام رايكن وآيوجي، أما مالفي فلم يداعب النعاس عيونه، وبقي يتقلب فقط لا غير. مع التبشير الأولى للصبح، سمع مالفي أنين الحكيم جايري فاتجه إلى حجرة الحكيم ليجده في سكرات الموت، فأمسك مالفي بيدي الحكيم ولقنه الشهادتين...

أشهد أن لا إله إلا الله... وأن محمدا رسول الله... لحظات وفاضت روحه إلى بارئها. لحظات وقام مالفي بإيقاظ رايكن وآيوجي الذي بدأ بالبكاء ما إن رأى الحكيم قد فارق الحياة. أخذت دموع الصبي آيوجي تجري على خديه، خاصة أن جايري كان عوضه في السنوات الأخيرة عطف وحنان الوالدين.

ضمّ رايكن آيوجي إلى صدره قائلا: اصبر يا بني... هذا مصير كل الخلائق... إنا لله وإنا إليه راجعون...

خرج مالفي ليبلغ أهل القرية بخبر موت الحكيم، وانتشر الخبر، وكان نبأ الوفاة كصاعقة نزلت بقلوبهم، واجتمع كبار القرية وقرروا دفن الحكيم بعد الصلاة مباشرة. بعد تغسيل الحكيم جايري والصلاة عليه، حُمل جثمانه إلى إحدى المقابر أين تمّ دفنه، ولم تتوقف الألسن عن الدعاء له بالرحمة والثبات.

عاد الجميع إلى منازلهم بعد دفن الحكيم، أما مالفي ورايكن فقد عادوا لمنزل الحكيم وأخذوا أحصنتهم التي كانت متروكة بالقرب من بيته، وأخذوا معهم الصبي آيوجي ليكفله رايكن، وكان آيوجي قد ارتدى لباسا قرويا، كمّا يصلان إلى المعصم.

وانطلقوا في رحلة العودة إلى الديار، لكن قبل أن يقطعوا مسافة طويلة، سمعوا صوتا قادمًا من ورائهم ينادي: انتظروا، انتظروا...

التفت الثلاثة إلى الخلف وإذا بهم يرون حوالي خمسة عشر رجلا من أهالي القرية، ممتطين الأحصنة، فقال مالفي مخاطبا رايكن: ماذا جرى يا ترى؟ ألدريك فكرة عن السبب الذي حملهم على المجيء خلفنا؟ ليردّ رايكن: ليست لدي أية فكرة يا مالفي؟

فجأة قال مالفي: أظن أنهم جاؤوا يستفسرون عن آيوجي، ولم نحن نأخذه معنا، فنحن لم نخبرهم أن الحكيم جايري أوصانا به قبل أن يفارق الحياة.

- لا أظن هذا يا مالفي، فلو كان هذا لاستفسروا عن الصبي قبل أن نهمّ بالرحيل، أظن أن هناك شيئا آخرًا يريدون إخبارنا به فدعنا ننتظر وصولهم ثم نرى ماذا هناك.

وصل أولئك الرجال وألقوا السلام على كل من مالفي ورايكن وقال سيدهم أنه يجب عليهم الانتظار والرحيل في الغد إن شاء الله لأنهم سيقومون مأدبة للترحم على روح الحكيم جايري، وأنه يجب عليهم أن يحضروا.

وقال آخر: نعلم أنه يجب عليكم الرحيل، فقد أمضيتُم أياما عدة وأنتم بعيدون عن أهلكم، لكن نرجو منكم ألا تبخلوا الحكيم أجركم وأنتم أصحاب القرار الأخير.

قال مالفي: سنأتي معكم، لكن إذا عدنا فسنكون مضطرين للمبيت في أحد المنازل للانطلاق في صباح الغد إن شاء الله، فقال أحد الرجال: منزلي تحت تصرفكم.



## الفصل الثاني عشر: سيف كبير القرية

" المرء يمكنه أن يتخيل أشياء تكون خاطئة، لكن يمكنه فقط فهم الأمور التي تكون صحيحة،

لأنه إذا كانت الأشياء خاطئة، فإن استيعابها ليس فهما. "

اسحاق نيوتن

انطلق الرجال ومالفي ورايكن الذي كان يحمل أيوجي فوق حصانه. قال رايكن لأولئك الرجال: اعذروني من فضلكم، لكن لدي سؤالان أريد أن أعرف جوابهما. فقال أحد الرجال، يظهر أنه الأكبر سنا: تفضل واطرح ما شئت من أسئلة.

- السؤال الأول يا سيدي هو لماذا لم تستفسروا عن الصبي الذي نحن آخذوه معنا؟ فقد ظننا أنكم آتون ورائنا لأجل الصبي، والسؤال الثاني، هو لماذا لم يأت منكم رجل واحد ليخبرنا هذا الخبر؟

تبسم ذلك الرجل وقال: لقد كنا نعلم أن الصبي أيوجي سيأتي معكم، هذه كانت رغبة الحكيم جايري، كان كثيرا ما يقول أنه يريد أن يكمل الصبي أيوجي حياته في قرية أخرى غير هاته القرية، أما فيما يخص السؤال الثاني، فجوابه سهل، لو جاء شخص واحد أو شخصان، ربما لم يستطيعوا إقناعكم، لذلك أتينا جماعة لكي لا يكون لكم مفرّ.

فقال مالفي: مفرّ، أي مفر يا سيدي تتحدث عنه؟. نظر ذلك الرجل إلى رايكن وقال بابتسامة: ألن تخبر صديقك أنه لن يكون لكما أي مفر من القدوم معنا؟. ردّ رايكن: لا تؤاخذ به يا سيدي فإنه متعب، وكذلك جد مشتاق لرؤية أهله.

هنا قال ذلك الرجل: لا يجب التحمس كثيرا فرمّا لن يراهم، وهنا ثار مالفي وقال لذلك الرجل بنبرة صوت حادة: في الثانية لن أكون متسامحا مع مثل هذا الكلام، فقال ذلك الرجل: عجبا، قلت لن تراهم، وكنت لم أكمل كلامي بعد، أنت لن تراهم بنفس

الشوق، هذا كل ما أردت قوله، وحتى لو حاولت استفزازك، وجب عليك التحكم في أعصابك وعدم الغضب، ورد مالفي: افهم أي أسى الفهم أحياناً، لذلك اقتني كلماتك جيداً، وإن كنت صادقاً في قولك فأنا أعتذر.

- لا، أنا من يجب عليه الاعتذار، اعذرني. تابعوا المسير في صمت مطبق، ولم تمض مدة طويلة حتى وصلوا إلى القرية واتجهوا إلى البيت الذي ستقام فيه المأدبة.

حضر أهل القرية، وكان قد بدأ إطعام الناس بعد المغرب، وما إن أنهى مالفي ورايكن وآيوجي الطعام حتى دعاهم الرجل الذي كان أخبرهم أنهم سيقضون الليلة عنده للمبيت بما أنهم سيستيقظون في الصباح الباكر، وفعلاً فقد ذهب الثلاثة وناموا مباشرة، فقد كانوا متعبين جداً. كان الظاهر أنهم ناموا مباشرة، لكن الحقيقة هي أنهم ناموا بعد بكاء ساعات الليل الأولى على موت الحكيم جايري واير.

في الصباح استيقظ كل من مالفي ورايكن وهنا كانت المصيبة، لأنهم خُدِعوا، لم يكن آيوجي معهم، رغم أنه كان قد نام معهم، وهذه ليست هي المصيبة، فأيوجي كان عند إحدى الأسر، المصيبة هي ما وقع لهما.

ربطت أيديهما بحبال قوية وكذلك أرجلهما. نظر مالفي إلى رايكن وقال: خدعنا يا رايكن ومن كلام ذلك الرجل أيقنت الآن أنه كان يقرب لنا هذه الصورة، لكن لم يُرد أن نفهم بأعداره تلك، ما هذه الورطة، كان يُفهمنا الكلمات دون أن يتركنا نعوص في معناها الحقيقي، ما أغباناً؟

قال رايكن: دعنا نفكر في طريقة للخلاص، فالقلق الآن لن يجدي نفعا. ردّ مالفي: لا يمكننا تحرير أنفسنا، وتقول لي أن لا أقلق. لحظات ودخل أربعة رجال، رجال آخرون غير الذين كانوا معهم البارحة. قال أحدهم: لا تقلقوا، ستوضح الصورة بعد قليل.

أخرج أولئك الرجال كلا من مالفي ورايكن، وما إن خرجوا حتى وجدوا جمعا غفيرا من الناس ينظرون إليهم وكأنهم ارتكبوا جرما، وتمّ اقتيادهما إلى ساحة القرية. كانت ساحة واسعة جدا، واجتمع الناس من رجال وشيوخ وصبية وشبان.

رُبط مالفي ورايكن إلى أحد الأعمدة الخشبية، ولم يكن باستطاعتهم الحراك، وقدم أخيرا الرجال الذين كانوا يمتطون الأحصنة بالأمس، يتقدمهم ذلك الرجل الذي كان يحاول استفزاز مالفي.

قال مخاطبا مالفي: إذن، لم يعد لديكما أيّ مفرّ من نيل عقابكم، وربما لن ترى أهلك فعلا. هنا فقد مالفي أعصابه وقال بنبرة غاضبة: من حسن حظك أنني مقيد. قال ذلك الرجل وهو يبتسم ابتسامة تدل على الرضى: لا تكن عصيبا، تعلم أن تبتسم عندما تفقد أعصابك، تماما مثلما أفعل، ستحسّ بشعور رائع.

حتى هذه اللحظة كان رايكن لا يزال صامتا، حتى رمى عنه ستار الصمت وقال: لكن أين الصبي أيوجي؟ ولماذا فعلتم بنا هذا؟

تبسم سيدهم في وجه رايكن ثم أشار إلى رجلين وقال: ها هو ذا الصبي أيوجي واقف أمامهما وهو على أحسن ما يرام، وأكمل حديثه قائلا: أما فيما يخص فعلتنا هذه، فيجب علينا أن نعرف من منكما قتل الحكيم جايري، وعندما نعرف القاتل سنقتله والبريء سيطلق سراحه ويذهب بالصبي، لأن هذه وصية حكيمنا المتوفي رحمه الله.

احترار الاثنان من التهمة التي وجهت إليهما، ولم يصدقا الورطة التي وقعوا فيها. قال رايكن: لكننا لم نقتل الحكيم جايري، إنما حان أجله فمات، هذا كل شيء. ردّ عليه سيدهم: لا تكن غيبيا فالبارحة كنت ذكيا بتلك الأسئلة. قال: التعذيب كفيّل يجعل القاتل يعترف، وإن لم يعترف سيموت تحت أسواط التعذيب.

فقال مالفي: ولو كان حقا لم يقتل، ألن تكون ظالما إن عذبتَه وقتلته؟

ردّ ذلك الرجل بابتسامة: لكن ألن يكون ظالما لنفسه إن كان مشتبها فيه وليس لديه دليل ليثبت براءته؟

هنا قال مالفى: لا أمل لظهور الحق ممّن يصرّ على تجرّعنا، أنتم تريدون منّا اعترافا حتى ولو كان كاذبا.

تعرض الاثنان لألوان من التعذيب وآيوجي يقول بصوت باكي: اتركوهما فهما لم يقتلا الحكيم جايري، لكن لم تكن كلماته لتجعلهم يكتفون عن تعذيب مالفى ورايكن.

هنا توجه سيدهم نحو آيوجي وقال بابتسامة علت محياه: قل لي يا صغيري من كان وراء قتل الحكيم جايري واير؟ وهو يمسخ على رأسه.

قال آيوجي: صدقني يا سيدي، إن الحكيم توفي عندما حانت ساعته... صدّقني... هما لم يقوموا بقتله...

ابتسم ذلك الرجل من جديد وقال: فتى سيء، يا لك من ناكر للجميل، كان الحكيم جايري يعدّك مثل ابنه، والآن تتستر عن قاتله.

كان مالفى صامتا طيلة فترة تعذيبه وكأنه لا يحس بأي ألم، لكن رايكن تحامل على الألم في البداية وسرعان ما انهار وبدأ يقول: لم نقتله صدقونا... نحن لم نقتله، وهنا لم يحتمل مالفى رؤية صديقه وهو يحاول محاولة فاشلة لإطلاق سراحهما.

قال مالفى: أنا من قتل الحكيم جايري واير لأنه كان يتوسل للموت من شدة الألم الذي كان يشعر به.

صعق رايكن عند سماعه لهذه الكلمات وقال: لماذا تكذب يا مالفى، أنسيت أن لديك عائلة يجب أن تعيش لأجلها؟

قال مالفى: كنت أنت وآيوجي نائمين عندما اشتد الألم على الحكيم، فقامت وقتلته وهذا اعتراف بالذنب، ليس كذبا، وسامحني لأني فعلت هذا، قال مالفى كلامه هذا بكل

برود وبنبرة صوت راضية.

صدم الجميع بعد اعتراف مالفي أنه هو من قتل الحكيم، وهنا رفع العذاب عن رايكن وأمر بقتل مالفي، وإخلاء سبيل رايكن واتجه رايكن نحو مالفي، وقال: لماذا تكذب وأنت لم تقتله؟. فقال مالفي: أنت لم تعرفني سوى مدة قصيرة يا رايكن، اذهب وخذ آيوجي معك وانس أمري فيجب أن أدفع الثمن، وتعلم أن لا تحاول أبدا تخفيف الألم بارتكاب الأخطاء، حاولت أن أخفف الألم عن الحكيم بارتكاب خطأ، لذلك يجب علي دفع الثمن.

كان مالفي سيعدم، ولم يعدل عن أقواله، وبالرغم من إلحاح رايكن إلا أنه بقي متمسكا بكل كلمة قالها وأنهى محاولات رايكن للعدول عن تلك الأقوال بقوله: لا، لا تحاول تبرئة قاتل يا صديقي، قل لزوجتي أن زوجها ارتكب خطأ يستحق القتل، لتساني بسرعة، فإذا غادرت محبك بذنب سينساك بسرعة، وإن غادرته بإحسان فإنه لن ينساك. أتى رجل ضخم الهيئة حاملا سيفا حادا في يده لضرب عنق مالفي، ورايكن وآيوجي غير مصدقين لما يجري. ما إن همّ الضخم بضرب عنق مالفي، حتى صرخ سيدهم بأعلى صوته: توقف، توقف... فتجمد الضخم في مكانه، وحل الصمت بين كل الجموع. قال: أغبياء، كدت أن أخطأ خطأ جسيما ولم تخبروني، يجب أن لا نطبق أي حكم في غياب كبير القرية.

أخفض كل واحد بصره نحو الأرض، وشعّ الأمل في عيون رايكن من جديد لإنقاذ صديقه مالفي الذي اعترف بأنه كان القاتل.

هكذا أمر سيدهم أن يقتادوا مالفي إلى السجن حتى موعد عودة كبيرهم الذي لم يفهم رايكن ولا مالفي من يكون وأي سلطة لديه.

سأل رايكن آيوجي فقال: كبير القرية يدعى هايشيد. شيخ في عمر الستين، صاحب

القرار، الأمر والنهي، لا يمكن أن ينفذ أي حكم إلا بموافقة، وإذا خالفه أحد فإن مصيره الموت، حتى ولو كان السيد غومن بايد... الرجل الشرير الذي يسيء الظن بكما. أخذ مالفي ورايكن إلى السجن، وقد أخذ رايكن أيضا حتى لا تكون له أية محاولات لإنقاذ مالفي، أما أيوجي فأخذه السيد غومن بايد لبيته ريثما يعود كبير القرية ويصدر حكمه.

كان أيوجي في بيت غومن بايد وتحت رقابة شديدة، ولم يخرج من البيت أبدا، وكانت زوجة غومن تعني به على أحسن وجه، أما مالفي ورايكن فكانا في السجن والجروح والكدمات تملأ جسديهما جراء التعذيب الذي تعرضا له.

أثناء فترة سجنهما قال مالفي لرايكن: اعذرني يا صديقي على كل ما سببته لك، فأنت كنت في غنى عن هذا وأنا من ورطك.

- أنا أفكر كيف ننقذ أنفسنا، وأنت تتفوه بهذا الهراء. فقال مالفي: عجباً لك، لا تزال تحاول جاهداً إنقاذ قاتل؟

- أنا لا أحاول إنقاذ قاتل، إنما أحاول إنقاذ صديقي، قتلت الحكيم جايري وتفهمتك، أحاول إنقاذ صديق لي عسى أجعل مستقبله أفضل، أخطأت، لكن بطريقة تمكننا من العفو عنك.

كان كبير القرية قد ذهب إلى قريتين متجاورتين لفض النزاع الذي جرى بينهما، وإيجاد حل وسط يرضي كل قرية، وقد نجح في أن يصلح بينهما، ولم تمض مدة طويلة حتى رجع إلى قرية دورياساك، كان ذلك بعد حوالي عشرة أيام من وفاة الحكيم جايري.

كان كبير القرية طويلاً وقوي البنية، في مشيته هبة عظيمة، يضع فوق رأسه قبعة تشبه إلى حد كبير قبعة المزارعين، شعره شائب وطويل، وذو عيون سوداء ولحية كثيفة، لا يمشي إلا في يده عود صغير يقلبه بين أنامله.

عاد إلى القرية، وكان الجميع في استقباله، وقصد بيت الحكيم جايري مباشرة، فهما صديقان مقربان من بعضهما، هذا قبل أن يخبروه أن الحكيم قد فارق الحياة في فترة غيابه الأخيرة، فحزن حزنا شديدا، وأمر أن يأخذوه إلى قبر الحكيم فأخذوه، وهناك قام بالترحم عليه.

بينما كان راجعا وغومن بايد يسير بجانبه حتى قال له أنهم شكوا باثنين وهما الآن في السجن، وأن أحدهما قد اعترف أنه قتل الحكيم جايري واير بعد التعرض للتعذيب. هنا أدار هايشيد وجهه ونظر إلى غومن قائلا: أعد على مسامعي ما قلته للتو، فأعاد غومن نفس الكلام وما هي إلا لحظات حتى قام هايشيد بدفعه دفعة قوية، كادت تسقطه، لولا أنه استعاد توازنه، وهنا جلس الجميع على الأرض، بما فيهم غومن وهي عادتهم إذا غضب هايشيد، وكسر هايشيد ذلك العود الصغير الذي كانت تداعبه أنامله. قال: أحضروا السجينين إلى القصر، وهو ينظر نظرتة الحازمة إلى غومن بايد. أحضر كل من رايكن ومالفي، وأمر كبير القرية أن يُفك رباطهم، ورأى أثر الجروح والكدمات على وجهيهما، فتقدم نحوهما قائلا: أرجو منكما أن تسامحاني على فعلتهم؟. احتار مالفي ورايكن وقال مالفي: لكنك لم تخطأ يا سيدي أي خطأ معنا فكيف نسامحك؟

- أجيبا على قدر السؤال، تسامحاني أم لا؟. قال رايكن: نحن نسامحك.  
- حسنا، الآن تبدأ المحاكمة. قال: من قال أنه قتل الحكيم جايري واير فليقدم نحوي في الحال، فتقدم مالفي نحوه وكان في طول كبير القرية، وأخفض مالفي رأسه إجلالا له، فقال هايشيد: ارفع بصرك، وما إن رفع مالفي بصره حتى قال هايشيد: قد قلت أنك أنت من قتل الحكيم جايري، حتى ولو اعترفت اعترافا كاذبا فلا اعتراف الكاذب يعد اعترافا بينا يا بني.

هنا قال غومن: إذن لماذا دفعتني يا سيدي عندما قلت لك أنه اعترف بجريمته؟

نظر هاشيد إلى غومن وقال: من طلب أن تأخذ مكاني؟

ذهب هاشيد إلى إحدى الحجرات في ذلك القصر، وبدأ وكأنه يبحث عن شيء ما داخلها، وما لبث أن نادى على زوجته هينيلاك ليسألها قائلاً: أين وضعت السيف، فلا أحد يمكنه دخول هذه الحجرة، إلا أنا وأنت؟

ردت زوجته مستغربة: أنا؟. لم ألمسه في حياتي قطّ، فكيف ألمسه الآن؟ انظر فلا بد أنك غيرت مكانه. لحظات قليلة وقال هاشيد: آه، أحياناً تكون الأشياء أمامنا مباشرة، ولا نراها، آسف على إزعاجك.

لحظات فقط قبل أن يحضر هاشيد سيفاً طويلاً، واستله من غمده. قال: الآن سنعرف القاتل، جعل السيف يلامس عنق مالفى، ثم نظر إلى عيونه، وكان مالفى قد نزف القليل من الدم.

لحظات وأخفض هاشيد السيف قائلاً: يستحيل أن تكون قد قتلت الحكيم جايري يا بني، وفي نفس الوقت كان عليك أن لا تكذب لإنقاذ صديقك، كان عليك أن تحتسب وتصبر. ثم أمر أن يُعنى بمالفى ورايكن وآيوجي ريثما يرحلوا.

في السويغات الأولى للصباح غادر كل من رايكن ومالفى وآيوجي، كان كل واحد منهم يحاول أن يكبت الدموع على موت الحكيم، خاصة آيوجي الذي قضى معه سنيناً ورأى منه كل صور العطف والحنان واللفظ.

سار الثلاثة صوب الطريق الجبلية للعودة إلى الديار، وأثناء مسيرهم التقى رايكن شخصاً في الخمسين من العمر، كان طويل القامة أبيض البشرة، ممتلئ الجسم وما إن رآه رايكن حتى ترجل من الحصان وسلم عليه قائلاً: كيف حالك يا عم فيرايكي؟

ترجل مالفى كذلك وأنزل الصبي آيوجي وصافحاً فيرايكي الذي قال لرايكن: بخير يا



بني، ثم نظر إلى مالفى وصافحه وهو يمسح بيده الأخرى على رأس آيوجي، ثم قال مخاطبا آيوجي: كيف حالك يا بني؟ و هو يظن أنه ابن مالفى.

قال رايكن مخاطبا مالفى: إنه جارنا في القرية، ثم نظر إلى فيرايكي قائلا: مضت فترة طويلة ولم أرك بالقرية، هل كل شيء بخير؟

- أجل، إني أدير عملا هنا يا بني ولا أعود إلى المنزل إلا مرة في الشهر، هل كل العائلة بخير؟ اشتقت لسادوي كثيرا.

- أجل، وكانت آيلايتي مريضة في الأيام القليلة الماضية فقط لكنها شُفيت من مرضها والله الحمد. قال فيرايكي: الحمد لله أنها تعافت يا بني.

تابع فيرايكي: أظنّ أنكم راجعون إلى دانجيه، لذلك أقترح أن تبيتوا الليلة عندي وتغادروا في صباح الغد إن شاء الله، هكذا تكونون قد ارتحتم من تعبكم.

- هذا لطف كبير منك، أشكرك كثيرا. اتجه الأربعة إلى البيت الذي يقيم فيه فيرايكي وأخبره رايكن عن وفاة الحكيم جايري واير فتأسف فيرايكي كثيرا، وتبادلوا أطراف الحديث حتى وصلوا إلى المنزل. كان منزلا متواضعا لا شيء فيه ملفت للنظر، وكان فيرايكي يقيم فيه لوحده. تناولوا طعام الغداء ثم أخذوا القيلولة، وانقضى اليوم بشكل عادي، تناولوا العشاء ثم خلدوا للنوم.

في ظهيرة اليوم التالي انطلقوا وهذا بعدما أرشدهم فيرايكي إلى درب مختصرة تؤدي إلى المنطقة المستوية في الجبل.

قال مالفى: إنه شخص طيب القلب، هل كل سكان قريتكم طيبو القلب؟. ردّ رايكن: أظن ذلك، لكن بالنسبة لفيرايكي فإنه الصديق المقرب لعائلتنا ولديه ابن في عمرنا يكون صديقا لي، لم تره في الأيام السابقة لأني لا ألتقي به كثيرا.

بينما هم ماشون، حتى اقترب رايكن بحصانه من مالفى وهمس له قائلا: أحقا قتلت

الحكيم جايري؟

- أبدا، هل اعتقدت للحظة أنه يمكنني فعل ذلك؟ رأيت نفسي مسئولا عما يجري لك فأردت أن ترجع سالما، هذا كل شيء.

كانت تعابير السماء فوقهم شاحبة، النسمات الباردة تملأ الأجواء، الأرض القاسية تنهر حوافر الأحصنة، ومضوا يتقدمهم مالفي، أمّا رايكن فكان يضع الصبي أمامه وهو يسير خلف مالفي مباشرة لضيق تلك الدرب المعوجة التي تشق الجبل كأنها قارب صغير أخذ يشق مياه البحر بلطف شديد، يتربح في الأمواج أن لا تهيج فينقلب، والثلاثة على ظهر الأحصنة يتربحون ألا تنثور حيوانات الغابة فتعصف بهم في لحظة خاطفة، كانوا يسرون في اطمئنان، وتذكر البيت الذي يقتربون منه في كل خطوة كان يلقي في نفوسهم اطمئنانا وسكينة أكثر.

مع إنذار الشمس بأن غروبها لهذا اليوم قد حان كان الثلاثة قد اقتربوا من البيت الخشبي الذي أقاموا فيه قبل وصولهم إلى الحكيم المتوفي جايري واير. قال مالفي: هذه الدرب أفضل من الدرب التي سلكناها أول مرة لنصل إلى دورياساك، إنها مختصرة جدا.

مع اقترابهم أكثر قال رايكن لمالفي: تمهل، أرى أن نترك الأحصنة في جهة أخرى ونتفقد المنزل أولا، فمن الممكن أن نجد فيه أناسا غيرنا.

قال مالفي: وما الضير لو وجدنا أناسا غيرنا، فنحن في الأخير سنبقي فقط.

- تذكر يا مالفي قولك أنه يجب علينا الانتباه، لا تنس أن الأشخاص ليسوا كلهم طيبين فهناك الأشرار، لربما وجدنا أناسا سيئين؟

- أنت على حق، لكن كيف نترك الحصانين هنا ونذهب لذلك المنزل؟

- لن يهربا من هنا، وسنعود إليهما ما إن نتأكد من عدم وجود أي خطر. أمسك

مالفي بيد آيوجي وبدأ الثلاثة يتقدمون في حذر شديد، فجأة تذكر رايكن أمر السيوف فقال: انتظراني لحظة، سآتي بالسيفين وأعود.

أحضر رايكن السيفين واستأنفوا المشي بين الأشجار الكثيفة ببطء شديد وأعينهم تنظر يمينا وشمالا حتى وصلوا إلى أحد جوانب البيت.

كان الظلام قد بدأ بالتربع على عروش الغابة حين همس مالفي في أذن رايكن قائلا: رأيت الشامة في باطن الذراع الأيمن لآيوجي والتي تبدو كأنها نقطة صغيرة، صغيرة جدا؟ أجاب رايكن: يا لشدة ملاحظتك، دعنا من هذا وأنصت إلى أي صوت مريب.

أنصت مالفي ورايكن جيدا ليسمعا أصواتا تصدر من داخل البيت. كان حديثا عاديا بين الأشخاص الذين كانوا داخل البيت، فسروا كثيرا وقرروا الاستئذان وإلقاء التحية على من بداخله، لكن قبل وصولهم إلى الباب يبضع خطوات سمعوا رجلا كان صوته شديد الخشونة يتكلم.

كان صوته مخيفا وهو يتكلم، فجأة شعر الثلاثة بالفزع بسبب ما سمعوه. تراجعوا ببطء شديد، فجأة داس مالفي على أحد الأغصان وكسرها وانتبه صاحب الصوت الخشن، فأسرعوا بالتراجع واختبئوا وسط الأشجار.

خرج صاحب الصوت الخشن وقال: أيّا كنت فاخرج، لن ينفعل الاختباء يا هذا. كان رجلا ضخما البنية، في نبرة صوته تلك يشعر المرء بالخوف حتى يكاد يصرخ من شدة الفزع ويكشف أمره!

بقي الثلاثة محتبئين والضخم ينظر هنا وهناك حتى خرج أربعة آخرون، وقال أحدهم: دعك من شكوكك، فمن قد يقترب من هذا المكان خصوصا في هذا الوقت، لا بد أنه مجرد حيوان مر من هنا؟

ردّ الضخم قائلا: لا تكن غيبيا، النار متقدة ولن تتجرأ الحيوانات على الاقتراب، أنا

متأكد من أنّ هناك شخصا ما.

فجأة أشار مالفي لرايكن، وبخفة استل كل واحد سيفه وفاجئا رجلين من الخلف، ثم أشارا للثلاثة الباقين بأن يجثوا على الركب وقال مالفي أن حركة واحدة قد تكلفهم حياة صديقيهما، في حين طلب رايكن من آيوجي أن يبحث عن بعض الحبال داخل البيت. أحضر آيوجي بعض الحبال المتينة، وكان قد وجد خمسة بنادق.

قال مالفي: أحسنت يا آيوجي، ثم طلب منه أن يقيد كل واحد منهم إلى جذع شجرة، وهو ما فعله آيوجي بسرعة.

وهكذا قيد مالفي ورايكن الاثنان اللذان كانا تحت سيفيهما، وتأكدوا من أن جميع الحبال محكمة، ثم دخل رايكن إلى البيت للتأكد من عدم وجود أية أسلحة أخرى. بعد ذلك أتى مالفي بالأحصنة، وقدم رايكن سكيناً غير حادّ لأحد الرجال وقال: صحيح أنه غير حاد، لكنه كفيّل بأن يجعلكم تحرّرون أنفسكم ولو بعد فترة، ونكون نحن قد ابتعدنا، هكذا سنكون متعادلين... في أمان الله...

شعر الرجال بالامتنان في حين غادر مالفي ورايكن وآيوجي بصحبتهما.

### الفصل الثالث عشر: الشخص الغامض

" عندما أخبرته أن قلبي من طين، سخر مني لأن قلبه من حديد، قريباً ستمطر، سيزهر قلبي و

سوف يصدأ قلبه. "

شمس الدين التبريزي

كانت الأمور تجري على أحسن ما يرام، وكانت الأيام بالنسبة للفتاتين متعة تغمر قلوبهما، في تلك الأجواء الرائعة للطبيعة الخلابة وتلك الراحة للعواطف قرب الأهل، لكن سرعان ما بدأت الحياة تكشف عن وجهها السيئ، تنزع أثواب السكينة والهدوء، وحل السعادة والفرح، لتستبدلها بأثواب الكآبة والههم، وبدأت بإلقاء الظلال السوداء للأحزان التي أذهبت سرور تلك القلوب الناعمة والأرواح الصافية.

كان كل شيء رائعا، خاصة أن إيستارا الذكية خُدعت من طرف أمها، وهذا أثناء لعبة المطاردة، فقد كانت إيمي تركض لتمسك إيما إيستارا وإيما جوساي، وفي لحظة سقطت واتجهت إيستارا تجري نحوها لتطمئن على حالها، فأمسكتها إيمي وقالت: والآن أين ستذهبين؟ أتيت بمحض إرادتك لأمسكك!

انتابت جوساي نوبة ضحك شديدة، في حين قالت إيستارا: لم تمسكيني، بل لعبت على عواطفني.

بدأ كل هذا الألم في إحدى الليالي، بعد حوالي شهر من ذهاب مالفى وكوريصي، عندما أنهينَ العشاء الذي كان مميزاً و رائعاً.

أعدت إيمي في ذلك اليوم العشاء كعادتها مع أمها، كان طيباً وشهيماً، مكوناً من شرائح اللحم المشوي والأرز باللحم، وغير ذلك من المأكولات الشهية وكذلك عصير الفواكه الحلو الذي كانت تعدّه إيمي وهي تقول: لا شك أن إيستارا ستُسحر بمذاقه

الرائع، كيف لا وقد أعددت به بكل حب، وأنواع من الفواكه لذيذة الطعم، ورددت: خطواتنا صغيرة، أحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة... لحظات وسمعتها إيتارا.

ابتسمت قائلة: آسفة يا أمّاه... كلمات مملّة، حروفها كسلّة، فارغة مستلة، كالكستناء مبتلة!

ابتسمت إيمي قائلة: ما هذا الذي تقولينه يا مجنونة؟

ردّت إيتارا: وما الذي كنت تقولينه أنت يا أمي؟ ثمّ رددت إيتارا: خطواتنا صغيرة، وأحلامنا كبيرة، أعمارنا قصيرة، شكلها مثل الضفيرة... لا، لا يا أمي، كسرت كل المعاني عند الضفيرة، لا بأس، سأصححها.

نادت على جوساي وبمجرد أن وصلت هذه الأخيرة حتى قالت لها ردي معي: علينا الرحيل، إلى حيث المجرات تميل، علينا فعل المستحيل، حتى نرى للأحلام دليل. قالت لوالدتها: كوني متفائلة يا أمي... لحظات وقالت إيمي: انتظرن: علينا الرحيل إلى أين؟...

ابتسمت جوساي وقالت: علينا الرحيل إلى حيث المجرات تميل، وبدأن بالضحك، والفرحة العارمة تغمر قلوبهن، وعادت الفتاتان للعب في غرفتهما.

وضعت إيمي وياريكا الأطباق فوق المائدة التي كانت مضاءة بأنوار جميلة، ثم نادت إيمي الفتاتين لتتناولا العشاء، وسرّتا كثيرا بذلك العشاء الفاخر. هذا ولم يسهروا في تلك الليلة كثيرا وخلدوا للنوم أبكر من العادة.

حوالي الساعة الثانية صباحا بدأت الأحصنة بالصهيل، وهو ما جعل إيمي تستيقظ من النوم. أخذت مشعلا وتوجهت به نحو الباب، فتحت بهبط شديد حتى لا توقظ أمها والفتاتين، وذهبت إلى الإسطبل وما إن رآها البير حتى أخذ يمشي بمحاذاتها، فمسحت

على رأسه قائلة: كأنك ذهبت للاصطياد وعُدت، لم لا ترتاح؟  
فتحت باب الإسطل، والبر الأبيض يتبع خطواتها، وبدأت تتفقد في الأحصنة  
الواحد تلو الآخر فلم تجد ما يدعو للريبة وتفقدت المكان بأكمله، كان كل شيء على ما  
يرام، لكن انتبهت إلى أن أحد الأحصنة بدأ بالصهيل من جديد فالتجھت نحوه، ثم  
أخذت تتفحصه.

لم يكن هناك أي شيء يدعو للريبة، لحظات ولحت بإيمي عينان تلمعان. سرت  
القشعريرة في كامل جسدها، تسارعت نبضات قلبها بشدة، وابتلعت ريقها من شدة  
الخوف.

لم تتمكن إيمي من معرفة الشخص الذي قال: آسف يا أختاه. وخلال لحظات  
خاطفة كانت إيمي على الأرض دون حراك. أطفأ ذلك الشخص نار المشعل في حوض  
المياه ثم رحل، أما البر الذي كان رافقها فقد عاد إلى الفناء.

حل الصباح، واستيقظ الجميع نشطين لاستقبال يوم جديد تعمه الأفراح، لكن الحياة  
دوماً تفاجئنا، مفاجئاً قد تكون أفراحاً وقد تكون أحزاناً، ففرحنا لتقول أن الحزن ليس  
كل شيء، وتخزننا لتقول أن الفرح كذلك ليس كل شيء.

بعدما استيقظت إيستارا أيقظت جوساي وقالت: هيا، انهضي يا كسولة، ودعك من  
النوم، اتجهت إلى غرفة جدتها تجري والسعادة تملأ محياها، وكأن لديها شيئاً تريد قوله.  
استأذنت جدتها للدخول فأذنت لها، وراحت تقبلها.

قالت إيستارا: جدتي، أين أمي؟ لدي شيء أريد أن أطلعكم عليه، أين هي، أين؟  
أجابت ياريكا: لعلها تهتم بالحيوانات يا ابنتي، لكن ما هذا الشيء الذي تودين قوله  
وجعلك تطيرين من الفرحة هكذا، أخبريني يا ابنتي؟  
قالت إيستارا: كل الأحلام التي أراها في المنام تتحقق.

اتسعت عيناها التي تأسران كل قلب، وقالت: احزري يا جدتي، رأيت في المنام أنّ شمل عائلتنا سيجتمع ونرى جدي كيجابير.

فجأة دخلت جوساي وقالت: أين خالتي؟

قالت إيستارا: عندما أريد إخبارها بشيء تكون مهتمة بإطعام الحيوانات والدجاج، لنذهب إليها حالا، فأنا في أشدّ الشوق لإخبارها.

اتجه الثلاثة نحو الإسطبل وإيستارا تسرع الخطى، وما إن اقتربت حتى بدأت تنادي: حبيبة ماما، أين أنت؟ تعالي يا روح ماما.

لكن ما إن دخلت ورأت أمها على الأرض حتى سبقتها الدموع، وأسرعت لتمسك بيدها، وهناك كانت الصاعقة التي عصفت بقلبها دون استئذان، انسلت تلك اللحظات لتكون سيوف برق قطّعت ومزقت قلبها.

لم تكن إيمي تتحرك البتة، كانت جثة هامدة، وما إن رأتها ياريكا حتى جثت على ركبتيها وضمتها إليها والدموع تنسكب من عينيها، وكذلك جوساي، أما إيستارا فتوقف الزمن عندها، في حين راحت ياريكا تقول بصوت باكٍ: إنا لله وإنا إليه راجعون...

فقدت إيستارا نفسها في هذا العالم... بقيت تردد: إنا لله وإنا إليه راجعون، وركضت جوساي بدموعها إلى الجيران لتخبرهم، فهرعوا إلى ياريكا وإيستارا، وكانت حالهم كحال ياريكا وحفيدتيها... بقيت الألسن تردد إنا لله وإنا إليه راجعون...

احتضنت روسينات زوجة غايد إيستارا وجوساي والدموع تملأها قائلة: اصبرا يا ابنتي، علينا أن نرضى بقضاء الله وقدره.

رجّح الجميع أنّ إيمي تلقت صكّة من حوافر أحد الأحصنة، فتوفيت على إثرها، وقامت بعض النسوة بحمل إيمي لتغسيلها، فيما جلست الأخريات مع ياريكا يواسينها، أما روسينات فلم تبتعد قيد شبر عن إيستارا وجوساي.



قامت عجوز مسنة بتغسيل إيمي وتكفينها، في حين ذهب بعض الرجال، من بينهم غايد وجورفين لحفر القبر في مقبرة القرية التي لم تكن تبعد كثيرا عن منازلهم. حمل غايد والأقارب نعش إيمي فوق أكتافهم واتجهوا صوب مقبرة القرية لدفنها، ولم يكن الموكب الجنائزي يحوي جمعا من الناس وهذا بحكم القرية التي يعيشون بها. بعد الصلاة على إيمي، تم دفنها، ودعا الجميع لها بالثبات والرحمة، ثم عادوا إلى منازلهم وهم يمتنون النفس بفعل الخير قبل الدخول إلى ظلمة القبر. كانت العيون دامعة والقلوب دامية، لكن لا يوجد أي دواء شافٍ سوى الاحتساب والصبر الجميل.

لم تمضِ إلا أيام قلائل حتى بدأ كل شيء يعود كما كان، لكن هذا بالنسبة للجيران فقط، فصدمة موت إيمي كانت لا تزال آثارها في قلب كل من ياريكا وجوساي وإيستارا، وأكثر ما كان يخفف الصدمة ولو قليلا هو تعاطف الجيران معهم في كل يوم حتى ينسين تلك الفاجعة، فلا بد من النسيان، فالحياة لا تزال قائمة، ليس قسوة من القلب أننا ننسى لكن يستحيل العيش مع الحزن والألم.

أيام قليلة، لتذهب إيستارا وتمسك الدفتر الجميل الذي كانت قد أهدته لها صديقتها ريتومي، لتجد الكلمات الأخيرة التي كتبتها:

رمال الحب تنساب بين ثناياك الليلية، ورياح الشوق تعبر من خلال تفاصيلك المسكية، زهور العمر تسأل عن مياهاك الطيفيه، أطيّار قلبي تريد أن تبهج لياليك الصيفيه، وأحاسيسي المكسورة ستجتمع في لمسة من أيادي أحلامك الوردية، لتسبح في بحارك السحريه.

مباشرة حملت الريشة وزجاجة الحبر وبدأت تكتب:

آلاف من اللحظات الجميلة التي أهديتها لي، لم تكن كفيلة لتجلي ظلام هذه

اللحظات، ذكريات جميلة بقيت عندما كنت أرتمي بين ذراعيك، في لحظة الألم، أو في لحظة الفرح، أظلمت الأيام، فهل تضاء لو ملئت كؤوسها بنور النجوم والأقمار؟...

ونسجتُ أثوابا تبارك ودّنا	ودعاء قلبي أن يعطّر درّبنا
يا روضة أهدت لقلبي بالدنا	لا تقلقي إذ لن يمزّق قربنا
لحظاتنا سنعيش في أكنافها	صارت ضيا فلكٍ يلحّص حبّنا
سلّمتُ قلبي ذبّت في ذاك الندى	قولي وأيّ الودّ يسري بيننا
لا تحزني أبدا يا شمس المني	تبقي بأفكاري ويبقى عهدنا
قولي وأيّ مباهج ألفت على	روحي محيّاك البديع فرشدنا
رشّ الفؤاد للحظة أحلامنا	ألوان ودّ خالصٍ في جوّنا
قربك أنا، طيفي يلامس وجنتك	هذي رسالاتٌ تخلّدُ حبنا
أشواق روحي غطّرت في أحرفٍ	لبدايتي ونهايتي وقتا دنا
أنت الحلم أم باقة الأحلام في	لون الشذى الفواح ترقص بالدنا؟
ومزجتُ إحساسي ببحر عواطفك	سقتِ الفؤاد لعالمك، تبقي أنا
وحفرت كل الذكريات - حبيبة	بخواطري، نسيانُ وجهك لا هنا
في لمسة الحب ارتقى لون الألم	لا تقلقي، أبدا خلاصي أمكنا
تنسلّ أشواقي وبين جوانحي	تركّ هنا أثر احتراق بيّنا

توقفت للحظات، ثم عادت تكتب:

لم تعد للطبيعة الخلابة أية ألوان، لم تعد لزققة الأطيّار أية ألحان، كأن عيني يعاديها الضياء، ولوحات السرور بالقلب يعاديها الصفاء...

هل للقدر خطة حتى يلاقينا؟  
هل نجتمع يا ضياءً أسرا كلمي  
هل ترسمين نجوم الليل في خجل  
والذكريات سرت بالقلب يا فرحا  
إني أسرتُ تعايرا أرثُ شهبا  
كيف ابتعدنا وزاد الحب في حمم  
سبحان ربي وأوقات مباركة  
راحت أنيسة قلبي، أين بادرة  
الوقت مرّ ولم يملأ فراغ جفا  
ما حيلتي غير أن أهواك يا فرحي؟  
في عتمة الليل دمعاتي تسايروني  
في صفحة الفجر أرسم سرّ خاطرتك  
ماذا سأفعل فراقك رجّ قافلي  
هل للقدر لوحة تبدي أمانينا؟  
هل تحلمين بأن نمسك أيادينا  
والودّ بيني وبينك ساكنٌ فينا  
أبقى أعيش به والحب راجينا  
وضاءة للذي قد سرّ ماضينا  
للشوق باتتْ بقرب القلب تكويننا  
مرّتْ ومحفورة ذكرى تلاقينا  
للابتهاج؟ أرى علت مآسينا  
بنا لقد حلّ، شفائي في تلاقينا  
يا نبض قلبي، من الأفكار نادينا  
ترجو بريق هدى، نوره ينادينا  
والروح تُفضي أنين الشوق فاحمينا  
والودّ بيني وبينك بات يكونا

وظلت تكتب ما يجري بخاطرها حتى غلبها النوم فنامت نوما عميقا.

بعد أيام قليلة من تلك الفاجعة، اتجهت إيستارا إلى غرفة أمها لتنقل بعض الأشياء إلى غرف أخرى، بعد أن طلبت جدتها منها ذلك، فتحت إيستارا باب الغرفة برفق وبدأت نسمات الذكريات الجميلة تداعب خاطرها، تحاملت على دموعها بصعوبة واتجهت إلى النافذة لتفتحها.

كان هبوب الرياح في الخارج يهب ببطء، وكأن الريح تلقي السلام فقط على الأزهار والأشجار. فجأة سمعت إيستارا صوت صفحات تقلب، لتجد أن الرياح الهادئة تقلب

صفحات دفتر موضوع فوق سرير أمها.

جلست إيستارا على السرير، وما إن همت بحمل الدفتر بيديها الدافئتين حتى قلبت الريح صفحة أخرى. بدأت إيستارا تقرأ:

هذا اليوم من أسعد الأيام، ذقت في نواحيه لحظات رائعة لأنني حققت أمنية من أمنيات ابنتي الغالية، بعد أن ضمدت جراح الببر الأبيض، وأنقذته من الموت، فلا شيء أغلى من شعاع فرح يبهج عيون ابنتي، لأن ذلك الشعاع نور في نواحي قلبي يبهج روحي. لم تستطع إيستارا حبس الدموع التي ملئت عيونها البديعة ما إن بدأت تقرأ مذكرات أمها، وبدأت بالبكاء بعد أن أغلقت ذلك الدفتر وضمته إليها.

اشتدت حرقة الألم في قلبها الصغير لتضمه بشدة، كأنها تريد أن تتمزج مشاعرها وكل أحاسيسها في مشاعر وأحاسيس أمها التي كانت تكتب تلك المذكرات في الوقت الذي كانت تطلب من إيستارا الذهاب للنوم، لذلك كانت تبقى غرفة إيمي مضاءة بنور الشموع لحوالي ساعة بعد نوم إيستارا.

قالت إيستارا: لم تجيبيني عندما سألتك لماذا نور الشموع يبقى لوقت متأخر في غرفتك، وعرفت الإجابة حين رحلت منابع الضياء.

لو أنني عرفت أنك سترحلين لما استيقظت أبداً، ولا أردت سؤالك أبداً، كنت لأمنع نوايا السؤال من التحليق في أفكاري.

خرجت تجري من المنزل متجهة إلى المقبرة، لتجثو قرب قبر والدتها، وكلها دموع، وبمنظر يدمي القلوب بدأت تقول:

تناديك دمعاتي أترك توسلي      يناديك قلبي، قال لا، لا لترحلي  
أصبت نوى قلبي وذاك بدقة      ويا بهجتي، إني بعطرك أشمل  
وبُعدك عني صار معنى تألمي      أرجي الألم قربك، أحبك فافعلي  
بقلبي الذي قد شئته وبليتي      أذيقه ألوان العذاب فأحفل  
فمن لي سواك الليل تمسح دمعتي      وقلبي انتهى في حلم وصل يؤمل  
وكيف سروري إن يقيدي الوجع؟      وكيف صفاء القلب بعدك يُقبل؟  
وردي سلام الروح، لا، لا لصدّه      وأزكى التحايا في أمان سُرسل

عادت إلى المنزل وراحت تكتب: حتى ولو نزعت عطر الورود ورحيق الزهور،  
وعصرت أحلام اليقظة وأمنيات العمر لأمزجها في كؤوس شوقي إليك لقلت لا تعبق  
من الكؤوس تلك غير رائحة الألم، لأني فقدتك، ضاقت دنياي، وما ضيق الحياة  
سوى الفراغ الذي بقلبي قد تركته.

كانت إيستارا غارقة في كتاباتها، أما جوساي فكانت غارقة في دموعها وهي تقرأ في  
مذكرات خالتها.

لحظات ونادت على إيستارا قائلة: إيستارا: تعالي، تعالي وانظري ماذا وجدت، لقد  
وجدت عقدا من الزهور بين الصفحات، انظري كيف انكمش بين صفحات الدفتر؟  
فكرت إيستارا في نفسها: هل يعقل أنها رأني عندما كنت أصنع في ذلك العقد،  
وكيف عرفت أنني كنت بصدد إهداءه لها؟ وبدأت هي وجوساي بقراءة الصفحتين اللتان  
كان عقد الورود بينهما:

يوم رائع جدا، هذا اليوم أتت أُمي وأختي، وزوجها، والرائعة جوساي، كانت إيستارا  
في الحديقة تصنع في عقد من الورود، رأيتها من النافذة، لأسمعها تقول: ستفرح أُمي كثيرا  
بهذا العقد... لكنها مجنونة، فما إن رأتهم، حتى تركته على الأرض وأسرعت نحوهم ناسية

إياه...

كانت نيتها أن تهديه لي وها هو عندي، أما أختي، فقد عرفت أنني تأخرت، لكنها  
فسّرت تأخري بأني مجنونة، كأنها لا تعرف أن الأمهات مجنونات بحب أبنائهن وبناتهن.  
ذهبت إيسنارا وجوساي مباشرة عند جدتهما وألقتا بوجهيهما في حضنها، بكتا بشدة  
وراحت ياريكا تحاول مواساتهما.

## الفصل الرابع عشر: ضيعة شايريدي

"علينا أن لا نتوقف أبدا عن الاستكشاف، وسوف تكون غاية استكشافنا كله أن نصل

إلى المكان الذي منه انطلقنا، وأن نعرفه للمرة الأولى."

توماس ستيرنز إليوت

تدريجيا بدأت المياه بالعودة إلى مجاريها، بدأت أشعة فرح جديدة تطل، وهذا بعد اقتراب موعد عودة مالفي وكوريسي. بدأ الفراغ الذي تركه غياب إيمي في القلوب يُملأ شيئا فشيئا.

قبيل الخيوط الأولى للفجر استيقظت الجدة ياريكا، وقامت بالخروج من البيت في هدوء وسكينة حتى لا توقظ الفتاتين. خرجت وهي تحمل مشعلا بين يديها، وهذا بعد أن سحبت الباب دون أن تغلقه.

اتجهت إلى المقبرة وجثت أمام قبر إيمي ثم غرزت المشعل بالتراب، سبقتها الدموع إلى التراب، وكأنها لم تكتفِ أبدا من البكاء ولم تكتفِ منها الدموع، وبينما هي كذلك حتى مرّ بالمقبرة ثلاثة شبان، يرتدون لباسا قرويا عاديا، واستوقفهم منظر ياريكا الباكي، فاقتربوا منها في محاولة لمواساتها.

قال أحدهم: خففي عنك يا أماه، إنّ الدعاء هو ما ينفع الميت، وليس البكاء. وجدت ياريكا المواساة من الشبان الثلاثة، وكانوا لطفاء جدا، ولما استفسرت عنهم أخبروها أنهم غرباء عن قرية هاسماي، وانتبهت ياريكا إلى أنهم دون زاد، فأعطتهم بعض الزاد، وشكروا لها معروفها وإحسانها إليهم.

هذا وبعد أن كانت ياريكا قد خرجت لتذهب إلى المقبرة، كانت إيستارا قد نهضت من فراشها وخرجت من المنزل، خرجت وهي غير واعية، فقد كانت تمشي وهي نائمة.

ما إن انتبه البير الأبيض لخطوات إيستارا، حتى أخذ يتتبعها، دون أن يحدث أية ضجة وظلت إيستارا تمشي دون أن تعلم، وابتعدت عن القرية، لتذهب في اتجاه الشمال الشرقي والذي ينتهي السياج المحيط بالغابة عنده، فدخلت الغابة وواصلت المسير.

لم يكن باطن الغابة هنا، مثل باطنها عندما دخلتها هي وابنة خالتها، ففي هذا الموقع كانت الغابة أشد خوفا خاصة ذلك الظلام الذي لم يكن معتادا، ولو أنارت شمعة لك لظننت أن زيتا أسود قام بدهن الأجواء ولم يترك بقعة صغيرة إلا وألقى عليها صبغته تلك، وشقت إيستارا تلك الغابة شقا وهي لا تدري.

أفاقت وكان الفجر على وشك أن يلون الأجواء بفرشاته العجيبة، ليترك عليها صبغة بلون أزرق مائل للسود، تسارعت نبضات القلب لدى إيستارا، وتغيرت ملامحها ووضعت يدها على جبينها، وأخذت تمسحه ثم أخذت تقول: يا إلهي، أين أنا؟ ومن أتى بي إلى هنا؟ قبل أن تجيب على سؤالها وتقول: إيستارا هي من أتت بي إلى هنا!

أخذت تلف المكان بنظراتها وتنظر هنا وهناك عليها تجد طريقا للعودة، لكن في كل مرة كانت تصدها جذوع الأشجار وتقول: حاولي يا صغيرة من الجهة الأخرى، فأنا لا يمكن لي سوى أن أنهر أملك في إيجاد درب يعيدك لمنزلك ولا يمكن لي سوى أن أذيب آمالك في السراب.

فجأة سمعت صوت حك فارتعدت جوانحها، وتبدد نور الحياة في عيونها، لكنها عادت واطمأنت لأن صوت الحك لم يكن إلا حك البير لرقبته بإحدى قائمته الأماميتين. جثت إيستارا على ركبتها وضمت البير الأبيض إليها قائلة: كيف سنعود الآن؟ فقدت أمني والآن فقدت نفسي في هذه الغابة؟

أضعت نفسي، وكيف تكون حرقه جدتي وجوساي عندما تستيقظان ولا تجداني؟ لكنها استردت عزمها وقالت: يجب أن أجد طريقا للخروج، لا أريد الموت هنا منسية.



في تلك اللحظات كان الخوف يملأ قلب إيستارا، لكن ومجددا، تلاشى الخوف من قلبها ما إن رأى محيها البديع. اختارت جهة عشوائية وانطلقت عساها تجد مخرجاً. بدأت تمشي وسط تلك الغابة، أحيانا تسرع وأحيانا تبطئ، والبير تارة يسير خلفها، وتارة أخرى يتقدمها، وأحيانا أخرى عن يمينها أو عن شمالها. ركضت طويلا وحين كادت تفقد الأمل في الخروج من تلك الغابة وجدت نهرا كان تياره المائي قويا جدا.

قالت: حتى أنه ليس نفس النهر الذي غسلت منه في المرة الأخيرة، لا بد أنه نهر آخر. مشيت بمحاذاة النهر قليلا، فجأة لمحت جذعا يصل بين ضفتي النهر فأسرعت نحوه لتعبر النهر رغم أن الضفة الثانية كانت تحفها الكثير من الأشجار إلا أن إيستارا تابعت الركض مع البير الأبيض حتى انتهت إلى درب ترابي مطل على الهاوية، أشعرها أنها ولجت إلى عالم آخر.

الحمد لله، لقد خرجت من الغابة أخيرا، لكن الآن من أين أذهب؟ من اليمين أم من اليسار؟ أذهب من اليمين أم أذهب من اليسار أم يجب علي الانتظار؟ يجب أن أختار وإلا فسوف أنهار.

قالت: لا هذا ولا ذاك، تسحر الدرب عينك، ويخجله محياك، انتظري فقط حتى يراك. لحظات وقالت: جربت كل الطرق التي أعرفها والتي لا أعرفها، أنهكنا التعب يا بيري الأبيض الجميل، يجب أن نرتاح قليلا ثم نواصل المسير.

ارتاح الجمال وبرزه الأبيض الجميل لفترة ليست بالطويلة، وهذا بالجلوس فوق صخرة على جانب الدرب، ثم اختارت الجهة الشمالية للدرب.

ركضت ومشاعر الفرح تغمرها. ركضت وركضت حتى رأت عدة نسوة كل واحدة منهن تحمل جرة فوق رأسها، والجرة الأخرى في إحدى يديها.

قالت إيستارا: حمدا لله فالقلب التقى رجواه.

كانت هناك امرأتان في العقد الثالث، والأخريات عجائز لسن طاعنات كثيرا في السن، وكُن يرتدين لباسا قرويا.

قالت في سرها: الخالق يحفظك ويرعاك، ها قد ظهرت تباشير دعواك. لحظات وأشارت للبهر بالاختباء وسط الأشجار حتى لا يخيفهن، ثم اتجهت نحوهن فألقت عليهن التحية ثم قالت لواحدة من الإمرأتين اللتين كانتا في العقد الثالث من العمر: هل لي أن أسألك يا خالة عن القرية التي تدعى هاسماي؟.

تابعت: ضللت الطريق ولم أعرف طريق العودة، أريد معرفة إذا ما كان يوجد درب يعيدني لأني وصلت إلى هنا من خلال الغابة، لذلك فالطريق الذي أتيت منه لا يعيدني، فقط يجعل الوحوش تريدني.

فجأة انتبهت لنفسها وقالت: لا تأخذيني رجاء فأحيانا أقفي الكلام!

فهمت النسوة أن الفتاة أضاعت طريقها، وكانت المرأة التي كلمتها إيستارا تشبه إيمي نوعا ما، ونظرت إلى الأخريات وأشارت إليهن إن كن يعرفن القرية التي تكلمت عنها إيستارا، فرفعن رؤوسهن وكل واحدة تمسك الجرة التي فوق رأسها إما بيدها اليمنى أو بيدها اليسرى.

أشرن بإشارة من شفاهن قليلا بأنهن لا يعلمن عن هذه القرية فقالت تلك المرأة: للأسف يا صغيرة، نحن لا نعرفها.

لم تدرِ إيستارا ماذا تفعل، هل تستأذنن أن تذهب معهن أو تمضي إلى المجهول رغم صغر سنها، فقالت لنفس المرأة التي كلمتها قبل قليل: هل لي أن آتي معكن يا سيدتي، فليس لي أي مأوى بعد الآن، يمكنك أن تقولي أنني طائر شريد؟

نظرت تلك المرأة إلى النساء الأخريات اللواتي كن معها وكأنها في حيرة من أمرها ولا

تدري ماذا تقول، وتريد أن تعرف رأيهن فابتعدن قليلا عن إيستارا بعد أن قالت لها: انتظري قليلا يا ابنتي.

أشارت إحدى النساء لها لتتقدم نحوها، ولما دنت منها هاته الأخيرة قالت: أرى أن نتركها لتدبر أمرها فنحن لو أخذناها لن نزيد إلا الطين بلة؟

ردت المرأة الأولى: أتفهمك، خاصة أنه لم يتبق الكثير على... فجأة قطعت كلامها ثم تابعت: لكن إن تركناها هنا فهي في خطر كبير، كذلك، فالمسكينة لا تعلم إلى أين تذهب فكيف نتركها وحيدة، ولا شك أنها لم تأكل شيئا وتحاملت على جوعها.

كانت إيستارا تنتظر في ردهن لكنها بقيت صامتة، ردت نفس المرأة على كلام الأولى: لنأخذها معنا، وعند اقتراب ذلك اليوم نأمرها بالهرب، ما رأيك؟

فردت عليها المرأة الأولى: لا تكوني حمقاء يا سويريتا، فأنت تعلمين أن الهرب مستحيل. ردت سويريتا وهي تنظر إلى النسوة الأخريات: دعونا إذن ننتظر زوجة أخي وبعد ذلك نأخذ برأيها.

قالت المرأة الأولى: رأي سديد، واستدارت لإيستارا قائلة: اصبري قليلا يا ابنتي. قالت إيستارا وجمالها قد أغرق الأرجاء من حولهم: لا بأس يا خالة.

بعد وقت قصير لمحت إيستارا امرأة آتية من الغابة، كانت تحمل كيسا امتلأ بالزهور تعلقه وراء ظهرها.

قالت للنسوة: أتعلمن شيئا، لقد بذلت جهدا كبيرا حتى حصلت على هاته الأزهار الجميلة والورود الفواحة، فجأة نظرت إلى إيستارا قائلة: هاي صغيرتي، ما خطبك؟

كانت ماوريسي متوسطة القامة، معتدلة الهيئة، بهية الطلعة، بيضاء البشرة، تضع وشاحا أبيضاً على رأسها، ومن كلامها كانت تبدو أنها لطيفة للغاية.

نظرت إيستارا إلى ماوريسي، لحظات وعانقتها قائلة: قد أكون عاطفية بزيادة، لكن

يجب أن أعصر من أحبهم في اللاوعي ما إن ألتقيهم!  
ابتسمت ماوريسي واعتصرت إيستارا بين ذراعيها قائلة: هذا يسمى الشوق في  
اللاوعي لأشخاص نعرفهم ولم نلقهم، يحدث لقلة فقط يا صغيرتي!  
لحظات وأخبرت إيستارا ماوريسي بالمشكلة التي هي واقعة فيها.  
ابتسمت النسوة الأخريات ثم دنون من ماوريسي وقالت الأولى: ما الذي يجدر بنا  
فعله يا ماوريسي، فهذه مشكلة كبيرة، أليس كذلك؟  
- مشكلة، لكن هناك حل.

قالت ماوريسي: والآن يا ابنتي، أنت تريدين القدوم معنا لأننا لم نعرف قرينتك، لذلك  
لن نمنعك، لكن إن أردت ألا تقعي في مشاكل أكبر فأنصحك بعدم القدوم، وللأسف  
فنحن لا نعرف أية قرى أخرى قريبة.

- ماذا سأفعل؟ أنت تبدين لطيفة جدا، وكذلك الأخريات وتقولين هذا الكلام.  
- أجل، نحن لطيفات، وهذا الصدق يا ابنتي، وعندما نصل إلى قرينتنا، كذلك الكل  
سيكون لطيفا، لكن هناك شيء واحد فقط سوف لن يكون لطيفا ونتمنى ألا تعرفيه،  
ونتمنى أن يجدهك أهلك عندنا هذا اليوم بالذات، أو أن تعرف أسرتنا قرينتك هذا اليوم،  
لأنه بعد هذا اليوم ستصبحين فردا من أسرتنا ومن ثم تسري عليك قوانين أسرتنا.  
ابتسمت إيستارا قائلة: سآتي معكن وأنا المسئولة عن هذا القرار يا خالة، ثم قالت  
إيستارا في نفسها بغرور: الفضول، الفضول، إنه الفضول... أتمنى ألا يجديني أهلي، وأن لا  
يعرف أفراد أسرهم بقريتي حتى أعرف ما هذا الشيء الوحيد الذي ليس لطيفا!  
قالت ماوريسي: حسنا يا ابنتي، لكن علينا أن نذهب لملا جرار المياه من أحد  
الأنهار، فإن شئت تعالي معنا وإن شئت يمكنك أن تنتظرينا هنا، واعلمي أنك إن أتيت  
معنا فستمشين كثيرا، وإن انتظرنا فستنتظرينا طويلا، لك الاختيار.

- لا بأس يا سيدتي، سآتي معكن، فأنا أشعر بالعطش الشديد وكذلك البير، لا بد أنه عطشان، فاستغربت النسوة وقالت إحداهن: أأنت تهذين يا صغيرة، أين البير؟

ما إن صفقت إيستارا للبير الأبيض حتى خرج، وما إن رآته النسوة حتى بدأن بالتراجع للوراء، شعرت كل واحدة منهنّ بالقشعريرة على أديم جلدها، وملأت الدهشة وجوههن، تغيرت ملامحهن، واتسعت عيونهن وارتفعت الحواجب فوق العيون وامتزجت عواطف الخوف في قلب كل واحدة، لكن سرعان ما تلاشى خوفهن، فقد كان جميلا و وديعا، بفروه الأبيض المخطط بالأسود وعيناه الزرقاوتين الجميلتين وأنفه الوردي.

قالت إيستارا: لا تخفن، إنه غير مؤذٍ إلا إذا أمرته. هنا انكسر الحاجز الذي أقيم على إحساس كل واحدة منهن لتقول إحداهن: من أين أتيت به يا صغيرة؟

- وجدته في الغابة، كان جريحا يومها، فاعتنينا به وكبر حتى أصبح هكذا، لا أحد يستطيع إيدائي ولا أحد يستطيع إيذائه.

ناولتها المرأة الأولى قربة الماء قائلة: هيا اشربي يا ابنتي، وإن أردت المضي معنا إلى النهر فتعال، أما إذا أردت الانتظار فانتظري حتى نعود، فالآن لا تشعرين بالعطش.

قالت ماوريسي - وهي تشير إلى المرأة الأولى التي كلمتها إيستارا: هذه يا إيستارا، تدعى روميتا، وأختها تكون سويريتا وأشارت إلى سويريتا، ثمّ عرفت إيستارا بأسماء النساء الأخريات وقررت إيستارا الذهاب معهن إلى النهر لمأجرا المياه.

بقين يتبادلن أطراف الحديث حتى وصلن إلى النهر، كانت مياهه شديدة البرودة ومنعشة جدا تشعر بنسمات برودته تتغلغل في أنحاء جسمك لتلامس روحك، حتى أن خريف مياهه المتعالي يبقى يثير في النفس حب الضجيج.

ألفت كل واحدة جرتها لتملأها، وقالت روميتا لإيستارا: كما ترين يا إيستارا هنالك فرعان، الفرع الثاني لا علم لنا إلى أين يتجه، ويقولون أنه بدوره يتفرع إلى فرعين، أما هذا

الفرع فيقولون أنه ينساب بين الغابات ولا يعلم أي أحد أين ينتهي، وأضافت قائلة: سمعت أبي مرة وهو يقول أن مياهه باردة في الصيف... وقبل أن تكمل قاطعتها أختها سويريتا وقالت: أخبرنا كذلك أنه في الشتاء تكون مياهه دافئة، لتنظر روميتا إلى أختها سويريتا وتقول: دائما تقاطعين الكلام وتصدقين خرافات أبي.

طلبت إيستارا من روميتا أن تعطيها جرة حتى تملأها، فنظرت روميتا إلى لأخريات وابتسمت قائلة: حسنا، سنترك إيستارا تملأ هذه الجرة، موافقات. وافقت كل واحدة وجعلن ينظرن إلى إيستارا.

أعطت روميتا جرة لإيستارا، وقربت إيستارا الجرة من جانب النهر لتقوم بملئها، لكن ما إن لامس فم الجرة صفحة المياه حتى انفلتت الجرة من يدي إيستارا بفعل التيار القوي للمياه، الذي لا تظن أنه بمثل تلك القوة حتى تدخل راحة يدك، فتشعر بأنّ يدك على وشك أن تتزع.

شعرت إيستارا بالذنب لأنها أضاعت تلك الجرة، أما روميتا فابتسمت بوجه إيستارا قائلة: لا عليك فهناك جرار غيرها، وأحضرت جرة من عند ماوريسي وقامت بإمساك الجرة هي وإيستارا لتملأها. قالت: في أول مرة أتينا لملئ الجرار عدنا بجرة واحدة لأننا لم نكن نعلم أن تيار الماء قوي جدا.

بعد أن ملئن جرار المياه عدن وقصّت إيستارا على مسامعهن ما جرى معها والأحداث الأخيرة في قريتها وتأسفت النسوة كلهن لما أخبرت أن أمّها توفيت منذ فترة وجيزة، ثم تابعن الحديث حتى دخلن في درب مستوية تحفها الأشجار من الجانبين، كانت تلك الدرب مكسوة بالأوراق المتساقطة من تلك الأشجار، ويبعث منظرها الراحة في النفوس، وبعد أن مشين حوالي عشرين دقيقة في تلك الدرب، حتى لاحت بوابة خشبية مقوسة. دفعت ماوريسي أحد مصراعي البوابة برجلها ودخلت، ثمّ تبعها النسوة

الأخريات و الجمال كان خجولا بعض الشيء.

كانت إيستارا متجمدة عند البوابة في مقابلة ساحة كبيرة وفي نهايتها صف من الأشجار تتخلله ثلاثة مداخل، لم تعرف إيستارا كيف تتصرف، فهي لم تصادف طيلة حياتها أناسا غير أناس قريتها، وإن صادفت أناسا من غير قريتها، فسيكون أحد أقاربها فضلا عن اللصوص الثلاثة الذين لم تتضح لها تعابير وجوههم جيدا، لكن روميتا قالت لها: ما بك يا ابنتي؟ ستعتادين العيش، وأمسكت إيستارا من يدها قائلة:

منزلنا ضيقة صغيرة تحوي عددا صغيرا جدا من الأفراد الذين يمكن عددهم على الأصابع، تقع في قلب إحدى الغابات، بين أشجار كثيفة فارعة الطول. أشارت إلى الجهة اليمنى من البوابة وقالت: تلك الجهة كما ترين يا صغيرتي تمثل غرف المعيشة.

كانت عبارة عن بيوت متواضعة من الطوب ذات أسقف قرميدية بها نوافذ صغيرة. ثم أشارت من جديد إلى الجهة اليسرى وكانت تتوزع بها ثلاثة حجرات لكنها تبدو كبيرة ثم قالت: الحجرة الأولى من اليمين تمثل حجرة الشورى، الثانية مخصصة لنا إذا ارتكبنا الأخطاء، أما الثالثة فنسميها حجرة الفائز أو حجرة المكافأة.

سألت إيستارا: وما تلك المداخل يا خالة؟

المدخل الأول من جهة اليمين به إسطبلان، واحد للأحصنة وآخر للأبقار والماشية، وهناك مرج فسيح للرعي، بركة للإوز، خم للدجاج، ولا تستغري إن رأيت دجاجة تتجول في الساحة، أنت تعلمين أن الدجاج مشاكس، أما المدخل الثاني ففيه مساحة مخصصة لنا نحن النسوة لغسيل الملابس، غزل الصوف، نسج الملابس والأفرشة، وهناك بئر لكننا لا نشرب منه، ثم ترين مساحة واسعة عبارة عن حقول نزرعها بما يكفي عيشنا، وهناك جزء مخصص للأطفال لكن لا يدخلونه إلا إذا أقيمت... فجأة قالت: حسنا... هكذا

يتبقى المدخل الثالث الذي لا يعنيك يا ابنتي، أما الآن فتعالى معي لترى عائلتنا الصغيرة. كانت الساحة فارغة، فجأة بدأ الأطفال يتدفقون من المدخل الأول وركضوا نحو إيستارا يطلبون منها السماح لهم بأن يلعبوا مع البير الذي كان بجانب إيستارا وزجر ما إن رأى الصغار قادمين نحوه، وأبان عن أنيابه الحادة.

قالت إيستارا: ما بك؟ أحسن التعامل ولا تكن فظا معهم. كانت النسوة قد وضعن جرار المياه وعدن مع بقية الأفراد. قالت روميتا: لدينا ضيفة تدعى إيستارا جايكوي وهي من قرية هاسماي، فمن يعرف هاته القرية ليساعدها على العودة إلى ديارها، ثم قالت: آه، لقد نسيت، كنا وجدناها بينما كنا متجهات لملاّ الجرار بالماء، وقد ضلت طريقها.

نظرت إلى أحدهم، ثم قالت: هل تعرف هاته القرية يا أبي؟ نظر والد روميتا إلى إيستارا، ثم قال: قالت ابنتي أنك تقطنين في قرية هاسماي، أنا لا أعرفها، لكن ربما يعرفها أحد أفراد العائلة، فاصبري قليلا يا ابنتي. سأل والد روميتا أفراد عائلته عن قرية هاسماي، لكن لا أحد عرفها، وقال هذا الأخير لإيستارا: إننا آسفون يا ابنتي، لا أحد عرفها.

في هذه اللحظات، شحبت وجوه النسوة، لكن سرعان ما أخفين ذلك الشحوب. قال والد روميتا: لا تقلقي يا ابنتي، يمكنك المكوث ريثما نجد قريتك، وسأرسل اثنان من أفراد عائلتي ليجثا عنها، ثم أمر ابنته روميتا أن تهيئ غرفة لإيستارا حتى ترتاح قليلا، أما البير فكان يرسم ابتسامات عريضة للأطفال الذين طلبوا بقاء إيستارا للعب معهم، إلا أن والد روميتا قال لهم: دعوها ترتاح، ألا تعرفون سوى اللعب؟ قالت روميتا لإيستارا: تعالي معي لتتناولي بعض الطعام، بعدها سأرشدك إلى إحدى الغرف حتى تنامي وتستريح، بعدها سيتسنى لي أن أعرفك بأفراد عائلتنا.



تناولت إيستارا قليلا، كان الطعام عبارة عن طبق من الأرز بالدجاج، وحساء الخضر، وبعد أن أنهت طعامها أرشدتها روميتا إلى إحدى الحجرات لتنام قليلا، وفي ذلك الوقت كانت روميتا قد أخبرت أفراد أسرتها بالأحداث الأخيرة التي جرت مع إيستارا وقالت أن الفتاة قد فقدت أمها، فقال شايريدي: يا للمسكينة، والدها لم يظهر له أثر منذ خمسة سنوات إذن، وماتت والدتها في الأيام الأخيرة، إن هذا أمر مؤسف حقا.

بدت روميتا وكأنها انزعجت، لكنها أخفت تعابير الانزعاج، فقد شعرت أنّ والدها تعامل ببرود تام مع ما حصل لإيستارا.

استيقظت إيستارا من نومها وهي تحاول الاعتياد على وضعها الحالي، وبعد العصر تسنت لروميتا فرصة التعريف بعائلتها. أشارت أولا إلى أبيها وقالت: هذا أبي ويدعى شايريدي، كان شايريدي قصير القامة نسبيا، يبدو في الخمسينيات من العمر، ليس ضعيفا، ويتجه قليلا إلى السمنة، يضع عمامة على رأسه، لذلك لن تعرف أن شعره قليل الكثافة وأسود اللون إلا إن نزع عمامته، ونظرت إلى آخر، كان متوسط الطول ومعتدل الهيئة، ليس بالسمين وليس بالهزيل، ذو شعر شائب، وقالت: ذاك عمي ويدعى ريوساي، وهما أعيان هذه الضيعة الصغيرة، وأشارت إلى أمها قائلة: هذه أمي واسمها لايفيتا، ثم أشارت إلى زوجة ريوساي قائلة: هذه زوجة عمي ريوساي، وتدعى جودفيتا، وهناك عمي الأصغر وبجانبه زوجته، يدعى دوكيجواي وزوجته رياكشا. كان دوكيجواي معتدل الطول ببشرة بيضاء وكذلك زوجته رياكشا. بقي ثلاثة شبان، أحدهم طويل، واثنان معتدلا الطول، وقالت روميتا وهي تشير إلى الشاب الطويل: هذا يكون ابن عمي ريوساي، ويدعى جينيوسي، ثم أشارت إلى شاب من الشابين الباقيين، كان وسيما ذو شعر مجعد قليلا. قالت هذا يكون زوجي، ويدعى آريناي، ثم أشارت إلى الشاب المتبقي وكان ذا عينان خضراوتين. قالت: وهذا يكون زوج أختي سويريتا ويدعى كايفيري. أضافت: أمّا

جينوسي فيكون زوج ماوريسي. هذا وكانوا يرتدون لباسا قرويا، عبارة عن سراويل فضفاضة وقمصان طويلة تصل حد الركب.

قالت روميتا: الآن عرفت أفراد أسرنا، أما الأطفال فستتعرفين عليهم أثناء اللعب. بعد أن غربت الشمس أوقد الرجال نارا عظيمة، وتلونت الأجواء باللون المائل للبرتقالي، وعم الدفء كل شبر وقام بتحية أبواب المنازل، ليدخل ويتربع في أركان كل غرفة، واجتمعوا على العشاء الذي لم يسبق لإيستارا أن رأت طريقة عشاء مثله، فقد فرشت قطعة قماشية عريضة نسبيا، وطويلة على الأرض الناعمة، في الجزء الأيمن من الساحة، وقامت النسوة بوضع المأكولات وبعد ذلك جلس الكلّ متربعين، الرجال في جهة وتقابلهم النسوة في الجهة الأخرى، كل رجل تقابله زوجته، أما الأطفال الصغار فقد جلس كل طفل إما بجانب أبيه أو بجانب أمه، وجلست إيستارا بجانب روميتا، وتنوع الأكل بين لحم مشوي وخضر مطبوخة وألوان من الفواكه، والطبق الرئيسي عندهم أرز بالدجاج، دون نسيان الماء طبعا.

أما الببر فقد كان ذهب قبل الغروب بحوالي ساعتين ليصطاد وعاد قبل أن تنذر الشمس بأنها ستغرب لتفسح المجال للقمر ويتربع الليل خلفا للنهار. كان عشاءهم طويلا جدا فقد كانوا يأكلون ببطء شديد وهذا ما جعل إيستارا تكثر في الأكل لأنها كانت تأكل أسرع منهم، ولو أنها لم تكن تسرع في الأكل حقيقة، وهذا ما جعلهم ينظرون إليها بأبصار منخفضة، لكن إيستارا لم تنتبه لهم أبدا.

بعد إنهاء العشاء توجه كل واحد إلى غرفته، فقد كانوا ينامون بعد إنهاء العشاء مباشرة، وهذا الشيء لم يعجب إيستارا، لكنها كتمت استيائها ولم تبده. ذهبت إلى إحدى الغرف التي أعدتها روميتا من أجلها وبقي الببر قرب باب الغرفة التي دخلتها إيستارا لكي تنام بداخلها وتريح جسدها من التعب الذي نالها، وتريح أحاسيسها من

الفاجعة التي أملت بقلبها المكسور بعد كل ما حدث.

استلقت إيستارا على الفراش بعدما سحبت روميتا الباب عند خروجها، وبقيت تحديق بعينيها في ذلك الظلام حتى فاجأها الدموع ما إن تذكرت الأيام الرائعة التي قضتها مع أمها إيمي واللحظات الجميلة معها، كذلك لحظاتها مع جدتها وابنة خالتها جوساي و تقلبت على جانبها الأيمن واضعة يدها على جانب رأسها، وهي تبكي بحرقه على غدر الحياة وكيف أن القدر يقلب صفحة السرور حزنا ويقلب صفحة الحزن سرورا ما إن تلون قلوبنا السعادة وما إن نطن أن السرور دائم لتكون المفاجأة أمواج من الحزن تتلاطم بين الجوانح لتكسر الكيان، وتحاول إيجاد طريقة لتكسر ضلوعنا، وعندما لا تستطيع كسر الضلوع نشعر أنها تشفق علينا ولو قليلا.

توقفت إيستارا عن البكاء ولم يكن النعاس قد داعب جفونها بعد، فقامت واتجهت نحو الباب لتفتحه، رمت ببصرها تلقاء النار التي كانت متقدة، كانت النار قد صارت جمرا لونه قريب جدا من الاحمرار، وفي كل لحظة تسمع صوتا يشبه صوت كسر حبة البندق، يصدر من قطع الخشب المحترقة، فتذكرت إيستارا ابنة خالتها جوساي لتحاول إغراقها في الدموع من جديد.

اقتربت من الجمر الذي كان يصدر حرارة تكاد تجعل الجسد يتعرق، لولا البرد الذي يقف في وجه الحرارة تلك فيجعلها تخف وتكتفي بإلقاء الدفء فقط في الأجواء، وكان الببر الأبيض قد مشى خلفها، وما إن جلست حتى جلس بقربها.

أخذت إيستارا تنعم بذلك الدفء البديع وتمسح على عنق الببر الذي كان يجد الراحة ما إن تمرر إيستارا يدها، وبين الفينة والأخرى تراه يرفع رأسه فينظر يمينا ويسارا ويعود ليترك رأسه على التراب الناعم، وإيستارا تتذوق طعم تلك اللحظات التي لم يكتمل حسننها بعد أن غابت أمها وصارت بعيدة عن جدتها وابنة خالتها، وصارت سماء فكرها

حالكة تكاثفت فيها غيوم الفراق لكن عاد قليل من الصفاء عندما تذكرت قول شايريدي أنه سيرسل أحدا للبحث عن قريتها.

فجأة قالت: لكنني أتمنى أن يعرفوها بعد أن أعرف ما هذا الشيء الذي ليس لطيفا

هنا!

بعد انطفاء الجمر، عادت لتنام، ونامت نوما عميقا، وهذه المرة حتى ولو خرجت لتسير وهي نائمة فلن تضيع، لأن البوابة الخارجية تغلق، أما الأشجار فتعارض لها ألواح خشبية مرتفعة حوالي متر ونصف عن الأرض.

## الفصل الخامس عشر: لغز الضيعة

" الحياة يمكن فقط أن نفهمها بالعكس، لكن يجب علينا أن نعيشها إلى الأمام. "

سورين كيركجارد

في الصباح الباكر استيقظت إيستارا وقامت من فراشها ولم تكن قد فتحت عينيها جيدا، وعندما فتحت الباب ونظرت إلى الساحة وجدت أن النسوة والرجال كلهم قد استيقظوا، وما إن رأتها روميتا حتى قالت لها: صباح الخير إيستارا، أرى أنك استيقظت باكرا، أليس كذلك؟ أم أن الفراش لم يكن مهيبا جيدا؟

لتردّ إيستارا: لا، نمت جيدا وشكرا على لطفك الكبير يا خالة، وأثناء الحديث استيقظ الصغار كلهم وأقبلوا نحو البئر لغسل وجوههم منه، وشكلوا صفا ليغسل كل واحد منهم وجهه، الأول فالأول، وما إن وضع أحدهم يديه بقرب الدلو وضمهما، حتى أمسكت روميتا بيديه قائلة: انتظر يا بني، فإيستارا استيقظت قبلك وهي أحق أن تكون أول من تغسل.

نادت روميتا إيستارا لتغسل وجهها، فقالت إيستارا: لا عليك، دعيهم يغسلوا وبعدها أغسل، فنظرت إليها روميتا وقد رفعت حواجبها قائلة بابتسامة بشوشة: هيا يا إيستارا، كوني فتاة مطيعة يا صغيرتي.

وهكذا غسلت إيستارا وجهها أولا. وكانت هناك منشفة لكل واحد، معلقة، الواحدة تلو الأخرى على خيط متين مربوط بين شجرتين.

بينما كان الجميع يتناولون فطور الصباح حتى قال شايريدي لآريناي وكايفيري: هيا قوما واذهبا حتى تستفسرا عن القرية التي تقطن بها إيستارا.

نظرت إليه إيستارا وقالت بصوت مؤدب: أستأذنك يا عم، دعهم ينهون فطور

الصباح أولاً، هذا أفضل، ولن يأخذ وقتاً طويلاً.

- لا يا ابنتي، إذ لا تكاد تسيغ لي لقمة واحدة وأنا أعلم أن في بيتي فتاة ضائعة عن قريتها، وأكباد أهلها تحترق عليها، ولو استطعت لذهبت البارحة لأستفسر عن قريتك، لكن للأسف فكما ترين أنا شيخ كبير ولا يمكنني المشي إلا بضعة أمتار، والجلوس بعدها لأخذ الراحة، وما إن أتم حديثه حتى أمر الاثنين مجدداً أن يذهبا ويستفسرا عن موقع القرية ويخبرا أهل إيستارا أن هذه الأخيرة مقيمة عندهم وأنهم سيأتون بها، طبعاً، هذا إن وجدوا القرية.

قام الاثنين وقبلأ رأس شايريدي وودعوا الجميع وانطلقوا، أما الباقون فقد أتموا تناول الفطور وبعدها اتجه الصغار لكي يلعبوا وكانت معهم إيستارا وذهب جينيوسي ليرعى الغنم، واتجهت النسوة تقمن بعملهن إما لحلب البقرات أو غسيل الأواني والملابس وما إلى غير ذلك، أما شايريدي والآخرين فقد ارتشفوا كؤوساً من القهوة ثم اتجهوا إلى المرج المخصص لرعي الخيول والماشية.

كان شايريدي يبدو شارد الذهن، فابتسم أخوه ريوساي قائلاً: ما بك يا شايريدي، لا تقل أنك تذكرت تلك الرسالة قبل عامين؟

أجاب شايريدي: لو كنت أنت المقصود فيها لما ابتسمت، على كل حال، أنا لا أفكر فيها، وكل ما علينا فعله هو أن نبقي حذرين من ذلك الشخص، فقد نفذ قوله في العام الفائت، ولا بد أنه سيحاول تنفيذه هذه السنة حتى يحقق ما قاله في الرسالة.

كانت الساحة كبيرة جداً وكانت لذلك المنزل نواح كثيرة. كان الأطفال يجرّون ويمرحون ومن دون شك أن إيستارا نسيت أحزانها وهي تلعب مع الصغار، وفجأة بينما كانت تركّض وراء إحدى الفتيات، وكانت ابنة سويريتا، حتى وصلت إلى إحدى النواحي وكان المدخل المؤدي لها هو المدخل الثالث، دون أن ينتبه لهما أحد.

شدّت هاته الأخيرة على لباس إيستارا وجذبتّه برفق، فجأة قالت: عذرا يا إيستارا، لكن ما يوجد في جيبك؟

أجابت إيستارا: إنه عطر أهده لي أمي، على أية حال، ماذا هناك؟  
- شددتُ على لباسك حتى أقول لك أنه تجدر بنا العودة. تابعت: هناك شيئان، الأول هو أن اسمي ميراي، والثاني هو أنه لو رأنا جدي هنا لقام بضربنا فهو لا يقبل أبدا أن نأتي إلى هنا، علينا أن نكون حذرتين عند الخروج و إلا فسنقع في ورطة كبيرة.  
كانت ميراي بعمر إيستارا تقريبا، فتاة نحيفة، بيضاء البشرة، مشرقة الطلعة، في طول إيستارا، ذات عينان رماديتين وترتدي تنورة فضفاضة بقميص يتجاوز حد الركبة أبيض اللون.

- لماذا يا ميراي، هل هناك خطر إذا أتينا إلى هنا؟ أنا أرى أنها مكان هادئ، خصوصا أنها بعيدة نسبيا عن النواحي الأخرى، أليس كذلك؟  
فردت ميراي عليها قائلة: حسنا سأطلعك على سر، لكن إياك أن تبوحي به، أو تخطئي وتبوحي به، ويستحسن أن تنسيه ما إن أخبرك به مباشرة، فوافقت إيستارا.  
قالت ميراي: حسنا، تعالي معي.

ركضتا مسافة قصيرة لتصلا إلى شيء كان مغطى كليا بقماش أسود لا يُعلم إن كان بناء خشبيا أو حديديا أو ترابيا أو شيئا غير ذلك، لكن الخيارات الأولى هي التي تتبادر للذهن ما إن تقع على رؤيته العين، وكان ارتفاعه يفوق العشرين مترا بقليل.  
قالت إيستارا: ما هذا يا ميراي؟ أنا لا أرى إلا هذه القطعة القماشية السوداء، ما هذا الشيء الذي خلف هذا القماش الأسود؟

- للأسف يا إيستارا، لا أحد من الأطفال يعلم، حاولنا مرات عديدة أن نعرف، دون جدوى. الأمر الذي لم نفهمه كذلك هو كيف أنّ هذا القماش لا تقطعه السكين.

حاولت ساديت أن تمزقه، لكنها فشلت في إحداث ثقب صغير. تابعت ميراي: حسنا، دعينا الآن نذهب فسينتهي أمرنا لو رأنا أحد، لكن بينما كانت ميراي تتكلم حتى أحست الاثنتين بيد فوق كتفيهما.

ارتعبت ميراي، شحب وجهها وبدأت أصابعها الصغيرة بالارتعاش وتسارعت دقات قلبها حتى كادت تصرخ من شدة الرعب الذي أحاط جوانح قلبها، أما إيستارا فقد تجمدت في مكانها وشعرت بخوف شديد ما إن تذكرت قول ميراي حول ما سيحدث لو رآها جدما، وكالعادة، ماذا يحدث للخوف إن رأى وجه إيستارا البديع، يتلاشى نهائيا!... سبحان الله...

سمعتا صوتا خافتا: ماذا تفعلان هنا أيتهما المشاغبتان، لو رآكما جدي سينتهي أمركما، والآن سينتهي أمرنا نحن الثلاثة لو رأنا هنا.

استدارت كل من إيستارا وميراي، ومن حسن حظهما أنه كان كايسو ابن ماوريسي. هدأت الاثنتان وعادت الطمأنينة لتملأ نفسيهما.

قالت ميراي: ماذا تفعل هنا يا كايسو، يجب أن تكون مع الأطفال الآخرين تلعب؟ كان كايسو في الثانية عشر من العمر، قصير القامة، أبيض البشرة، ذو وجه وسيم، بعينين بنيتين، تكاد السمنة تخطفه. قال: حري بي أنا أسألكما أنتما الاثنتان هذا السؤال، لكن لا بأس، دعونا نعد، بعد ذلك أخبرك يا ميراي عن السبب الذي حملني على أن آتي إلى هنا.

عاد الثلاثة وبدأوا باللعب مع الصغار وما هي إلا لحظات قليلة جدا حتى رأت إيستارا وميراي وكايسو، كلا من شايريدي وإخوته عائدين من المرج.

قالت ميراي: تخيلوا ماذا كان سيحدث لنا لو كنا لا نزال هناك. فقال كايسو: ببساطة، سيحدث لنا ما حدث لساديت منذ عامين، تذكرين؟



قبل أن تضيف ميراي أية كلمة، نظرت إيستارا إلى كايسو وسألته عما جرى لساديت هذه.

قال: منذ عامين على ما أذكر، ذهبت ساديت إلى تلك الناحية وكانت شديدة الفضول لمعرفة الشيء المغطى بقماش أسود ومحكم عليه بشدة إلى درجة الظن أنه ملتصق به، كان هذا في إحدى ليالي فصل الصيف حين أخذت شمعة معها وتسلمت خلصة إلى تلك الناحية وبدأت في محاولة تمزيق القماش الأسود الذي يغطي الشيء الغامض الذي لا نعرف ما هو.

تابع كايسو يقول: لم يكن باستطاعتها أن تمزقه أو تحدث فيه ولو ثقبها صغيرا وحاولت أن تنزعه من الأسفل وكذلك لم يُجد ذلك نفعا، فقد كان القماش ذاك أقرب ما يكون مدفونا في الأرض، وبينما هي كذلك حتى رآها أخ جدي فصرخ في وجهها وانهاled عليها بالضرب وفي صباح الغد تعرضت لضرب شديد، حبست في إحدى الغرف، وصارت تضرب كل خمسة عشر يوما قبل الغروب بعصا غليظة، خمسين ضربة على يديها ومئة على رجليها لمدة عامين، وهذا العام فقط أين عادت حياتها إلى سابق عهدها وتوعدونا بعقاب أشد إن حاولنا الاقتراب من ذلك المكان، لذلك لا نقرب منه أبدا.

قالت ميراي: الآن يا كايسو، لماذا أتيت إلى تلك الناحية فقد سألتك ولم تجب؟  
- ميراي، أنت حقا بلهاء، كنت أَلعب مع الأطفال وفجأة لم أركما، فبحثت عنكما في كل الأرجاء فلم أجدكما، تبقى خيار واحد ألا وهو تلك الناحية فأتيت ووجدتكما، لكن لماذا ذهبتما إلى هناك، أقصد لماذا أخذت إيستارا إلى هناك وأنت تعلمين العقاب؟  
- لقد كنا نلعب لعبة المطاردة ولم أنتبه بينما كنت أجري وإيستارا تطاردني حتى وصلنا لتلك الناحية. قلت لإيستارا أن نذهب لكنها بدأت بطرح الأسئلة علي وأنا أجيب حتى أتيت ونبهتنا، ومن ثم رجعنا لمتابعة اللعب.

كانت إيستارا شاردة الذهن قليلا بعد أن أجابت ميراي كايسو، وبعدها ضربت على كتف كل من ميراي وكايسو قائلة: وجدتها.

بدأ الاثنان بالضحك وقال كايسو: ما الذي وجدته يا إيستارا، هل عرفت ما الشيء المغطى بقماش أسود، هيا تكلمي؟

أنصتا إليّ. أنا ضيفة عندكم ليس إلا، ولذلك إن سرت صوب تلك الناحية لن أتعرض للعقاب، وقد أضرب أو أطرد لا غير، وإذا طردوني سأتدبر أمري، لذلك سأذهب إلى تلك الناحية وأحاول كشف الحقيقة التي تقبع وراء القماش الأسود، ما رأيكما بهذا؟

قالت ميراي: لا بد أنك مجنونة، هل تظنين أنهم سيتسامحون معك وهم لم يتسامحوا مع ساديت؟. لم يتسامحوا مع القريب، فكيف يتسامحون مع الغريب.

قالت إيستارا: لا تكونا غيبين، أنا لا أعلم بأن تلك الناحية يعاقب من يذهب إليها، لذلك لن يقع علي العقاب، فهمتما الآن، فهذه تكون ورقتنا الراجعة يا أصدقاء.

قال كايسو: مستحيل، أنت ضيفتنا ولن نترك تخاطرين من أجل معرفة شيء فيه خطر علينا فهم منعونا لأنهم يعلمون أن هناك خطرا علينا إذا ما ذهبنا، لذلك دعونا منه وهيا نستأنف اللعب من جديد.

- أعلم تماما أنهم يريدونكم أن لا تتعرضوا للخطر خصوصا أنهم طيبون، لكن لا تنسوا أننا صغار والصغار فضوليون، لذلك بعد الانتهاء من الغداء هذا اليوم سأذهب عمدا إلى تلك الناحية وعندما يأتي الجد شايريدي أو غيره سأسأله عن الشيء المغطى بالقماش الأسود، بما أنه لم تتسنّ لكم فرصة السؤال، ثم قالت: لكن لماذا لم يضعوا حاجزا على تلك الناحية إن رأوها خطيرة، فالأجدر وضع حاجز أو ما شابه، فهكذا لن يتجرأ أحد على الاقتراب وينتهي الأمر وهذا خير للطرفين.

فجأة سمعوا صوت فتاة تصرخ بصوت عال، مشرعة ذراعيها وتجري بشكل متعرج

فالتفتت إيستارا لتراها. قالت: من هذه؟

فأجابها كايسو: إنها الفتاة التي تحلم أن تطير في كل لحظة لأنها فرحت يوما ما فرحة عارمة جعلتها تريد أن تطير من شدة الفرح، لكنها لم تستطع الطيران، فأخبرتنا أنها لم تستطع أن تعبر عن فرحتها الحقيقية، لكنها ستبقى تحاول أن تطير ولو بالجري هكذا.

ما إن أتم هذا الأخير كلامه حتى وصلت هذه الفتاة ومدت يدها لإيستارا لتصافحها. صافحتها إيستارا وقالت هذه الفتاة: اسمي ساديت... الأخت والصديقة الرئيسية لبطلتة القصة، ابتداء من الآن وحتى نهاية القصة، ماذا تريدان أن تعرفي؟

نظرت إيستارا إلى ساديت وقالت: إذن أنت هي ساديت.

كانت ساديت فتاة جميلة جدا، أطول من إيستارا، بيضاء البشرة ذات عينين شديدتا السواد، نحيفة قليلا، في عمر إيستارا أو تفوقها بأشهر.

اقتربت ساديت من إيستارا ثم أمسكت وجنتيها وأخذت تجذبهما برقبة وسط دهشة إيستارا. قالت ساديت: يا ذات العيون الزرقاء الواسعة... كأن ملمس بشرتك أزرق، كزرق عيناك!

قالت إيستارا: رجاء لا تسترسلني في المديح، لو كان لي توأم حقيقي لكنت أجمل منه، وما أريد أن أعرفه...

فجأة قاطعتها ساديت قائلة: انتظري، لا تكوني مغرورة فأصحاب الغرور لا يتعلمون، واثنان لا يتعلمان كما تعلمين، الخجول والمتكبر.

ابتسمت إيستارا وقالت: معك حق ولست من الصنفين، والآن أجيبي، لم لم يضعوا حاجزا هناك وينتهوا من الأمر.

ارتسمت على وجه ساديت ابتسامة عريضة زادت من جمالها. قالت: للأسف لن أجيبيك بما أنّ لديك بعض الغرور.

- على كل حال الجاهل هو من لا يجيب، لذلك علينا الترفع عن جهله، وإطلاعه على السؤال الذي حاول التستر بمعرفة جوابه.

قالت إيستارا: قمة الطاعة أن نبقى بعيدين عما نهينا عنه حتى و لو كنا نستطيع القيام به، وما أرادوه منكم هو الطاعة، لكن بما أنهم يمنعون الصغار دون اتخاذ الأسباب، فهذا يبعث على الكثير من الغموض حيال ما يخفونه.

قالت ميراي: جميلة وذكية، عليك الاعتراف يا ساديت أنها ذكية. قالت ساديت: معك حق، لكن يجب عليها التخلي عن غرورها هذا، لم ألتق في حياتي شخصا يدافع عن غروره بكل بسالة!

قالت إيستارا: كنت أمزح فالتواضع رفعة يا أختي، وهنا قالت ساديت بصوت تملأه الوداعة: هذه الدمية أختي!. لحظات وقالت: أنا جدّ فضولية يا أختي، تعالي لأريك شيئا. - رأيته وانتهيت. الآن أريد أن أعرف ماذا يوجد تحت القماش الأسود يا ساديت، لذلك يجب أن نستخدم ذكائنا حتى نرضي فضولنا.

- لستين وأنا أضرب، لكن لا بأس، من أراد أن يعرف فعليه أن يدفع الثمن، مسبقا أو آخرا. والآن ليست لدي أية فكرة يا إيستارا عما أفعله لكي أعرف، إذ لا شيء في ضيعتنا أكثر رعبا، غرابة وسريّة، من هذا الشيء المغطى بالقماش الأسود.

قالت إيستارا: كانت لدي فكرة وقد أخبرت ميراي وكايسو عنها لكنهما رفضا أن أخطر بنفسني. أخبرتهم أنه بما أنني ضيفة هنا فساذهب، وعندما يأتي جدكم سأسأله، أكثر شيء سيفعله حينها هو طردي، ما رأيك؟

قالت ساديت: لا، لا أريدك أن تخاطري، لكن هذه الفكرة كانت لتنجح لو كان جدي شايريدي غيبا، والآن اقترب موعد الغداء.

كان في وسط الساحة جرس يقرع إذا حان وقت تناول فطور الصباح أو الغداء، أو

العشاء، وبعد الغداء كان الصغار مجبورين على أخذ القيلولة بعد الظهيرة.

اجتمع الجميع كما جرت العادة ليتناولوا الغداء، وكان طعاما متواضعا وهذا بعد أن غسل الأطفال أيديهم وما إن انتهوا حتى اتجه الأطفال كلهم لأخذ القيلولة وكان البير قد عاد من صيده واتجه مباشرة نحو إيستارا، واحترار الجميع في ذلك التناغم بينه وبين إيستارا، وعاد الصغار كلهم نحو إيستارا ليحظوا بلمس البير الأبيض، ففروه الناعم كان يحرك المشاعر.

لحظات وقال شايريدي: اذهبوا يا أبنائي لأخذ القيلولة، وبعدها يمكن أن تلعبوا معه إن رضيت إيستارا، ثم ابتسم في وجه إيستارا قائلا: وأنت يا ابنتي كذلك اذهبي لأخذ قسط من الراحة.

قالت روميتا: كوني مطيعة يا إيستارا، حتى تستعيد طاقتك وتواصل اليوم بنشاط. دخل الصغار الغرف واتجهت إيستارا نحو الغرفة التي نامت فيها بالأمس وكان البير يمشي أمامها قبل أن يناديها شايريدي قائلا: إيستارا، أيمكنك القدوم معي للحظات فقط، إذا كنت لا تمانعين؟

- بالطبع يا عم شايريدي فلا يمكن أن أرفض لك طلب خصوصا بعد معاملتك الحسنة لي، فقال لها: ارجعي فأنا لا أحسن بالمقابل.

قالت إيستارا: لست قادمة لأنك عاملتني معاملة طيبة، أنا آتية لأنك طلبت قدومي، وذكر معاملتك كانت اعترافا بالجميل ليس إلا.

- ذلك واجب يا ابنتي. ما إن وصلت إليه إيستارا حتى أمسك يدها الصغيرة واتجهت صوب تلك الناحية وقالت إيستارا في نفسها: لابد أنه سيقول لي أن لا أقترب من ذلك الشيء، لذلك لا بد أن أسبقه بالسؤال حتى أتمكن من الحصول على الإجابة. بينما هما ماشيان حتى قالت إيستارا: عم شايريدي إلى أين نتجه؟

رد شايريدي: ستعرفين يا ابنتي، لكن لا تسأليني بعد هذا السؤال أي شيء، اتفقنا.  
ردت إيسيتارا: حسنا اتفقنا، وهنا علمت إيسيتارا أن شايريدي كان شديد الفطنة فقد جعلها تخسر فرصة السؤال عن الشيء المغطى بقماش أسود.

قالت في سرّها: لكن لدي حل بديل.

ما إن رأت إيسيتارا ذلك الشيء المغطى بقماش أسود حتى قالت: ما ذلك الشيء يا عمّاه؟

- ألم توافقي على أنك لن تسأليني أي سؤال يا ابنتي بعد سؤالك عن المكان الذي نتجه إليه؟

- نعم وافقت، لكن نسيت، لذلك سألتك ثانية فهلا أجبتني من فضلك؟  
قال شايريدي: سؤالك الأول لم تحسلي على إجابته وها هي إجابته، لقد كنا نتجه إلى هذا المكان، أما سؤالك الثاني فقد ذكرتك أنك وافقت على أن لا تسألني أي سؤال آخر لذلك نحن متعادلان الآن.

ارتبكت إيسيتارا لوهلة، لكنها لم تستسلم. قالت: عمّاه، لماذا لا تتكرم علي وتجيبي، فعندما كنت بحاجة إلى مأوى آويتني دون شروط، والآن عندما أردت إجابة عن سؤال بسيط لم تتكرم بالجواب.

- حسنا، سأجيبك عن سؤالك، لكن إيسيتارا تفتنت إلى أنه من الممكن أن يكون بناء خشبيا أو ما شابه من مظهره الذي يبدو عليه، لذلك قد يجيبها شايريدي بالقول أنه بناء مغطى بقماش أسود، لذلك أسرع بالقول: مهلا يا عمّاه، أن يكون الإنسان معافاً ليس كأن يقال له أنه معافى. لذلك ما رأيك أن تساعدني على رفع القماش لأعرف الإجابة بنفسني.

ما إن سمع شايريدي ما قالته إيسيتارا حتى ضم أصابع إحدى يديه حتى صارت قبضة

كاملة وبعد ذلك أخذ نفسا عميقا وأخرجه، وكأنه كظم غضبا عارما تولّد في داخله.  
قال شايريدي: سامحيني يا ابنتي، لكن لا يمكنك أن تري ما يوجد هناك، لذلك الآن  
أنصحك أن لا تقتربي من هذا المكان أبدا، وإن حدث ورأيتك هنا فلست مسئولا أبدا  
عن العقاب الذي سنلحقه بك، أما وقد عرفت أنه يجب عليك الابتعاد عن هذا المكان  
طيلة مكوئك هنا، فهيا نعد لتأخذي قسطا من الراحة، وتستأنفي اللعب مع الأطفال  
الآخرين يا ابنتي، وأكرر اعتذاري لك مجددا.

- لا، أنا من يجب عليها أن تعتذر لأنك تريد النفع لي من وراء نصيحتك، ولو قلت  
لي من البداية أنه لا يجدر بي أن أعرف ما يوجد وراء القماش الأسود ذاك لما طرحت  
عليك أي سؤال، و لقلت لك سمعا وطاعة، والآن أكرر اعتذاري فأرجوك أن تسامحي.  
تبسم شايريدي في وجه إيستارا وقال: شكرا لك يا ابنتي على تفهمك. ثم عادا من  
تلك الناحية حتى وصلا إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وقال: أتمنى لك يا ابنتي نوما  
هادئا، فقالت إيستارا: شكرا لك يا عم وأكرر اعتذاري منك فأرجو أن تسامحي، فرد  
شايريدي قائلا: لا عليك، لا عليك يا ابنتي. وذهب هو الآخر ليأخذ قسطا من الراحة  
وقبل أن تغلق إيستارا الباب استدار شايريدي وقال: عديني أن هذا سيبقى سرا ولا تخبري  
أيا من الآخرين من فضلك، فقالت: حسنا لن أخبر أحدا؟

- طلبت أن تعديني بأنك لن تخبري أحدا، فقالت إيستارا: أعدك يا عم شايريدي أني  
لن أبوح بأي شيء لأي كان، ولن أعود إلى تلك الناحية أبدا، أسعدك هذا؟  
قال شايريدي: شكرا لك، وذهب، أما إيستارا فقالت في نفسها: سأرى فقط إن  
كانت ساديت ذكية أم لا؟

بعد حوالي ساعتين استيقظ الجميع من القيلولة واستيقظ الأطفال واتجهوا نحو الغرفة  
التي كانت إيستارا نائمة فيها وبدأوا بقرع الباب والمناداة عليها لكي تخرج، فقد كانوا

متحمسين جدا للعب مع الببر الأبيض، فخرجت إيستارا إليهم وكأنها استيقظت للتو فقط، أما الحقيقة فهي أنها لم تغمض عينيها ولو مرة واحدة إلا إن كانت رمشة للجفون فقد ظلت تفكر في ماهية الشيء المغطى بالقماش الأسود، ولماذا أراد شايريدي من الأطفال ومنها أن يظلوا بعيدين عنه وأن لا يقتربوا منه خطوة واحدة، حتى أنها فكرت في طريقة تمكنها من المكوث عندهم وقتا أطول، حتى تعرف السر المخبأ وراء القطعة القماشية السوداء العظيمة تلك، فهي لن تهدأ حتى تعرف الإجابة.

بعد الاستيقاظ من القيلولة تعالت أصوات الصغار في الساحة الكبيرة الممتدة الأطراف، وبدأ الصغار يلحون على إيستارا حتى تسمح لهم بالعب مع الببر الذي لم يسمح لهم البتة بالاقتراب منه عندما كان قرب باب الغرفة التي تنام إيستارا فيها، فقالت: تعال يا بيري الأبيض الجميل، ولا تكشر عن نابك الطويل!. بدأت إيستارا تمسح على فروه، وألقت ساديت يدها على فروه الرطب والناعم لكنه كشر عن أنيابه في وجهها فارتعبت كثيرا وتراجعت بسرعة للوراء، وهنا ضربته إيستارا ضربة خفيفة على عنقه فجلس أرضا كأنه يطلب السماح منها، قالت هذه الأخيرة: ساديت، تقدمي ولا تخافي.

فاقتربت منه ساديت ثانية وبدأت تقرب في يدها منه ببطء شديد. كانت لا تزال خائفة والأطفال الآخرون يترقبون بأعين خائفة. فجأة أمسكت إيستارا يد ساديت وجذبتها حتى جعلتها تلامس الفرو الناعم وقالت: قلت لك لا تخافي وانتهى الأمر، لن يؤذيكم. بدأت ساديت تمسح على فروه، لم تكن مصدقة كم أن فروه رطب فعلى الرغم من وضوح رطوبة فروه، إلا أنها عندما لامسته وجدته أرطب مما كانت تتوقعه.

أقبل كايسو والآخرون بعدما استيقنوا أنه لن يؤذي أحدا، وكانوا في أوج السعادة وكأنهم لم يسعدوا في حياتهم سعادة كتلك، ورأى شايريدي فرح الأطفال فأقبل هو كذلك وقال لإيستارا: هل سيؤذيني لو لمسته أنا يا ابنتي؟



- لا لن يؤذيك أبداً، فأقبل هو كذلك يداعب بيده البير ورأته روميتا وسويريتا أثناء حلب البقرات.

قالت روميتا: لا يزال يلعب مع الأطفال كعادته.

لتردّ سويريتا: أجل، لكن يؤسفني أنه لم يستطع أن يتخلى هو وأعمامي عن... وقبل أن تكمل كلامها وضعت روميتا يدها على كتف سويريتا وقامت بدفعها دفعة قوية جعلتها تسقط، لتجد هذه الأخيرة عمها ريوساي يلقي إليها يده ويعينها على الوقوف.

قالت روميتا: سأمحيني فقد فقدت توازني ووضعت يدي عليك دون قصد.

ردت عليها سويريتا: لا عليك، لكن في المرة القادمة احترسي.

قال ريوساي: هيا، لا تكونا مثل فتاتين صغيرتين، وقالت سويريتا: شكرا لك يا عمي لأنك ساعدتني على الوقوف بعد أن سقطت.

- هيا أكملّا عملكما ولا تنسيا أنه يجب عليكما مخضه ليصبح لبنا، ولا تنسيا ترك كمية كافية من الحليب فلدينا ضيفة يجب إكرامها.

وتوجه نحو شايريدي الذي كان لا يزال مع الأطفال يحمل هذا تارة ويحمل ذاك تارة أخرى وقال: هل تسمحون لي باللعب أم لا؟

فقال شايريدي: حاول أن تمسك أحداً إذن، وكم كانت تلك اللحظات لحظات رائعة جعلت طيور الفرح تبسط أجنحتها مجدداً على قلب إيستارا وتشعره بالأنس وذوق الطمأنينة الذي فقدت طعمه في الأيام الماضية، ورأت شايريدي يجري وراء أحد أحفاده فسقط أرضاً واتجه الحفيد ليطمئن على جده فأمسكه شايريدي وضمه بين ذراعيه وقال: أمسكتك الآن أخيراً.

هنا استرجعت إيستارا ذكرياتها مع أمها، واسترجعت ذكرى مثل التي حدثت أمامها الآن تماماً، وكادت تسبقها الدموع لولا أن احتضنتها ميراي قائلة: نحن نلعب وأنت

شاردة الذهن.

قالت إيستارا: كنت أفكر كيف أمسك بساديت، لترد ميراي: عند اللعب لا نفكر، نلعب وحسب.

تابعوا اللعب أما سويريتا فقد شكرت أختها روميتا على دفعها وإلا لحدث شيء سيء لها لو سمعها عمها، وغيروا الموضوع مباشرة، وتابعتا حلب البقرات وما إلى غير ذلك وبعد الانتهاء التحقتا بالنسوة.

في هاته اللحظات اتجهت ميراي نحو إيستارا قائلة: إيستارا، أريد أن أطلب منك شيئاً صغيراً، أتمنى أن تتكلمي علي بتحقيق هذا الطلب الصغير. ردت إيستارا: طبعاً يا ميراي، اطلبي فقط.

فهمست ميراي في أذن إيستارا، قبل أن تراهما ساديت وأتت مسرعة إليهما، و أول ما قالته ساديت هو: ماذا همست في أذنك يا إيستارا، قولي لي رجاء؟ ردت إيستارا: لا، هذا مستحيل.

قالت ميراي: أحسنت يا إيستارا، لا تخبريها ودعي الأمر سرا بيننا. قالت إيستارا: فالجملة وُجهت لكليكما وليست لساديت فقط! قالت ميراي: إنه طلب صغير جداً، لماذا تبالغين؟. وقالت ساديت: لكن أخبريني يا ميراي، ما هو هذا الطلب الصغير؟

- دعك، دعك يا ساديت، فلو أخبرتك ستقولين أن إيستارا فتاة أنانية. قالت إيستارا: لست أنانية... لو كان شيئاً آخر للبيت دون تردد، لكن طلبك هذا لا أستطيع تلبية، أنا آسفة، آسفة جداً. وعانقتها قائلة: يوماً ما إن شاء الله سأهديك شيئاً أجمل منه بكثير فافرحي.

ابتسمت ميراي وشعت عيونها فرحاً وقالت: حقاً ما تقولين، ما هو، ما هو؟

- يجب أن يكون مفاجأة وإلا لن يكون جميلا ولن يفرح قلبك. قالت ساديت: حسنا، سأعطيكما هدية الآن!

نظرت كل من إيستارا وميراي إلى ساديت وقالت ميراي: ما هذه الهدية فلا أتذكر أنك قدّمت لي هدية من قبل؟

فجأة تلقت الاثنتان ضربة خفيفة على رأسيهما من ساديت وقالت: ولا واحدة أرادت أن تخبرني، ما رأيكما بهديتي أليست جميلة؟

قالت ميراي: لا تزالين هنا، ستأخذين مني هديتين!. ما إن همت ميراي بردّ الضربة لساديت حتى صرخت ساديت: ميراي، تعالي إلى هنا.

ارتبكت ميراي وتجمدت في مكانها، لتضربها ساديت ضربة ثانية خفيفة. قالت: أيتها الحمقاء!

همت ساديت بالركض قبل أن تجد يد إيستارا تمسكها. قالت إيستارا: نسيت أمري يا أختي، ماذا ستفعلين الآن؟

قالت ميراي: انتظري حتى أريها من أكون... فجأة تركت إيستارا يد ساديت قائلة: لتمسكي بها إن أردتِ الثأر، فأنا أمسكتها لأجلي لكنني قررت مساحتها. قالت ميراي: ياااااه... ما أرقّ قلبك!

فجأة لمحت ميراي ماوريسي تمشي في الأرجاء فاتجهت نحوها وهمست لها بشيء، فقالت ماوريسي: بسيطة، سأتكفل بالأمر يا ابنتي.

عادت ميراي وقالت لإيستارا وساديت: لا تسألاني، فلن أخبركما بأي شيء. قالت لساديت: لست مهتمة!

## الفصل السادس عشر: الشاب الصامت

'' العدالة دون قوة عديمة الجدوى، والقوة دون عدالة استبداد. ''

بليز باسكال

بعد عصر ذلك اليوم بوقت قصير أتى لتلك الضيعة شاب يرتدي لباسا رماديا، طويل القامة ومعتدل الجسم، وسيم الوجه ذو لحية خفيفة، ممتلئ العضلات حسب ما يوحي منظره، ذو بشرة بيضاء وعيون واسعة شديدا السواد، ولعل أكثر ما يميزه هو شعره الطويل الأسود المنسدل على كتفيه، رفع يده اليمنى محييا شايريدي وأخاه وبقي بعيدا عنهم حوالي ثلاثة أمتار.

رفع شايريدي وأخوه يده اليمنى لرد التحية عليه، وأرسل شايريدي كايسو إلى النسوة فأحضر كايسا ليس بالصغير وليس بالكبير، كان كايسو قادرا على حمله دون مشقة أما الكيس فقد كان مملوءا بالصوف على الأرجح أو شيئا آخر من خيوط النسيج.

تقدم كايسو نحو الشاب، لكن إيستارا طلبت من كايسو أن يسمح لها بحمل الكيس إلى الشاب فوافق. حملت إيستارا الكيس لذلك الشاب، ووضعت الكيس أمامه. انحنى واضعا على الأرض قطعة فضية، وبينما هو يتفحص محتوى الكيس، حتى انحنت إيستارا لتحمل القطع الفضية.

قال الشاب بصوت منخفض: احذري من الألعاب دون أن تقلقي. لحظات وقام واضعا الكيس على كتفه، وهم بالمغادرة. استدار وبدأ يمشي، كانت في مشيته هبة كبيرة، أما إيستارا فحملت القطع الفضية في حين كان الشاب لم يتوار بعد عن الأنظار، فجأة توقف واستدار ثانية.

نظر إلى شايريدي وريوساي ثم رفع يده مودعا إياهم، وذهب بعدها مباشرة.

أما إيستارا فكانت تسترجع الكلمات التي قالها لها - احذري من الألعاب دون أن تقلقي - ثم توجهت إلى شايريدي وسلمته القطع الفضية وواصلت اللعب.

غربت الشمس، واجتمع الجميع على العشاء كالعادة، وانتهى العشاء كالعادة، والتغيير الوحيد هو أن إيستارا طلبت من رومينا أن تسمح لها بالنوم في غرفة ساديت وميراي، وهو الشيء الذي وافقت عليه رومينا برحابة صدر.

لم تكن إيستارا تطلب ذلك عبثاً، بل كانت تريد أن تضع خطة مع ساديت وميراي لكشف الشيء المغطى بالقماش الأسود واجتمعت الفتيات في غرفة واحدة، وبدأن يخططن لمعرفة الشيء دون أن تتعرض أي واحدة للتعذيب، ودون أن يكشف أمرهن أو حتى أن يُشكَّ في نواياهن.

كانت الغرفة مضاءة بأنوار ثلاثة شموع كل واحدة موضوعة في صحن حديدي ومعلقة في وسط ثلاثة جدران من البيت إلا الجدار الذي كانت الباب، جلست كل واحدة في مكانها وبدأن يتحدثن بصوت خافت حتى لا تصدر أية ضجة.

قالت إيستارا لساديت: كان معك حقّ، فجذك ليس غيباً، إن كنت ذكية فافهمي. ردت ساديت: كنت أعلم أنه ليس غيباً وأن خطتك السابقة ستفشل، ولا بد أنكما ذهبتما لتلك الناحية وأخبرك بعدم الاقتراب.

قالت إيستارا: جيد أنك فهمت، والآن من منكما لديها خطة لأرى إن كنا سننجح في تنفيذها أم لا؟

قالت ساديت: لدي خطة، لكن لا أدري إن كانت ستنجح أم لا. لنقول ميراي: أخبرينا بها فقط، وبعدها نقرر إن كانت ستنجح أم لا.

قالت ساديت: اسمعاني، ذلك الشاب الذي أتى اليوم هو الحل، ونظرت إلى ميراي قائلة: أنت تعلمين أنه يأتي كل ثلاثة أيام ليشتري الصوف منا، لذلك عندما يأتي في المرة

القادمة تذهب واحدة منا لتلهمهم، فجدي والأعيان سيكونون حاضرين، لأنهم دائما ما يكونون هناك عندما نسلمه الصوف، واثنان تذهبان لتلك الناحية وتحاولان معرفة الشيء المغطى بقطعة القماش الأسود، ما رأيكما؟

قالت ميراي: أحسنت، هكذا ستمكن من معرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود. قالت إيستارا: فكرة سيئة، تذكرني أن ساديت وجدت القماش وكأنه ملتصق، لذلك سيكون الوقت قصيرا جدا لنرفع القماش، ونعرف إن كان بناء مشيدا بالطوب أو بلبنت حجرية.

قالت ميراي لساديت: لقد أخبرناها بالقصة، ثم نظرت إلى إيستارا وقالت: بما أن هذه الفكرة ليست سديدة، لدي فكرة أخرى، لكن يجب أن ننتظر حوالي خمسة عشر يوما أخرى للأسف، وهنا قامت إيستارا من مكانها وأسرعت نحو ميراي قائلة: أخيرا، ربما فكرة جيدة، هيا أخبرينا بها يا ميراي؟

بعد خمسة عشر يوما من الآن ستقام الألعاب - وتذكرت إيستارا أن الشاب كان قد أخبرها أن تحذر من الألعاب - في ذلك الحين كانت ميراي تواصل حديثها قائلة: لكن دعينا من الألعاب الآن، ما أقصده هو أنه خلال التحضيرات تتسلل واحدة أو اثنتان إلى تلك الناحية وهكذا نعرف السر، أما الثالثة فتنبّهنا إن كان هناك شخص ما قادم.

قالت ساديت: فكرتك سيئة كذلك، أنت تعيشين هنا، ألا تعلمين أنه لا توجد إلا طريق واحدة للعودة، والتنبيه لا يجدي نفعا حينها.

عادت إيستارا إلى فراشها وهي تفكر كيف يمكن التسلل ومعرفة السر، وبينما هي تنظر نحو السقف حتى رأت رقًا ملصقا في السقف، ومكتوب عليه بعض الجمل لكنها لم تستطع قراءتها، حتى بعد أن قامت ورفعت بصرها.

قالت لساديت وميراي: ماذا كتب على هذه الرق؟ إذ لا أستطيع القراءة من هنا.

فردت عليها ساديت: في كل غرفة هناك رقّ كهذا، لكنهم لم يخبرونا عن محتوى أي منهم، جدي أخبرنا بأنها قوانين هذه الأسرة التي تطبق على كل من يخطأ، كبيرا كان أو صغيرا، ونحن لا نعرف القراءة لذلك لم نفكر بشأنها.

لحظات وقالت إيستارا: حسنا، احملايني لأحاول قراءة محتواه، فوافقت الاثنتان وقابلت كل واحدة الأخرى وضمتا أيديهما وصعدت إيستارا فوق أيديهما، لكنها سرعان ما سقطت وسقطت الاثنتان.

قالت إيستارا وهي تحاول أن تكتم الضحك: قلت احملايني، ولم أقل دغدغاني! قالت ساديت: تحملي الأمر، تعلمين أن راحة القدم موضع من مواضع الدغدغة. قالت ميراي: تذكرني أن هذا الوقت ليس وقت الضحك يا إيستارا، وبهذا لن تشعري بأي دغدغة.

- ربما. قالت إيستارا.

رفعت كل من ساديت وميراي إيستارا مرة أخرى وتحاملت هذه الأخيرة على رغبتها بالضحك وبدأت تقرأ. ما إن انتهت من القراءة حتى فقدت توازنها وسقطت على الفراش المعدّ لساديت وكذلك سقطت ساديت وميراي.

سرعان ما بدأن بالضحك بصوت خافت ولحسن الحظ، لم تتعرض أيّ منهن للأذى. قالت ميراي: أخبرينا يا إيستارا، ما الذي كان مكتوبا على الرقّ فرما كان فيه شيء يساعدنا على معرفة الشيء المغطى بقطعة القماش السوداء.

- إنها بعض القوانين التي يجب أن لا تنتهك من قبل أي فرد كما قال الجدّ شايريدي، وغير هذا لا شيء مهم. الآن دعونا ننام فقد تأخر الوقت وإن علم أحد أننا لم ننم، فسيحدث شيء لا يحمد عقباه، ثم نامت الفتيات نوما عميقا.

استيقظت إيستارا في الصباح قبل كل من ساديت وميراي اللتان استيقظتا بعد

استيقاظ إيسيتارا بوقت قصير، وسرعان ما بدأت بالتثاؤب، وتضع كل واحدة يدها على فمها، ونظرت كلتاها إلى إيسيتارا.

قالت ساديت: لماذا لم تغسلي وجهك بعد يا إيسيتارا؟

- ما بك؟ لم يدق جرس الاستيقاظ بعد. الآن اسمعا ما سأقوله، خاصة أنت يا ساديت: عند اجتماعنا لتناول فطور الصباح قولي لأمك أن قرطا من الأقرط التي أضعها قد ضاع مني، لكن همسي في أذنها لأنك لو قلت ذلك مباشرة سيُشك في أننا اتفقنا على هذا لأننا نمنا في الغرفة سووية، وبعدها لا تنفوهي بأية كلمة، أما أنت يا ميراي فسوف أقول لك ماذا ستفعلين.

نزعت إيسيتارا قرط أذنها اليمنى و قالت لميراي: تفضلي، خبيثي في مكان آمن، إياك أن يُكتشف مكانه وتذكري، يجب ألا يعلم أي أحد بمكانه إلا أنت، وتذكري أنك ستعيدينه لي ما إن ننفذ فكرتنا.

قالت ساديت: ظننت أنك نسيت أمر ذلك الشيء، أما ميراي فقالت: هل تصنعين الأفكار عندما تكونين نائمة؟.

أجابت إيسيتارا: لكي أعرف يجب أن أحاطر، والأفكار لا أصنعها عندما أكون نائمة، بل أصنعها عندما أكون أفكر!

أمسكت ميراي القرط وقالت: لا تقلقي، يمكنك أن تسألي ساديت عني، إذا خبأت شيئا فسأموت ولن يُعرف مكانه إلا إن بحت بمكانه.

قالت إيسيتارا: رائع يا ميراي.

لحظات قليلة فقط، واسترجعت إيسيتارا القرط من يد ميراي قائلة: لا، لا، لن نكذب، يجب أن نضيّع القرط.

تابعت تقول: لا يهم فهو مجرد قرط، صحيح أنه هدية من أمي، لكن ماذا سأفعل؟



أنا جد فضولية، أنا هكذا ولا أستطيع تغيير نفسي!

ما إن فرغت إيستارا من كلامها حتى قرع الجرس، فخرجن مسرعات ومن شدة تدافعهن على من تخرج أولا سقط القرط الذي كانت تحمله في يدها ولم تنتبه له وسط تلك الأجواء الرائعة الأخوية بينها وبين ساديت وميراي، واتجهن لغسل وجوههن وكانت ساديت قد سبقتهما.

غسلت وجهها أولا، وعندما حان دور إيستارا لتغسل وجهها انتبهت إلى أن القرط ضاع منها، وطارت من الفرحة وأخذت ترش في ميراي بالماء من شدة الفرحة التي غمرت قلبها، وقالت ميراي: توقفي يا إيستارا ماذا دهاك؟. فهمست إيستارا في أذنها: ضاع القرط مني!. نادت ميراي على ساديت التي كانت تمسح في وجهها بالمنشفة، قائلة: تعالي يا ساديت، تعالي. مباشرة أقبلت ساديت قائلة: ماذا جرى؟

قالت ميراي: ضاع القرط ولم يتبق سوى أن تفعلي ما أخبرتك به إيستارا. أخذت كل واحدة ترش في الأخرى بالماء وهي تقول: مرحى... مرحى... وما إن أتى كايسو والأطفال الآخرون واصطفوا لغسل وجوههم حتى توقفت الفتيات الثلاث عن رش بعضهن البعض، واتجهن لمسح وجوهن بالمناشف.

في هاته اللحظات قالت ساديت: ستذهبين مع جدي إلى تلك الناحية ثانية على أساس أن القرط ضاع هناك، لكن بالأمس ذهبتما. وقالت ميراي: كلامها صحيح تماما، فأأي خطة هذه يا إيستارا؟

- لو كان لي توأم حقيقي لكنت الأجمل، لذلك انتظروا فحسب، فأنتم لا تعرفون إيستارا جايكوي، حتى إيستارا نفسها ليست أفضل مني!

اجتمع الجميع لتناول فطور الصباح، وبينما هم يتناولون إفطارهم حتى نظرت إيستارا إلى ساديت وأشارت لها أن تقول كما أخبرتها في الغرفة.

همست ساديت في أذن أمها: أمي انظري، إن أحد قرطي إيستارا مفقود، لا بد أنه سقط منها أثناء اللعب؟. نظرت رومينا إلى إيستارا قائلة: إيستارا ابنتي، هل فقدت أحد قرطيك ولم تتفطني بأنه سقط؟

رفعت إيستارا كلتا يديها وكان شايريدي ينظر إليها بعيون واسعة. لمست إيستارا أذنيها وقالت: معك حق فأحد قرطي مفقود يا خالة. قامت وبدأت تتصنع البحث عنه، وهي تقول: إنه هدية من أمي، كيف ضاع مني؟ لا بد أن أجده.

قال شايريدي: لا تقلقي، سنبحث عنه يا ابنتي، ونجده، فنحن نعلم أنه ضاع منك هنا، هل كان معك ليلة البارحة؟

أجابت إيستارا دون تفكير: لا أذكر، أظن أنه سقط مني عندما كنت منغمسة في اللعب، ثم قالت في سرّها: آسفة يا أمي، إنه الفضول!

## الفصل السابع عشر: الألعاب المسنونة في الضيعة

" ليس الفنان شيئاً بدون الموهبة، لكن لا تعني الموهبة أي شيء بدون العمل. "

إميل زولا

علّمت الفتيات أن القرط قد ضاع، لكن تمنياتهم كانت أن لا يكون قد ضاع في الغرفة التي نمن فيها، وإن كان فيها، فتمنين أن لا يظهر لعين أحد، أما إيستارا فكانت قد فتشت جيبي تنورتها جيداً حتى تتأكد أن القرط ليس معها. لما انتهوا من تناول فطور الصباح قاموا للبحث عن القرط، في حين انزلقت إيستارا، لكنها سرعان ما استعادت توازنها. بدأ الجميع بالبحث عن القرط وبدأوا بالغرفة التي نامت فيها الفتيات.

فتشوا كل ركن منها وكل شبر ولم يعثروا على أي أثر للقرط، وفتشوا كل الأماكن وبقيت ناحية وحيدة، وهي تلك الناحية التي أمر شايريدي إيستارا أن لا تذهب إليها. قال شايريدي: حسناً ليذهب كل منكم إلى عمله، وليبدأ الصغار باللعب في الساحة، أما أنا وإيستارا فسنبحث عن القرط.

توجهت إيستارا مع شايريدي إلى تلك الناحية وقال هذا الأخير: تعالي يا ابنتي، سنبحث عنه في تلك الناحية فربما سقط منك البارحة هناك ولم تنتبهي عليه.

ما إن وصلا حتى قال شايريدي: أولاً يا ابنتي، أريد أن أطمئن إلى أنّ جيوبك فارغة؟

كانت جيوب إيستارا فارغة تماماً، إلا واحداً فقط، فقد استخرجت منه قرطاً بكل

ثقة واطمئنان!

ابتسم شايريدي ابتسامة خفيفة، وابتسمت إيستارا كذلك!

قال شايريدي: هل تعلمين لماذا لم أطلب تفقد جيوبك أمام الجميع؟

أجابت إيستارا قائلة: لكي لا تخرجني أمامهم!

- أخطأت، فعلت ذلك كي أعلم هل كانت نيتك هي القدوم إلى هنا مجدداً أم لا، وما إن أتم كلامه حتى دفع إيستارا دفعة قوية أسقطتها أرضاً، واحمرت وجنتاها البديعتان لإراديا.

لحظات وأمسكها من عضدها وأخذها مباشرة إلى الساحة الرئيسية ونادى على لايفيتا، وجودفيتا ورياكشا، وانهلن عليها بالضرب.

كان شايريدي يفور غضباً، وهو يقول: أرادت خداعنا فقط لكي تذهب إلى المكان الذي أخبرتها أن لا تقترب منه...

بعدها تقدم ريوساي وقال: هذا يكفي. ثم نظر إلى إيستارا وقال: هل هذا جزاءنا بعد أن تكّرّمنا عليك وآويناك بصدر رحب، وجعلناك مثل فرد من عائلتنا. كانت إيستارا تشعر بألم شديد، كانت عيونها الزرقاء البديعة تدمعان لإراديا، وتمتّت لو أنها لم تُقدم على تلك الخطوة...

لحظات وابتسمت. قالت: لا تنفكّ تهمس لي بعد أن توقعني في المتاعب... أيّة قصّة هذه التي ترضى فيها الشمس بألم قمرها! يجب أن تحرقهم حالاً... أقصد أن تمحيهم من القصّة!!

مباشرة همس لونغفيرو لإيستارا: دمية مشاكسة، دعك من التذمّر أيا قمري الحبيب، يا أشمس شمس أشرقت في حياتي، يا أقمر قمر بزغ في حياتي، تعلمين جيداً أنه لا يوجد من يستطيع لمسك، وهذه المرحلة تكشف أنّك شخصية محبوبة بالفطرة، وملاحظة أخيرة، أرجوك، أرجوك لا تتجاوزي حدود القصّة!

سأجتاوزها متى يحلو لي ذلك، أنت الكاتب وأنا البطلة...ها... بطلة لونغفيرو كيمراي! قالت نيمايسولة الصباح والمساء: والآن، يمكنك أن تواصل!

بصوت صامت أجاب لونغفيرو: من لؤلؤات ولآلأ عيوني!... أذبت عبقرتي كلها في

بحار برائتك... لذلك أرجوك، لا تتضايقي للحظة!

كانت جوانحها ترتعد وهي تقول في سرها: توقفوا، توقفوا أرجوكم... إن لونغفيرو مجنون... سينهي كل من يتجرأ على لمسي!

لم تنطق بكلمة واحدة، بقيت مطأطأة رأسها وسط دھول الأطفال وتعاطفهم معها، أما ساديت وميراى فكانتا تبكيان على ما تتعرض له، وللأسف فالبر الأبيض كان قد غادر الضيعة ليصطاد فلم يستطع أن يمنع الأذى الشديد عنها.

تقدمت جودفيتا منها وقالت: ارحلي من هنا قبل أن أفقد صوابي... وفي غمرة غضبها، دفعت إيستارا دفعة قوية، لتسقط نيمائسول الصغيرة على الأرض ثانية. ثم حدثت مفاجأة لم يتوقعها أحد وصدم الجميع عندما قالت روميتا: قرطها الثاني يا أبي أين هو؟ وهنا تكلمت إيستارا وقالت بابتسامة: إنه في يده!

كانت صدمة الجميع كبيرة، بقي شايريدي يحرك في رأسه يمينا ويسارا، وهو يقول بذهول: لا يمكن، هذا لا يمكن...

قالت إيستارا: عندما رأيت أن القرط الأول قد ضاع مني، نزعت الثاني ووضعت في جيبي كي لا يسقط هو الآخر مني.

في تلك الأثناء كان الأخ الأصغر لشايريدي يستظل تحت ظل شجرة بعيدا عن الساحة ولم يعرف بما يجري، خاصة بعدما أنهكه التعب في البحث معهم عن القرط.

فجأة لمح شايريدي يتقدم نحوه. قال شايريدي: عندما أنهينا الفطور ماذا فعلت إيستارا؟

قال دوكيجواي: أنهت فطورها وقامت وانتعلت نعلها الصغير، ثم نزعت قرطها الثاني ووضعت في جيبيها.

تغيرت ملامح شايريدي، وشعر بالخزي تجاه ما فعله عندما تيقن أن إيستارا بريئة

تماما، وبدأ شعور الذنب يعذب ضميره بقسوة وقال: لقد ظلمنا الفتاة، وقبل أن يكمل قال دوكيجواي وهو يتلعثم: ما... ماذا قلت... ظلمنا إستانارا، ماذا جرى؟

- نعم ظلمناها، وأسئنا الظن بها، ثم قصّ له ما جرى.

عاد شايريدي ودوكيجواي إلى الساحة وقال شايريدي: لقد ظلمنا إستانارا. وبدأ الجميع يعتذر إليها، بدأت جودفيتا ورياكشا تمسحان على وجهها البديع، ولايفيتا تنفض الغبار عن لباسها.

قالت روميتا مخاطبة والدتها وهي متحسرة على ما فعله أفراد عائلتها: سترتدي لباسا آخر، لا بأس يا أمي.

في هذه اللحظات همست ساديت لميراي: أشعر بغيرة طيبة، نقية وصافية تماما تجاه الذكاء الذي تملكه أختنا المجنونة هذه، لتقول ميراي: وأنا كذلك.

تابعت ساديت: لكن يا ميراي، لست أفهم ما الذي تنوي فعله حتى الآن؟

قالت ميراي: ليست لدي أية فكرة عما تريد فعله!

قال شايريدي: سامحيني يا ابنتي، لكن لماذا لم تقولي أنه قرطك الثاني وبقيت صامتة حتى أنك ابتسمت عندما استخرجت القرط من جيبيك؟

- كانت لديك فكرة مسبقة أنني أحاول خداعك ولم تعطني فرصة التكلم ولو للحظة، فماذا كنت سأفعل؟

انتبه شايريدي وقال: لكن عندما سألتك عن السبب الذي دفعني لعدم تفقد جيوبك أمامهم، لماذا قلت لي حتى لا تشعرني بالإحراج؟

أجابت إستانارا: حتى لا تكتشف أنك تسيء الظن بي، لكنك لم تفهم قصدي للأسف!

مسح شايريدي على رأس إستانارا وضممتها زوجته، وقاموا بالاعتذار منها مجددا.

قال شايريدي: للأسف، ظلمنا ضيفتنا وابنتنا، وأسئنا الظن بها، وأنتم تعلمون ما الواجب فعله الآن، فأخني الجميع رؤوسهم وطلبت روميتا من ابنتها ساديت أن تعطي لباسا آخر لإيستارا بعد أن اتسخ لباسها، واتجه الجميع ما عدا الأطفال إلى إحدى الغرف الكبيرة ودخلوا، وأمروا الأطفال أن يغلقوا الباب من الخارج وكان ذلك بمثابة عقاب على الخطأ الذي ارتكبه مع إيستارا.

بعد أن اغتسلت إيستارا، ارتدت تنورة بيضاء تصل إلى كعبها وقميصا حريريا بالأكمام يمتد أسفل الركبتين، قدمته لها ساديت. قالت هذه الأخيرة: لقد صرت أكثر جمالا، أصبحت مثلنا تماما... فشرعت إيستارا ذراعيها وقالت: مهلا يا أختي، جمالي لا يتأثر بالتغيرات التي تطرأ علي؟!... لحظات لتقف إيستارا على أصابع قدميها حتى تصبح في مستوى طول ساديت، ثم قبلت جبينها قائلة: بورك يا أختي. لحظات وأنت ميراى بياوج جميل لتنتعله إيستارا، فقبلت إيستارا جبين ميراى هي الأخرى قائلة: بارككما الله يا أختاي، أنتما أختاي اللتان فقدتهما منذ زمن... جعلكما الله أجمل عروستين، وحفظكما من كل عين شريرة، سأبقى أدعو الله ليدرء عنكما العين الحاسدة... يا رب آمين.

قالت ساديت مباشرة: مهلا، للآن لا زلت لا أفهم كيف فعلت هذا، لكن أعلم أن الطريق أمامنا مهيا لمعرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود.

قالت إيستارا: آسفة لكننا لن نذهب إلى تلك الناحية، ولن أدع أي أحد يذهب، لأننا ابتعدنا عن الكذب لنقع فيه من خلال التحايل على الجد شايريدي، كنت أعلم أن القرط لم يضع مئي في تلك الناحية، لكنني تحايلت حتى أخذني إلى هناك مجددا، أضيفا إلى أني قطعت له وعدا بعدم الذهاب، لذلك لن نذهب إلى تلك الناحية.

قالت ميراى: أنت مجنونة يا إيستارا، نحن متشوقون جدا لمعرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود، ماذا دهاك؟

- إذا ذهبنا ستكون خيانة. قالت ساديت: لم أعد مهتمة لما يوجد تحت القماش الأسود، لكن كيف فعلت هذا؟

قالت بصوت منخفض: لست غبية حتى أخبرك خطتي أمام الكل، هم صغار وإذا علموا خطتي سيفضحوني لدى أهلهم لذا انتظري حتى ينسوا كل شيء، بعدها أخبرك أنت وميراي.

لعب الأطفال فيما بينهم، وكانوا مضطرين لطبخ الطعام بأنفسهم، تناولوا طعاما من صنع أيديهم، وبعد أن انتصف النهار، قالت إيستارا: لنصلي أولا، بعدها سأخبركم بالخطة التي نسجتها.

قالت: الخطة بسيطة، من بين القوانين التي قرأتها في الرق الملتصق بسقف الغرفة هي أنه إذا قام أحد منهم بظلم طفل صغير، فإن الكبار كلهم سيقون مدة خمسة أيام في حجرة العقاب وهي الحجرة الوسطى من الجهة اليسرى، كانت أخبرتني أمك يا ساديت بأن تلك الحجرة مخصصة لهم إذا أخطأوا ولذلك سيقون دون أكل، فقط يمكنهم شرب الماء عند الغروب، لذلك أردت منهم ظلمي، أضعنا القرط الأول، ثم وضعت الثاني في جيب فستاني ليظن الجد شايريدي أنني لم أفقد القرط. بعد أن ضربوني وجدوا أنهم ظلموني وحبسوا أنفسهم، وبذلك صرنا قادرين على رؤية الشيء المغطى بالقماش الأسود، قبل أن أتراجع لأني لا أريد كسر الوعد الذي قطعته، والآن ما يحيرني هو أن القوانين تلك منها ما هو مكتوب بلغة أفهمها ومنها ما هو مكتوب بلغة لم أفهمها، حاولت مرارا وتكرارا قراءتها، لكن هذا كان دون فائدة، على أية حال، هذا لا يهم الآن.

مضت الأيام بسرعة كبيرة بالنسبة للصغار، أما بالنسبة للرجال والنسوة فقد كانت الثواني تبطئ حتى تتحول إلى دقائق، وتبطئ الدقائق حتى تتحول إلى ساعات، أما الساعات فكانت كأنها لا تريد أن تودع يومها ذاك وتستقبل الغد، لكن رغم بطئ الوقت



إلا أن الأيام الخمسة انقضت، وحن وقت خروج الرجال والنساء، ففترة العقاب انتهت وقد كفّروا عن ذنبهم الذي اقترفوه مع إيستارا، واتجه كل طفل يعانق أباه وأمه، فقد كان الاشتياق يمزق الأكباد، أما إيستارا فبقيت في مكانها ولم تتحرك، إذ لم يكن لديها أي شخص هناك حتى تذهب إليه. فجأة رأت لايفيتا مشرعة ذراعيها. قالت: ألن تأتي إليّ يا ابنتي؟. فرحت إيستارا وانطلقت بسرعة لتعانقها، وضمتها لايفيتا بحنان. لحظات وقالت إيستارا: كنت سامحتكم، وبذلك يكون ذنبكم قد سقط، لماذا عاقبتكم أنفسكم؟

- للأسف يا ابنتي، لم نرد أن تسامحينا دون أن ندفع الثمن. ثم أمسكت إيستارا من يديها الصغيرتين برفق وقالت: تذكرني دائما أنك لست بعيدة عن أهلك، أنت بين أهلك ريثما يعاد جمع الشمل. فابتسمت إيستارا ثم قالت: شكرا لك، ولكن سامحيني على هذا لأنني أظن أن أهلك لا يعاقبوننا، إنما يحاولون شرح الأمور لنا وإقناعنا.

قالت لايفيتا: لكن يا ابنتي، في بعض الأحيان هناك أفعال تجعلنا لا نفكر في الحل وقد نفقد صوابنا ونفقد السيطرة على أنفسنا، لأن مشاعرنا المكبوتة في قلوبنا أشبه بحمم داخل بركان، والبركان قد يصدر دخانا في أول الأمر وهذا بمثابة أننا غضبنا، لكننا كبنا الغضب في داخلنا، والبركان قد ينفجر مباشرة، وهذا بمثابة غضب لم نستطع أن نكبته في داخلنا.

لحظات وقام شايريدي فيهم قائلًا: والآن هيا لنأكل شيئًا، فإننا نعاني من شدة الجوع، وبالفعل كانت بطونهم خاوية وكانت ملامح وجوههم كأنها تداخلت قليلا، كانوا لا يتحركون إلا وهم يمسكون بطونهم، وكانوا لا يخطون الخطوة الواحدة إلا بصعوبة كبيرة لأن طاقتهم كادت تكون قد نفدت، بسبب أنهم لم يأكلوا طيلة الأيام الخمسة المنقضية، ولم يداعب أي ذوق ألسنتهم حتى ولو كان مرا.

أسرعت النسوة لتحضير فطور الصباح بمساعدة الصغار، فكل النسوة كنّ متعبات

خاصة أن العقاب سرى عليهن كذلك، وأخيرا وبعد مُضي وقت قصير انتهوا من تحضير فطور الصباح الذي كان متكونا من الحليب وقطع من الرغيف أعدته النسوة على عجل. شبعوا وارتووا، وقبل أن يهيموا بقضاء اليوم كما كانوا يقضون الأيام الأخرى، كان قد قام شايريدي وقال: ألم تستجمعوا قوتكم بعد؟ هيا قوموا ففي المستقبل القريب لن تكون الأيام عادية، وفي لحظة قفز الأطفال كلهم إلا إيستارا فهي لم تكن تعلم ما هو الشيء المميز الذي ينتظرونه في الأيام القادمة، أما الرجال الآخرون والنساء فقد قاموا متبسمين وقالت إيستارا في سرها: كأن ابتساماتهم تلك ابتسامات مصطنعة لا غير، وكأنهم يخفون شيئا سيئا، ويحاولون أن يظهره جميلا، لكنها عادت وقالت: لا يا إيستارا، لا تسيئي الظن بهم هكذا، وأردفت تقول: حقا أنا فتاة سيئة، نسيت أنهم لم يأكلوا شيئا بسببي وهذا يعني أنهم بالكاد يستطيعون الابتسام من شدة الإرهاق، لماذا لا أرى الجانب المشرق منهم وهو أنهم ابتسموا رغم إرهاقهم؟

هل أنا سيئة لهذا الحد يا ترى؟. وتركت حديثها مع نفسها عندما وضعت ساديت وميرا يديهما فوق كتفي إيستارا وقالتا: ابتهجي يا إيستارا ففي الغد إن ظللنا على قيد الحياة سيبدأ التحضير للألعاب، الفائز فيها لديه الحق في لعب اللعبة الثانية، والذي يفوز في اللعبة السابعة سيكون على موعد مع أشهى المأكولات، والرحيل إلى جزيرة الضياء التي ما إن تطأها قدماه حتى تتملكه روعتها، فلا يُحْبَد أن يرحل منها أبدا حتى يموت هناك ويدفن فيها، وما إن أنهت ساديت كلامها حتى قالت إيستارا: عمّ شايريدي، سأشارك أنا كذلك في الألعاب.

لحظات وقال شايريدي: لا يا ابنتي، سامحيني، لا يمكنك المشاركة. قالت إيستارا: أرجوك، أرجوك. فأصرّ شايريدي على أنها لن تشارك، وكانت روميتا جالسة بالقرب منهم، لكن ما إن نظرت إيستارا نحوها كي تطلب منها أن تجعل شايريدي

يوافق على أن تشارك في الألعاب حتى وجدت أن روميتا قد ذهبت دون أن تلحظ ذهابها.

قالت إيستارا في نفسها: بقي لدي ما أقنعه به مباشرة ولن يمانع مشاركتي في الألعاب. قالت: عم شايريدي هل سيشارك كل الأطفال في هاته الألعاب التي ستقيمونها؟

طأطأ شايريدي برأسه للأمام كناية على أن كل الأطفال سيشاركون، ثم قالت إيستارا: الأطفال هؤلاء وسط أهلهم وكنت قلت لي أني مع أهلي، إذن، يمكنني المشاركة وإن كان السبب أني غريبة ولذلك لم تقبل مشاركتي، فقد قطعت الحيط ذاك بكلامك. تبسم شايريدي وقال: ما أشد فطنتك يا إيستارا، حسنا استطعت إقناعي، ستشاركون في الألعاب، وعانق الأطفال كلهم إيستارا.

قالت ساديت: احذري يا إيستارا لأنني لست سهلة، والتغلب علي صعب. قالت إيستارا: الفوز لا أريده لكنه يريدني. لتقول ميراي: يا لك من مغرورة طيبة؟! قالت ساديت: أتحدّاك إذن أن تغلّبي، وكذلك قالت ميراي، فنظرت ساديت إلى ميراي وقالت: ميراي، ابقِ مكانك رجاء.

صمتت ميراي وقالت إيستارا: من الأفضل لو أنك تحدّيتني في أنك لن تخسري أمامي، على الأقل تبقى لديك فرصة التعادل ولو أنها فرصة صغيرة، وهنا وضعت ساديت يدها اليمنى على رقبة إيستارا وأحنتها للأسفل برفق، وقالت: مغرورة، حقا أنت أختي وصديقتي، ثم اتجهن للعب والمرح.

كانت النسوة قد اتجهن لأعمالهن، والرجال كذلك لأعمالهم، أما شايريدي والأعيان الآخرون فاتجهوا كعادتهم وجلسوا تحت ظلال إحدى الأشجار. قال ريوساي: تلك الفتاة ذكية جدا وفطنتها تجعل المرء يحتار.

قال شايريدي: لكن ذكائها وفطنتها أوقعها في الفخ بسهولة، فالإنسان في بعض الأحيان يقول أمورا طيبة للذكي حتى يُسهِّل طريق وقوعه، لم أقل لها أننا أهلك إلا لتسهيل وقوعها في الفخ، ولم يبق سوى أن تفوز، أليس كذلك؟

قالت لايفيتا: لكن لماذا لم تقبل مشاركتها من البداية، وبقيت مُصِّرا على رفض طلبها في المشاركة؟

نظر شايريدي إليها وقال: في بعض الأحيان تكونين أقرب للغبية، إنها ذكية جدا، لو وافقت مباشرة على طلبها لشكَّت في نوايانا، ثم تأخذ في سؤال نفسها لماذا وافق مباشرة على الرغم من أنها كانت السبب في معاقبة أنفسنا، وعلى الرغم من أنها غريبة، ستتفطن إلى أن هناك شيئا كامنا وراء الألعاب.

قال ريوساي: أظن أنها ستتغلب على الأطفال الآخرين، لا تنس أن ساديت بارعة، وكادت تفوز العام الماضي، كذلك ميراي التي بالرغم من أنها بلهاء قليلا، إلا أنها تحدث المفاجآت، فقبل ثلاث سنوات كادت تفوز.

تبسم شايريدي وقال: اسمعني جيدا، هي الآن ستتركز على الفوز فقط، وتصرف نظرها عن كل شيء، صدقي، ذكائها سيجعلها تفوز حتما، ويجعلها تقع في شركنا، وأنت تعلم، لو وجدنا الغرباء في كل عام لأشركناهم مباشرة وتمنينا فوزهم، ولولا أن الغش سيئ لكنَّا لجأنا إليه لجعلهم يفوزون، ثم تابع: نحن سيئون، لكن في هذه الفترة فقط.

لحظات وقال دوكيجواي: أخشى أن ذكائها سيدمر كل شيء.

فجأة غضب شايريدي غضبا شديدا ونظر إلى دوكيجواي نظرة قاسية وقال بنبرة شديدة: لن يحدث أي شيء، كل شيء سيسير كما أخطَّط له، هل فهمت كلامي، هي مجرد فتاة صغيرة، ذكائها لا يقدم ولا يؤثر في خططنا.

قال ريوساي: اهدأ، اهدأ يا أخي، واعتذر دوكيجواي من شايريدي الذي قال في

سرّه: لن أسمح باختيار كلّ شيء.

أثناء فترة لعب الأطفال نادى روميتا ابنتها ساديت، فهرعت هذه الأخيرة إليها، وقالت روميتا: ادخلي إلى الغرفة، سآتي بعد دقائق. وكان البير الأبيض نائما قرب تلك الغرفة.

انتظرت ساديت بضع دقائق حتى أتت أمها روميتا. أغلقت الباب ثم انهالت بالضرب على ساديت وهي تقول: لماذا... لماذا تسرعت وقلت ذلك الكلام لإيستارا حتى طلبت المشاركة في الألعاب، ألم أقل لك أن لا تتفوهي بأي شيء عن الألعاب. كانت ساديت تبكي وتقول: ساحيني يا أمي، لقد نسيت، لكن لماذا لا تريدني أن تشارك إذا كنا نحن كلنا سنشارك في الألعاب؟

انهارت روميتا على الأرضية، بكت بشدة وراحت تقول: لولا الوعد الذي جعلونا نقطعه لعلمت، ولعلم كل الأطفال، لكن للأسف أنتم تفرحون في هذه الأيام وتتسلون وبعد انقضائها تنتظرون قدومها بفارغ الصبر في العام القادم، تتمنون العيش لكي تبلغوها، أما نحن فنتقطع قلوبنا، تتمزق أوصالنا وتدمع عيوننا سرا في هذه الأيام، ونتمنى الموت لأولئك الأعيان حتى لا تمزق قلوبنا مجددا.

مسحت دموعها ثم أمسكت ساديت بشدة وقالت: إياك وقول شيء عما قلته لك الآن، وجعلتها تقطع وعدا لها بأن تبقى صامتة.

انتظرت روميتا حتى عاد وجه ابنتها بشوشا، ثم تركتها تعود لتلعب مع الأطفال وقالت إيستارا: لقد أطلت الغياب يا ساديت، ماذا جرى؟

أجابت ساديت بأنها أعانت أمها في تهيئة إحدى الغرف، ثم أتموا اللعب، وكانت ساديت تشعر بأن حملا ثقيلا يثقل كاهلها، ألا وهو كلام أمها الذي لا تستطيع أن تدع أحدا يشاركها فيه بسبب الوعد الذي قطعته.

تناول الجميع غدائهم، حل الظلام وبعد العشاء اتجه الجميع لغرفته، واتجهت كل من ساديت وميراي وإيستارا إلى نفس الغرفة. تبادلوا أطراف الحديث قليلا، ونامت ميراي أولا فقد كانت متعبة جدا، أما ساديت وإيستارا فتبادلتا أطراف الحديث قليلا، قبل أن تقول ساديت: إيستارا، ماذا لو قطعت وعدا لشخص ما بأنك ستحفظين وعده خصوصا أن ما وراء ذلك الوعد شيء سيء؟

- لا شك أنه يجب أن نحفظ وعودنا، لكن في بعض الأحيان، هناك أشياء تغطي بثوب الوعود، فيجب الحذر بين أن الإنسان يقطع وعدا وبين أن الإنسان يتستر عن الأشياء السيئة ويبقى يدينس رداء الحقيقة ويقول اقطع لي وعدا، وهنا همّت أن تقول ساديت لإيستارا ما قالته لها أمها، لكن قاطعتها إيستارا قائلة: لكن يا أختي، مثل هذه الوعود حسب الشخص الذي جعلنا نقطعها، فإذا كان عزيزا وصادقا، فإنه يجب حفظ الوعد الذي قطعناه له لأن نقض وعدنا له سيتسبب في مساوئ أكثر من المساوئ التي كانت ستحدث إن حفظنا وعدنا له، وإن كان الشخص سيئا فذلك لا يُسمّى وعدا.

- لولا استثناءك الأخير يا إيستارا لقلت لك شيئا صار يثقلني وأتمنى لو أنني أستطيع مشاركته مع أحد.

قالت إيستارا: ومن قال لك أنني لا أشاركك حملك الثقيل يا أختي.

كانت إيستارا وساديت متربعتان ومتكئتان على الحائط بجانب بعض، ومباشرة تحولت ساديت لتقابل إيستارا. قالت وهي تشير بسبابتها إلى إيستارا: إذن أنت على علم بما قالته لي أُمي، لكن كيف عرفت؟

قالت إيستارا: ليكن في علمك أنني معاذ الله أن أكون قد تجسست، لكنني عندما لم أرَ بري الأبيض الجميل بدأت بالبحث عنه وكان بقرب الغرفة نائما فسمعت ما قالته أمك. الآن قولي أنك فرحتَ لأني أعلم.

عانقت ساديت إيستارا بشدة وضمتها إليها وهي تبكي بشدة وتقول: ماذا سنفعل؟ ماذا سنفعل؟...

قالت إيستارا وهي تضم ساديت إليها وتمسح برفق وحنان على رأسها: كوني قوية يا أختي.

ثم قالت مازحة: وتذكري أن اللباس جديد وارتديته قبل أيام قليلة، وأنت الآن تبكين فوق كتفي، هذا يعني أن أنفك الصغير يسيل، لذلك رجاء امسحي دموعك، هذا أولاً. ثانياً علينا اكتشاف الحقيقة قبل فوات الأوان، ومعرفة ما يخططون له، هذا قبل أن يقع أحد في براثنهم مجدداً.

مسحت ساديت الدموع من عينيها، وقالت إيستارا: انظري منديلاً وامسحي أنفك الصغير الذي لا يزال يسيل، فجأة ضحكت ساديت وشعّ الجمال في محياها الباكي.

قالت ساديت وهي تنظر إلى ميراى: ميراى نومها كالذب، إذا نامت فلن تستيقظ! تابعت: مهلاً يا إيستارا، لماذا لا نفرّ من هنا نحو مكان مجهول، نحن والصغار الآخرون وبذلك نتخلص من هذه الصور السوداء العالقة في أذهاننا.

- ليست صوراً سوداء، إنها صور يكسوها الضباب ما دامت هناك حقائق، والحقائق لا بد أن تكتشف، لا أن نتركها ونذهب، الهرب مع جميع الأطفال من هنا أمر مستحيل، يجب أن نقطع رأس الشر.

أنا وأنت صرنا نعلم أنهم في هذه الفترة يصبحون سيئين، لكن تذكري أن معاملتهم لكم وكذلك لي كانت معاملة حسنة ورائعة، لذا لا بد لنا من أن نعلم الشيء الذي يجعلهم سيئين في هذه الفترة.

قالت ساديت: إذن، ما رأيك أن تجعلي البر الأبيض يقتل الأعيان وبعد ذلك نسأل أمي عما يوجد وراء كل هذا، أليس حلاً رائعاً؟ أرجوك وافقي فليس لديك أي عذر

الآن.

رفعت إيستارا ذراعيها جيدا حتى أصدرت عظامها صوتا ثم قالت: اسمعي يا ساديت، الحلول المباشرة قد تكون فخا فهم ليسوا أغبياء حتى يدعوا البير معي دون أن تكون لديهم خطة إن هاجمهم، وثانيا انزعي من رأسك فكرة القتل، إياك والتفكير بهذه الأمور مرة أخرى.

قالت ساديت: ماذا سنفعل إذن؟ وكان صوتها علا قليلا فقالت إيستارا: تكلمي بصوت خافت، ربما استيقظت ميراي التي أشعر بالشفقة عليها أكثر من أي أحد، فرغم أنها بلهاء قليلا، إلا أنها طيبة القلب وصادقة، كذلك ربما يكون أحدهم ما يستمع في الخارج، لذلك يجب أن نحذر جيدا.

قالت إيستارا: هل سألتكم الجد شايريدي كيف هي تلك الجزيرة التي يذهب إليها الفائز ولم يرسلونه إليها وليس إلى مكان آخر؟ وتابعت قائلة: جزيرة الضياء، اسم جميل، لكن ما الذي يخفيه وراءه؟



## الفصل الثامن عشر: جزيرة الضياء

" لن يصبّ أحد الحقيقة داخل عقلك، هي شيء يجب أن تكتشفه بنفسك. "

نعوم تشومسكي

لحظات وقالت ساديت: أجل، سألت جدي ذات مرة، فقال:

إنها جزيرة رائعة وخلافة يقيم بها أقارب لنا وهم من أحفاد جدنا الأول، وتقع في مكان بعيد نسبيا، وقال أن جدنا الأول كان له أخ وحيد فقط، جدنا الأول هذا لديه ثلاثة أولاد، أما أخوه فلم يكن له أولاد، وكانوا يسكنون في جزيرة الضياء، كانوا يرتحلون ثلاثة مرات في العام لرحلات تجارية، وفي أحد الأيام عندما حان يوم ذهابهم لرحلتهم الثانية في فصل الشتاء كان الأخ الذي ليس لديه أولاد مريضا جدا، فذهب جدنا الأول مع أبناءه الثلاثة، وعندما كانوا عائدين من رحلتهم التجارية صادفتهم ربح عاصفة وأمطار شديدة الغزارة فاحتموا في هذه أرض هذه الضيعة.

أخبرنا أن جدنا الأكبر وأبناءه الثلاثة احتموا في هذه الأرض لمدة تقارب الشهر، وخلال فترة إقامتهم قرر جدنا الأول أن يعمرها، فقد كانت بها منازل قليلة، ثم بنى منازل أخرى، وقال أنه كما آوتهم في ذلك الجو الماطر، فإنهم سيعمرونها، وبهذا فلن تبقى مهجورة.

عادوا إلى جزيرة الضياء قصد أن يرحلوا منها ويأتوا إلى هذه الأرض، لكن عند عودتهم كان الأخ قد مات، وكانت هناك عادة وهي أنه إذا توفي الزوج في أرض ما فإن زوجته لن تغادر تلك الأرض حتى تموت.

فكان قرار الجد أن يأتي بزوجه إلى هذه الأرض، ويتزوج زوجة أخيه المتوفى، يقضي أياما هنا، وأياما هناك، ولما شعر أنّ العمل في الجزيرة أصبح صعبا جدا عليه مع تقدمه في

السنّ، قرّر إقامة مسابقة بين أبناءه الثلاثة الموجودين في الضيعة، والفائز يذهب معه إلى جزيرة الضياء ليعينه هناك.

قالت إيستارا: أظن أن هناك الكثير من الأكاذيب، فزوجة أخيه المتوفي التي أصبحت زوجته الثانية، كان يمكنها العيش بهناء مع وجود جيران طبيين أثناء غيابه، ولن يخلوا عليها بتقديم يد المساعدة.

كانت الساعة حوالي منتصف الليل، وبعد وقت قصير سمعت إيستارا وساديت صوت خطى في الخارج، فجأة سمعتا صوتا يقول: تعاليا من هنا ولا تصدرا أي ضجة فالصغار نائمون، آريناي تعال من هنا، كايفيري تحرك ببطء.

قالت ساديت: لقد عاد أبي، وزوج خالتي، لا بد أنهم عرفوا مكان قريبك يا إيستارا؟  
قالت إيستارا: جدك كان مخادعا، لكن لن أستعمل الخداع معه.

قالت ساديت: لم أفهم؟

قالت إيستارا: لم يرسلهما بتاتا، ومن حسن حظك أنت وميراى أنه لم يرسلهما، جدك كان كاذبا، لقد خدعني، لكنني لن أخدعه، فأنا لم أكسر وعده حين تسنت لنا فرصة معرفة الشيء المغطى بالقماش الأسود، لكن جدك، مخادع منذ البداية.

- لم أفهم أي شيء، كيف يكون من حسن حظي أنا وميراى أنه لم يرسل أبي وزوج خالتي للبحث عن قريبك؟

قالت إيستارا: لو أرسلهما لكنك تسببت في قتلهما، وهنا قالت ساديت: لا تقولي فقط أنه إن عاقبوا أنفسهم وكان أحدهم غائبا فإنه سيقتل عند عودته؟

أجابت إيستارا: أحسنت، هذا يعني أنه كان يريدني أن أبقى هنا منذ البداية، والآن أصبحت متأكدة من أن جدك يريدني أن أكون الفائزة في الألعاب.

تابعت: لذلك عندما التقيت أمك تحاورت مع النسوة كثيرا في شأن أخذي معهن أم

لا، ولذلك ماوريسي قالت لن نمنعك من القدوم لكن أنصحك بعدم القدوم، وتمنت أن يجديني أهلي يومها عندكم، والشاب حذرني من الألعاب، أي سرّ هذا الذي يخفيه جدك شايريدي وراء الألعاب، ولماذا يريدني أن أكون الفائزة؟  
قالت ساديت: أشعر بالأسف عليك يا إيستارا، وأشعر بالخزي من هذا الذي يخفيه جدي والآخرون.

ابتسمت إيستارا وقالت: لا تشعري بالأسف وتمني أن يعود المخطأ إلى رشده وإلى الطريق السوي، من يدري، ربما جدك مجبر.

قالت ساديت: لا تحاولي جعله بريئا يا إيستارا.

لتردّ إيستارا: أحاول أن أحسن الظن به، لا تبرئته، وهناك أمر يا ساديت، أريد أن تقطعي لي وعدا بتنفيذه، فوافقت ساديت.

قالت إيستارا: إذا انحصرت المنافسة بيننا نحن الاثنين فدعي الفوز ليكون من نصيبي، اتفقنا. ولا تنسي، يجب أن نبذل قصارى جهدنا للفوز، فالآخرون لا يعلمون شيئا عن الخطر الكامن، و كذلك ميراى، يجب أن لا تفوز مهما كلّفنا الثمن، أفهمت؟

- فهمت، يجب أن نفوز نحن الاثنين وبعدها أدع الفوز لك. لماذا تريدان المخاطرة بنفسك دائما؟. سامحيني، لن أخاطر بك يا دميّتي البديعة أبدا، لونغفيرو يأتمني عليك!

قالت إيستارا: لن تخاطري بي، لكن إذا فزت، فستكون فرصة نجاتي أكبر من فرص نجاتك أنت إذا فزت، تعلمين أيّ بركة لونغفيرو، نيمايسولة الصباح والمساء، طائر الحبيب وكوكبه المشرق، سيفعل المستحيل لإنقاذي، سيدمر كل شيء... سينسف معالم القصة عن بكرة أبيها، والجميع ينتظر ما سيفعله لونغفيرو لأجلي... لذلك أرجوك... أرجوك... وأخيرا وافقت ساديت على طلب إيستارا.

قالت إيستارا في سرها: لم يبحثوا عن قريتي حتى، وأنا فكرت أن أسألهم عن قرية

ريتومي لربما عرفوها وأخذوني إليها، على أية حال، بهذا لن أندم حتى على عدم سؤالني  
للعلم مالفى عن اسم قريتهم الجديدة، لكن لا بأس، سأرى ما يمكنني فعله، فشأيريدى لم  
يكن ليأخذني إلى قريتي أو إلى آيراغسيكوناس، أو حتى إلى القرية التي تقطن بها خالتي  
كوريسى وزوجها.

على أية حال، لونغيرو يعلم جيدا ماذا يفعل، أنا البطلة الرئيسية، نيماسولة الصباح  
والمساء، لو طلبت منه إنهاء القصة الآن، سينيها!

أرجوك، دعينا نكمل القصة، أنت شمس القصة... بالله من سواك ينير عوالمى!!  
فى الصباح، قال شأيريدى لإستارا أن زوجى ابنتيه قد ذهبوا ولم يعرفا مكان قريتها،  
لتمثل إستارا أنها حزنت بعد سماعها هذا الخبر، فهي علمت ليلة البارحة أنه لم يرسلهما.  
قال ريوساى: لا تقلقى يا ابنتى، واصبرى، فنحن لن نياس من البحث عن قريتك.  
قالت إستارا: شكرا لكم، وآسفة على التعب الذى أسببه لكم.  
قال شأيريدى: لا، أنت لا تسببين لنا أى تعب يا ابنتى.

اتجهت إستارا بعدها للعب وقالت لساديت: إني أعيش أسعد لحظات حياتى، لم  
أكن أعلم أن هناك من يكذب على وأنا أعلم كذبتة، وأستطيع التحكم فى ملامحى!  
تابعت: أخبرنى جدك أنه أرسل والدك وزوج خالتك للبحث عن قريتي لكنهما لم يعرفا  
موقعها، لذلك كان يجب أن أمثل أنى حزنت، فغيرت ملامحى، وجعلت وجهى البديع  
يبدو شاحبا حتى كدت أذرف الدموع!

قالت ساديت بنبرة حزينة: أكرههم وأمقتهم، يكذبون علنا على من يعلم كذبتهم.

## الفصل التاسع عشر: النباريس الخمسة

" فقط هؤلاء الذين سيخاطرون بالذهاب بعيدا، من الممكن أن يجدوا كم أن المرء يستطيع

الذهاب بعيدا. "

توماس ستيرنز إليوت

قضت إيستارا أياما قليلة في هذه الضيعة، وبعد الإعلان عن اقتراب موعد الألعاب، لاحظت أن شايريدي ولايفيتا وأخوه ريوساي وزوجته جودفيتا ودوكيجواي وزوجته رياكشا كانوا يجلسون تحت شجرة كبيرة ويستظلون بظلها وخمسة منهم يحمل بين يديه شيئا لا ينفك يمسحه بقطعة قماشية شديدة البياض، لتحمل رياكشا تلك القطعة لرميها، وتعطيهم واحدة أخرى نقية، وظلوا يفعلون هذا مرات عدة.

ولما رأتهم إيستار قالت في سرّها: ثرى، ما تلك الأشياء التي يفرطون في الاعتناء بها طوال الوقت، منذ الصباح وحتى حلول وقت الغداء، في الأيام الأولى كانوا يجلسون تحت الشجرة ليستظلوا بظلها، لكن ليس لوقت طويل، أما الآن فجلاً ما يفعلونه هو الاعتناء بتلك الأشياء التي لم تتسنّ لي فرصة رؤيتها.

رغم فضولها إلا أنّها لم تسألهم، واكتفت بسؤال نفسها لا غير، قائلة: هذا ليس من شأني وأنا مجرد غريبة عندهم فكيف أسأل؟

سألت ساديت وميراى وكان جواب الأخيرتين هو أن شايريدي نهاهم عن السؤال عنها وبذلك لم تُرفع ستارات تساؤلاتها خاصة أنّها كانت فتاة فضولية جدا، ولا يمكنها كبح فضولها طويلا.

رأهم إيستارا على تلك الحال لثلاثة أيام فقررت أن تسأل شايريدي عن تلك الأشياء التي لا يتركونها من بين أيديهم إلا فترات قصيرة من النهار، حين يتناولون فطور الصباح أو

حين الغداء، وحين لعبهم مع الصغار.

وفي اليوم الثالث اتجهت إيستارا نحوهم وقالت: عم شايريدي، هل لي أن أطرح عليك سؤالاً يجول في رأسي وبات يحيرني كثيرا هذه الأيام؟  
طأطأ رأسه، فقالت: أريد أن أعرف ما هذه الأشياء التي تظنون تمسحون عليها أغلب الأوقات؟

في هذه اللحظة أسقط دوكيجواي قطعه القماشية البيضاء وقالت إيستارا: حسنا، لا تجبني، إنها نباريس مضيئة لا غير، لماذا كل هذا الاهتمام؟  
قال شايريدي: إيستارا ابنتي، نسيت أن أخبرك شيئا آخر بعد أن أخبرتك أن لا تقتربي من تلك الناحية، وهذا الشيء هو أن لا تسألي مجددا هذا السؤال، ولا تتكلمي عنه أمام الأطفال الآخرين، ولا تقولي أي شيء، كأنك لم تري أي شيء، هل فهمت ما أقوله لك؟

قالت إيستارا: إنها مجرد نباريس لا غير، ولأحيطك علما، كنت سألت الجميع قبل أن أسألك وكلهم يجهلون ماهيتها، فسألتك، لذلك لا تغضب.  
نظر شايريدي إلى إيستارا نظرة حادة وقال: لقد سمعت قولي فكوني فتاة مطيعة وعودي لتلعب مع الأطفال، إنهم في انتظارك.

- حسنا، سأذهب لأني قد عرفت لوحدي ولن أكثر الكلام، سألتك بلباقة ولم أكن وقحة، لكن أنت هكذا، أحيانا تكون رائعا وأحيانا لا!

ابتسم شايريدي من الصراحة المهذبة لإيستارا وقال: إيستارا ابنتي، هناك أشياء يكون الخير في جهلها، لذلك قلت لك ذلك، واعذريني إن كنت فظا معك، فمحاولة معرفة كل شيء قد يأخذنا إلى ما لا يحمد عقباه.

- لا أوافقك تماما، فمن المستحيل أن يكون الخير في الجهل، هذا أولا، وثانيا محاولة

معرفة كل شيء يأخذنا إلى معرفة اتخاذ القرارات الصائبة، لكن لا بأس سأذهب للعب.  
عادت إيستارا إلى الآخرين لتلعب معهم أما ريوساي فقال: جيد أنها قالت نباريس  
ولم تعرف الكلمة التي تأتي بعد النباريس، إنها شديدة الذكاء وعلينا أن نعترف.  
قال شايريدي: قالت نباريس، وهذا لا ينفي أنها عرفت نصف الاسم، لأن الكلمة  
التي تتبعه غير متوقعة البتة.

بينما كانت إيستارا غارقة في اللعب مع الأطفال حتى نادى عليها ماوريبي،  
فأسرعت إيستارا إليها.

قالت إيستارا: ها قد أتيت يا ماما، هل من طلب أنفذه برحابة صدر؟  
قالت ماوريبي: لنذهب إلى حجرتي الخاصة يا دميتي البديعة، أرجو منك مساعدة  
بسيطة وبعدها ستعودين للعب.

قالت إيستارا: ها... من عيوني يا ماما!

## الفصل العشرون: سهم أخطأ الهدف

" لو أمكن تحويل كراهيتك إلى كهرباء، لأمكننا إنارة كوكب الأرض بأكمله. "

نيكولا تيسلا

لم يكن قد تبقى على بداية الألعاب المنتظرة سوى ستة أيام على الأرجح، فكان الصغار متحمسون جدا حتى أنهم كانوا يجرون هنا وهناك دون كلل ودون ملل، فيسقطون تارة ويعاودون النهوض تارة أخرى والبهجة تملأ صدورهم، إلا إيستارا وساديت اللتان كانت تراودهما شكوك مريبة حول الألعاب وما ورائها، خاصة بعدما قالته روميتا لابنتها ساديت والذي سمعته إيستارا.

مضى هذا اليوم كالعادة، لكن في الليل، وبعد أن نام الأطفال كانت هناك حركة غير مسبوقة وهذا ما جعل إيستارا تستيقظ من نومها.

قامت من الفراش وعيناها شبه مغلقتين، فاستمرت بحكّهما برسغي يديها حتى ترى الباب.

بعدما بدأ نور الشموع ينسلّ إلى عيونها، وبدأت ترى اتجهت نحو الباب وقامت بفتحه، وكانت ساديت وميراى تغطان في نوم عميق.

ما إن فتحت إيستارا الباب حتى رأت الرجال قد أتوا بحزم كثيرة من الأخشاب. رفعت سبابتها وحكّت وجنتها الناعمة برفق، وهي تقول: لا بدّ أنهم يحضرون لاستقبال فصل الشتاء؟

اتجهت إلى شايريدي الذي كان جالسا على كرسي خشبي يراقب الآخرين وهم ينقلون حزما من الأخشاب إلى المدخل الأول الذي به الإسطبلات.

قالت: السلام عليكم يا عمّاه، أرى أنك لم تنم بعد، أم أنك استيقظت بسبب هذه



الجلبة؟

- لا يا ابنتي، أرى أنك لم تستطعي النوم، أو لنقل أنّ نقل الأخشاب تسبب بجلبة كبيرة جعلتك تستيقظين من نومك؟

- أجل، لكن لا بأس فلست بحاجة إلى النوم، هل تدخرون كل هذه الحزم لفصل الشتاء؟ طبعاً إذا لم تمنع بإجابتي.

قال شايريدي: أجل يا ابنتي. تابع: هل تحضرين حتى تكونين الفائزة في الألعاب أم لا؟

- لا أعلم طبيعة الألعاب، لذلك فلا أعلم كيف أحضّر، ولم أنتبه حتى أسأل الأطفال عن طبيعتها، ربما تسارع الأحداث في هذه الآونة الأخيرة جعلني أنسى أن أسألهم.

- لا عليك يا ابنتي، ستكون ألعاباً عادية جداً، تتسابقون فيما بينكم، وتختبر كذلك قدراتكم على التحمل، إنها ألعاب عادية، لكنها ليست سهلة خصوصاً أنكم لا تزالون صغاراً نسبياً، والآن اذهبي وأكملي نومك يا ابنتي لتبدئي بالتحضير للألعاب، فكما تعلمين كل الصغار قد بدأوا بالتحضير وكل واحد منهم متحمس للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

فجأة قال شايريدي مخاطباً ريوساي: حسناً، ارتاحوا قليلاً الآن بعدها واصلوا العمل. ثم قال مخاطباً إيستارا: عودي للنوم الآن يا ابنتي، وكما أخبرتك، قومي بالتحضير للألعاب، فكل واحد متحمس للفوز وعازم على تقديم أفضل ما لديه.

ما إن أتمّ شايريدي كلامه هذا حتى تمتت إيستارا بشفيتها: لا، أنت مخطئ، ليسوا كلهم أيها الشرير الهادئ، أتمنى أن تعرف الصواب، هذا لأنّ لديّ مشكلة واحدة، وهي أنني مثل لونغفيرو، ماذا سنفعل إن كنا نعاني من داء الحبّ المستمرّ!

- ماذا تقولين يا إيستارا، هلا أسمعني ما تقولينه؟

- لا شيء يا عماء، سأذهب وأكمل نومي، لكن قل لهم رجاء أن يحاولوا عدم التسبب بأيّة بجلبة تجعلني أستيقظ من جديد، عمت مساء وأتمنى لك ليلة هادئة وأحلاما سعيدة.

فقال شايريدي: عمت مساء يا ابنتي.

فجأة قالت إيستارا: مهلا يا أبتاه... اندهش شايريدي حتى أنه أسقط دمعة من عينه، فهذه المرة، استقرّ وقع الكلمة في صميمه.

قال بانتباه شديد: ماذا هناك يا ابنتي؟

قالت إيستارا: أبتاه... إذا فزت، هل أعود لقريتي أم أذهب إلى جزيرة الضياء؟ ارتبك شايريدي، وبقي مشدوها للحظات وهو ينظر إلى إيستارا، بدا وكأنه يفكر ثم قال: لهذا السبب لم أوافق على جعلك تشاركين في الألعاب عندما طلبت مني الموافقة، لكن بما أنك جعلتي أوافق فستذهبين إلى جزيرة الضياء يا ابنتي، هذه هي القواعد، لكن لا تقلقي، الجميع يتمنى أن يعيش هناك ولو للحظة واحدة فقط، من تطأ قدماء تلك الجزيرة سينسى كل أقاربه، تمني الفوز فقط! ومباشرة عادت إيستارا لتنام.

في الصباح الباكر استيقظ شايريدي وإخوته وأبنائهم، وذهبوا لاصطياد السمك من إحدى البحيرات، وعادوا قبل شروق الشمس.

استيقظت إيستارا، ساديت وميراي فجرا كعادتهن، صليّين ثم تبادلن أطراف الحديث قليلا، في حين استيقظ الأطفال الصغار الآخرون عند عودة شايريدي، وبعدها أتحوا فطور الصباح اتجهوا للعب والفرحة تملأهم إلا إيستارا وساديت اللتان كانتا تلهوان مع سائر الأطفال لكن أجواء السعادة في قلوبهما كانت جافة.

قالت ساديت: سئمت اللعب، دعينا نذهب إلى المرج، سيكون منظر الخيول والماشية

ترعى منظرا رائعا، هيا تعالى.

كان شايريدي هناك، يقوم بإحكام طرفي الأرجوحة وما إن انتهى حتى رأى الفتاتين تركضان، فابتسم ابتسامة صادقة وقال: من تصل أولا إلى جدها، تصعد الأرجوحة أولا. ركضت كل من ساديت وإيستارا بأقصى سرعة، وسبقت إيستارا ساديت بخطوات. فقال شايريدي: سبقتك يا ساديت، الدور الأول سيكون لها.

بدأت إيستارا تتأرجح، وشايريدي يدفعها، وفي كل مرة كانت إيستارا تقول: أعلى... أعلى... وشايريدي يقول: أحكمي قبضتيك جيدا على طرفي الأرجوحة يا صغيرتي... تلك اللحظات ذكّرت إيستارا بطيبة قلب شايريدي في أيامها الأولى في هذه الضيعة، فيما كانت ساديت تقول: جدي، لقد حان دوري الآن... وشايريدي يقول: انتهى يا إيستارا... أما نيمائسولة الصباح والمساء فكانت تقول في كل مرة: إنها الأخيرة يا أبتاه... وفجأة تغير كل شيء.

في الوقت الذي كان فيه شايريدي يدفع الأرجوحة، ثم يمسكها ويعيد دفعها من جديد، كان هناك شخص مختبئ في الصف الشجري الكثيف المواجه لشايريدي، ويراقب هذا الأخير. كان وجهه مغطى بلثام ولا يمكن للمرء إلا أن يلاحظ جمال عينيه. كان مُحْضرا قوسه ويمسك السهم بين إبهامه وسبابته ووسطاه، ينتظر فقط في اللحظة المناسبة ليطلق سهمه.

وبالعودة إلى المرة الأخيرة التي كان شايريدي سيدفع فيها الأرجوحة، لم يتمكن من رفعها عاليا، فقد تعبت ذراعاه من دفعها في المرات السابقة.

ظن الشخص المثلث أن شايريدي سيدفع الأرجوحة عاليا، ليصبح شايريدي في مجال رمايته مباشرة، وما إن همّ شايريدي بدفع الأرجوحة حتى انطلق السهم من أصابع ذلك الشخص يشق الهواء شقا، انساب السهم بأناقة، لكن للأسف، لم يستطع شايريدي دفع

الأرجوحة بقوة كافية، ليخترق السهم إيستارا مباشرة.  
أفلتت إيستارا حبال الأرجوحة تلقائياً، وسقطت على الأرض المعشوشبة مثل كوكب  
سماوي انتثر عن مداره.

تجمدت ساديت في مكانها، وهرع شايريدي إلى ذلك الطير الذي كان قبل لحظات  
طائراً محلّقاً، وصار الآن طائراً جريحاً بدأ ضياء عيونه يخفت.

سقطت إيستارا على الأرض دون حراك، ليحملها شايريدي بين ذراعيه، وبدأ هو  
وساديت بمناداة الجميع بصوت عالٍ.

أقبل الجميع رجالاً ونساء وكذلك الأطفال الذين لم يصدقوا ما تراه أعينهم، وكأن  
الزمن توقف.

تحسست روميتا نبض إيستارا، لحظات وقالت: لم يخترق السهم قلبها، لا زال قلبها  
ينبض، وأسرع ريوساي وانتزع السهم بسرعة خاطفة.

نزعت روميتا وشاحها بسرعة وقامت بلفّه في موضع الجرح بسرعة كبيرة، حتى يتوقف  
النزيف، ولا تفقد إيستارا المزيد من الدماء، ثم أسرع وأخذت إيستارا إلى إحدى  
الحجرات، وحضرت ماوريسي، طبيبة الضيعة، ملكة العطور والسموم، ومعها بعض  
الأعشاب والزيوت النباتية، وهذا لتعقيم الجرح تحسباً أن يكون السهم مسموماً.

ضُمدت جراح إيستارا، وبقيت روميتا وماوريسي بقربها، أما إيستارا فكانت لا تزال  
فاقدة للوعي، بين الحياة والموت.

جلس الأطفال، الحزن يمزق قلوبهم وهم يدارون في دموعهم التي كانت تنسكب من  
عيونهم لا سيما ساديت وميراي، أما الرجال والنسوة فقد تأثروا كثيراً، وأصبحت قلوبهم  
تتقطع على إيستارا، أما شايريدي فقد ذهب إلى غرفته وأغلق على نفسه وأخذ يبكي  
ويبكي بحرقة على ما أصاب إيستارا، وجعل يفكر ماذا لو أنّ السهم أصاب قلبه ولم

يصب إيستارا، إذ أن السهم كاد يخترق قلبها.

الكلّ كان يتمنى نجاة إيستارا، وفي نفس الوقت كانوا يحاولون معرفة الشخص الذي أطلق السهم وحاول قتل شايريدي، خاصة أن هذه هي المرة الثانية التي يُراد شايريدي فيها بسوء فقد حدث أمر مشابه في السنة الماضية، وفي الأخير قال شايريدي: علينا البقاء حذرين وانتهى الأمر.

مرّت على إيستارا أوقات عصيبة، وما إن حل الليل حتى استفاقت، وكانت تتصبب عرقا وارتفعت عليها الحمى وأسرعت روميتا وأنت بقطعة قماشية وبعض الماء البارد وأخذت تبللها وتضعها على جبين إيستارا.

أقبلت النسوة الأخريات لإعانة روميتا وماوريسي، وأحضرن بعض الأشربة المفيدة التي كانت تدخل جوف إيستارا بصعوبة كبيرة بعد أن تضع سويريتا يدها تحت ظهر إيستارا وتقوم برفعها ببطء شديد لتجعلها تشرب ولو قليلا، فذلك يجعلها تتحسن.

لطف الله سبحانه وتعالى بإيستارا وتعافت بعد أيام قليلة، وكان الجميع يعتنون بها على أكمل وجه، أما شايريدي فقد كان شديد الحرص عليها وصار يعتني بها أكثر من أي شخص، حتى قالت إيستارا أنه يبالغ في الاعتناء بها فقد تعافت، لكن شايريدي كان لا يتركها تقوم من مكانها ويقول: لا تتحركي، جلّ ما عليك فعله هو أن تأمري.

مضت حوالي عشرين يوما، وكانت الألعاب قد تأجلت بسبب الحادث الذي تعرضت له إيستارا، وعندما استعادت عافيتها بالكامل، اجتمع الرجال والنسوة في غرفة المشورة بعد الظُّهر، وكان الأطفال قد اتجهوا لغرفهم لأخذ القيلولة، وكذلك إيستارا.

قبل أن تدخل إيستارا الغرفة نادتها روميتا وطلبت منها أن لا تنام إلا بعد حوالي ساعة لأن لديها أمرا تريد أن تطلعها عليه، فوافقت إيستارا.

اجتمع الجميع يترأسهم شايريدي وافتتح الكلام بقوله: بعد تلك الحادثة نعود الآن إلى

الألعاب التي كان من المقرر إجرائها قبل أيام مضت، لكن كما تعلمون فقد كنت على مقربة من الموت، لولا أن السهم أصاب إيستارا، أما الآن فأنا في حيرة كبيرة من أمري فأنا أريد رد الدين لها، لكن لم أجد أي حل، فمن منكم يدلني على حل يجعلني أرد ديني هذا؟ قال ريوساي: قبل كل شيء، ألا تملك أدنى فكرة عن الشخص الذي رمى السهم، أكان يريد إصابتك أنت، أو إصابة إيستارا؟

قال شايريدي: ريوساي، ذلك الشخص لم تلحقوا به ولم نر وجهه ونحن ليست لدينا أية مناقشات مع قرى أخرى، لذلك وفيما يخصّ هذا الموضوع يجب علينا تمني الأفضل فقط، والآن أعود إلى سؤالي: من يدلني على طريقة لأعيد بها ديني؟ قالت روميتا: أرى يا أبي أن لا نجعلها تشارك في الألعاب وهكذا تردّ دينك كاملا، ثم طأطأت رأسها وقالت: أجل سترد الدين كاملا.

- لكن يا ابنتي، كانت قررت بنفسها أن تشارك، لم أضغط عليها أبدا ولذلك لا يمكنني أن أمنعها من المشاركة مع الأطفال الآخرين.

قال ريوساي: صحيح أن روميتا ذهبت ذلك اليوم، لكنك تذكر كيف أقنعتك إيستارا، صحيح أننا لم نضغط عليها، لكن الحقيقة هي أننا أردناها أن تشارك بأية طريقة. - حسنا، سنأخذ رأيها، إن قررت العدول عن المشاركة رددت ديني كاملا، لكن إذا قررت المشاركة فماذا سنفعل حينها، تكلموا؟

قالت روميتا: انتظر قليلا يا أبي، سنأخذ رأيها ثم نفكر فيما سنفعله إن بقيت مصرّة على المشاركة، سأذهب الآن لأعلم رأيها.

- لكن ألا تظنين أنها نائمة، دعينا نأخذ رأيها بعد أن تستيقظ يا رومي، سيكون أفضل.

لكن روميتا قامت وقالت: سأخذ رأيها فقط وأعود، انتظروني قليلا ريثما أرجع

بقراها.

خرجت روميتا وشعّ بصيص الأمل في عينيها، خصوصا أنها كانت خائفة من أن لا يسمع أبوها شايريدي رأيها. قالت في سرّها: لم يبق سوى أن أقنع إيستارا بعدم المشاركة في الألعاب، بهذا تنجو من ورطتها هذه.

طرقت روميتا الباب بأدب ففتحت لها إيستارا الباب وقالت: تفضلي يا خالة بالدخول.

- شكرا لك يا إيستارا، ومن الرائع أنك لم تنامي بعد، فقد خفت أن تنسي ما قلته لك وتنامي نوما عميقا وأضطر بعدها لإيقاظك.

- لكن يا خالة، لم قلت لي أن أنتظر حوالي ساعة حتى أنام، كذلك ما الأمر الذي أنت بصدد إخباري به، وعذرا إن كنت متسرة؟

- لست متسرة يا إيستارا، أما جواب السؤال الأول فقد طلبت أن تنتظري حوالي ساعة لأرى إن كنت سأتمكن من إقناع أبي برأيي، ومن الجيد أنه سمعه، فلو لم يسمعه مني لما أتيت إليك، ولما كان هناك أي شيء لأخبرك به.

تابعت: الآن أرجو أن تسمعيني جيدا يا ابنتي. إن تلك الألعاب ستقام، ونتيجتها جدّ خطيرة وبما أنك غريبة فلا أريد أن تتعرضي للخطر، وبصعوبة أقنعت أبي أن نعطيك فرصة الانسحاب من الألعاب ولو لم يحدث ذلك الحادث لك لما استطعت أن تنسحي، الآن أرجوك يا ابنتي قولي بأنك موافقة على الانسحاب، ولا تنسي أنك أُصبت قبل أيام قليلة، لذلك فلن تكوني قادرة كفاية على اللعب، هيا، أجيبيني يا ابنتي؟

قالت إيستارا: لدي سؤال يا أمّاه. ماذا هناك وراء هذه الألعاب، فهي مجرد ألعاب ليس إلا، وقد سألت الجد شايريدي عنها وفهمت أنها ألعاب جد عادية.

أمسكت روميتا بإيستارا من عضديها برفق وقالت: اسمعيني، نتيجتها جدّ خطيرة، وأنا

آسفة إذ لا أستطيع سوى أن أخبرك بهذا، أرجوك وافقي على الانسحاب، إنه خير لك، وفوق هذا، لو كان بيدنا كيف نلغي هذه الألعاب لألغيناها، أرجوك انسحي يا ابنتي.

قالت إيستارا: من الصعب جدا أن لا تستطيع الأم إنقاذ ابنتها، وكم هو جميل أن تحاول إنقاذ فتاة غريبة عوض إنقاذ ابنتها، أمّاه، أنت لا تستطيعين إنقاذ ابنتك، ولو لم تقولي لي في كلامك الأخير يا ابنتي، لكنت انسحبت، ساحيني يا أمّاه، سأشارك مهما كان الثمن، وأعدك بأنّي سأحاول الفوز بأي طريقة.

ضمت روميتا إيستارا إليها ولم تستطع أن تحبس الدموع التي غلبتها وقالت: ابنتي... لحظات ومسحت روميتا دموعها قائلة: إيستارا، هذه ليست مزحة، هل أنت مجنونة، قلت لك أن الألعاب خطيرة ولا تزالين متشبثة بقرارك، نفذي أمري، انسحي من الألعاب، دون أي كلمة.

ردت إيستارا: إن لم تكن مزحة، فأريد أن أعرف الكذبة، أما الجنون فلا تقلقي، هو من سيصاب بي ولست من ستصاب به!

كان الجميع ينتظر عودة روميتا، وعندما أطالت الغياب قام شايريدي ليذهب عندها، وما إن فتح الباب حتى رآها وقال: أخيرا عدت يا ابنتي، ما كان جوابها؟ قالت روميتا بحسرة: لقد وافقت يا أبي.

أخذ شايريدي نفسا عميقا جدا ثم قال: رائع، يا لهذا الخبر الرائع، وأخيرا يمكن أن أقول أنه لا دين لي الآن على إيستارا، لقد استرحت حقاً.

قالت روميتا: وافقت يا أبي على أن تبقى من المشاركين في الألعاب التي ستقام، هي لم توافق على الانسحاب أبداً.

تغيرت ملامح شايريدي في تلك اللحظة، اندهش، واتسعت عيناه قليلاً. قال: ماذا؟... أبت أن تنسحب حقاً؟



- أجل، حاولت إقناعها بكل الطرق، لكن دون جدوى، إنها مصرة على المشاركة ومحاولاتي لإقناعها بضرورة الانسحاب باءت كلها بالفشل.

شعر شايريدي بخيبة كبيرة، ولم يصدق الآخرون أن إيستارا لا تزال ترغب بالمشاركة وبدأ شايريدي يمشي يمينا ويسارا وهو يفرك في لحيته التي كاد ينتزعها من ذقنه، قائلاً: ماذا أفعل الآن؟ ماذا سأفعل؟ كنت أعلم أنها عنيدة، ماذا سأفعل؟

قال ريوساي: دعوها إذن تشارك ما دامت مصرة على المشاركة، ودعونا نتمنى أن تخسر، هذا كل شيء.

اتجه شايريدي نحو أخيه وعلامات الغضب تملأ وجهه، ثم جعل يضغط على ظهر أخيه بكل قوته، وهو يقول: ذلك الدّين أثقل علي من هذا يا أخي، هل فهمت؟ قالت روميتا: ماذا لو ألغينا الألعاب يا أبي، سيكون هذا حلاً جيداً، أليس كذلك؟ ما إن سمع شايريدي هذا الكلام حتى قال لروميتا: تعالي يا ابنتي، تعالي. تقدّمت روميتا نحو والدها بخطوات مرتبكة. لما أصبحت في مواجهته قال شايريدي: قلت نلغي الألعاب، أليس كذلك؟

- أجل يا... وقبل أن تكمل كلامها نظر إليها شايريدي نظرة قاسية وباردة، ثم دفعها بيده لتصطدم بالحائط وتسقط على الأرض.

أسرعت أختها سويريتا نحوها، وقالت بصوت خفيض: لحسن الحظ أنك لم تتأذي. قال شايريدي وهو في فورة الغضب: لحسن الحظ أنها لم تتأذى، إياك، إياك أن تعيدي هذا الكلام يا ابنتي الحبيبة، رجاء لا تعيديه.

تابع شايريدي قائلاً: والآن اخرجوا من هنا، ودعوني أفكر، فعدم إقامة الألعاب ليس حلاً، وإشراكها ليس عدلاً، لكنها ستشارك في الألعاب.

بقي شايريدي في الغرفة الرئيسية لوحده منذ الظهر واستيقظ الأطفال من القيلولة،

وهو لا يزال جالسا في تلك الغرفة لوحده.

كان الأطفال يمرحون كعادتهم، وقالت إيستارا لساديت: أتعلمين أن أمك طلبت مني الانسحاب من الألعاب؟

قالت ساديت: حقا ما تقولين يا إيستارا؟

- صدقيني، طلبت مني الانسحاب وقالت أن نتيجة الألعاب جد خطيرة، لكن لن يهدأ لي بال حتى أعرف السر الكامن وراء هذه الألعاب. ثم تابعت إيستارا قائلة: ساديت، أين ميراي، فلست أراها؟

- كنت رأيتهما مع الخالة ماوريسي قبل قليل، بعدها عادت إلى الغرفة، أتوقع أنها ذهبت للنوم من جديد. قالت إيستارا: سأذهب لأوقظها.

اتجهت إيستارا إلى الغرفة مباشرة وما إن فتحت الباب حتى رأت ميراي متدثرة بغطائها.

قالت إيستارا: خرجت ثم عدت للنوم، هيا بنا نخرج يا ميراي.

قالت ميراي: أريد النوم يا إيستارا، لا تكوني مزعجة. لكن إيستارا أبت إلا أن توقظها.

قامت ميراي، وقالت: يوما ما ستعرفين أنني ذكية، وستعترفين. احتارت إيستارا، لحظات وأحاطت رأس ميراي بيديها قائلة بحنان ورقة: حرارتك معتدلة ولم تسقطي على رأسك أو ما شابه، أتمنى أن لا تكوني قد فقدت عقلك! ثم عانقتها قائلة: دعينا نخرج يا صغيرتي... الجميع بانتظارنا.

كان الأطفال كلهم غارقون في اللعب، أما شايريدي فكان يتمشى في الأرجاء، فاتجهت ساديت وميراي وكايسو وإيستارا نحوه ليسألوه عن الشخص الذي يحاول قتله.

قالت ميراي: جدي، ألسن خائفا من عودة الشخص الشرير الذي حاول قتلك في

العام الماضي، وحاول مرة أخرى قبل أيام قليلة فقط؟  
نظر شايريدي إلى ميراي وقال: فكرت كثيرا كي أهتدي إلى هذا الشخص لكن دون جدوى، خوفي فقط أن لا أعرف من هو ولم يريد أن يقتلني.  
عاد شايريدي بذاكرته إلى الوراء، حينما كان جالسا مع أخيه ريوساي في المرج وسقط بقرب قدميه سهم كانت قد ربطت حوله مخطوطة صغيرة.

..... قبل عامين من الآن .....

قال شايريدي: ما هذا يا ريوساي، كأن أحدهم أرسل لنا رسالة؟  
قال ريوساي: افتح المخطوطة ودعنا نقرأ ما هو مكتوب بداخلها.  
فتح شايريدي المخطوطة تلك ليجد مكتوبا عليها:  
أولا: في لحظة تسعدك إني سأعذر بك.

ثانيا: أعاهدك، ما حييت، لا مخارج لك.

ثالثا: فقط مرة في العام أرمي، لأقتلك.

رابعا: إذا مت قبلك فالبديل سيقبلك.

قال ريوساي: رسالة تهديد يا أخي، لكن لمن يا ترى؟ هل هو قاتل مأجور وأخطأ في الشخص الذي وكلت إليه مهمة قتله؟

- لا أظن هذا يا ريوساي، لا بد أن هذا الشخص يقصدني، لكن لماذا يقصدني يا ترى؟ لا أذكر أي شخص يحقد علي.

- بما أن السهم انطلق من خلف الأشجار الخلفية لضيعتنا فلا أظن أنه قد ابتعد كثيرا، ولا بد أنه رآنا حتى رمى السهم في موضع قدميك، لذلك سأذهب مع الآخرين للفتيش بين الأشجار، وربما وجدنا هذا الشخص.

قام ريو ساي من مكانه وما إن استقام واقفا حتى أمسك شايريدي يده وقال: اجلس يا ريو ساي ولا تكن غبيا، لا بد أنه رحل، كل ما علينا فعله هو توخي الحذر، ومحاولة إيقاعه في الفخ في اليوم الذي ينفذ فيه قوله. رجع شايريدي بذاكرته إلى الحاضر.

قال كايسو: أتمنى أن يموت هذا الشخص الذي يحاول قتلك يا جدي.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: حتى أنا لا أريده أن يموت، فكيف تتمنى موته؟ تمنى لو أستطيع معرفته فقط، هذه محاولته الثانية، إذ في العام الماضي حاول وكاد يقتلني لولا أن الطائر ذاك مرّ في مستوى قلبي على بعد قليل فقط، وأصاب السهم ذلك الطائر المسكين ونجوت، وهذه السنة كاد يقتلني لولا أن السهم أصاب إيستارا، كل هذا يدل على أن هذا الشخص رام ماهر، وليس من الرماة الذين يخطئون أهدافهم، بل من الرماة الذين لا يوفقون في مبتغاهم، لكن على هذا النحو سيأتي اليوم الذي ينال فيه مبتغاه دون شك.

لحظات وقال في سره: حذرني أنه سيحاول الغدر بي في لحظة الفرح، وكان معه حق، وقد وعد بأنه سيرمي سهمي واحدا كل عام ولا زال معه حق، كأنه يلمح إلى أنه قاتل شريف، يا لهذا الأمر العجيب!؟

لحظات وقال: دعونا من هذه القصة يا أبنائي وأتموا اللعب.

## الفصل الواحد والعشرون: إقامة الألعاب

"نمت و أنا أقرأ كتابا مملا و رأيت في المنام أني لا زلت أقرأه فاستيقظت من الملل."

هاينرش هاينه

وأخيرا حل الصباح الذي كان ينتظره معظم الأطفال بفارغ الصبر، وهو صباح اليوم الذي ستشهد عشيتته فائزا ليذهب إلى جزيرة الضياء على حسب قول شايريدي، واليوم الذي لا تتمناه روميتا والنسوة الأخريات خصوصا بعد ما قالت روميتا لا بنتها ساديت. استيقظ الأطفال في ساعة مبكرة من الفجر، وبسرعة غسلوا وجوههم وتوجهوا لتناول فطور الصباح، لكن هذه المرة تناولوه مع الأمهات، فالرجال كانوا قد تناولوا الفطور مع الفجر وتوجهوا للناحية التي سيقيمون فيها الألعاب لإتمام التحضيرات الأخيرة وكانت في المدخل الثاني.

اتجه الجميع بعد إنهاء فطور الصباح إلى مكان إقامة الألعاب ليجدوا شايريدي والرجال الآخرين هناك في انتظار قدومهم. ما إن وصلوا حتى رأوا بساطا من الأعشاب الخضراء ممتدة طولا وعرضا، مفروشة على الأرض، واتجه كايسو نحو الأعشاب يجري وما إن كادت قدماه تلامس تلك الأعشاب حتى أمسكه شايريدي من يده وقال: انتظر، لم أعلن البدء بعد، إياك والتسرع إذن. طلب شايريدي من الأطفال أن يصطفوا على خط واحد وهو ما فعله الجميع بما فيهم إيستارا التي كانت متشوقة للمرحلة الثانية.

كانت ميراي على الجانب الأيمن لإيستارا، وساديت على الجانب الأيسر، وقالت إيستارا: يجب أن نمر إلى المرحلة الثانية مهما كلفنا الثمن، لذلك يا أختي، ابذلا قصارى جهدكما، بسم الله توكلنا على الله.

قال شايريدي: استعدوا، وعندما أقول انطلقوا، انطلقوا يا أبنائي، والفائزون سيذهبون للمرحلة الثانية.

لحظات وقال شايريدي انطلقوا، فانطلق الجميع بأقصى سرعة، لكن حدث ما لم تتوقعه النسوة ولا الأطفال، فاللعبة الأولى كانت تظهر أنها سباق والأوائل يتأهلون للمرحلة الثانية، لكن الذي يبقى هو الذي يتأهل للمرحلة الثانية، فالأرض تحت الأعشاب الخضراء كانت مملوءة بالحفر وكل صبي يسقط داخل الحفرة يُقصى.

ما إن بدأ الأطفال بالسقوط حتى ارتعب الأطفال الذين كانوا فوق العشب الأخضر ولم يسقطوا. في هذه اللحظات التفت شايريدي إلى روميتا والآخرين ثم قال: هكذا ديني يسدد والحظ فقط هو المسئول عن الفائزين، وإن فازت إيستارا فلا دخل لي، حظها فقط هو المسئول عما سيحدث لها إن فازت، تغيرت الألعاب والحقيقة أنها لم تتغير أبداً، ستفهمون، لا تستعجلوا واصبروا فقط.

أقصى الأطفال الذين سقطوا وعشرة فقط لم يسقطوا من بينهم إيستارا ورفيقتها وقد عبروا فوق العشب إلى الطرف الآخر ونجوا من السقوط، وكذلك الصبي كايسو، أما روميتا فالتفتت إلى النسوة الأخريات وقالت: أليس من العجيب أن من سقط حظه جميل، ومن لم يسقط فحظه سيء؟

فردت عليها ماوريسي: إن والدك يحيرني بدهاءه، من أين يأتي بهذه الأفكار، جعل الألعاب مختلفة عما كانت عليه من أجل إيستارا، لكن من توقع أنه سيجعلها ألعاباً احتمالية؟

وهنا سمعها شايريدي فقال: جعلتني إيستارا أغير الألعاب، لذلك هناك قليل من الذكاء، انتظروا فقط، لا يزال هناك الكثير. تابع: صحيح أنها احتمالية، لكن سيتخللها بعض الذكاء لأننا غيرنا نخط الألعاب وفي النهاية ستجدون أنها لم تتغير!

قال شايريدي: حسنا يا أطفال، دعونا نواصل فلا تزال الفرحة مبكرة، هيا استعدوا للعبة الثانية، ولا تفلقوا، لن تكون كسابقتها التي كانت تخطف الأنفاس عند السقوط داخل حفرة من الحفر.

طلب من أخيه ريوساي أن يعصب عيون الذين اجتازوا المرحلة الأولى وهذا لبدء اللعبة الثانية التي كانت سهلة.

صُمم طريق طوله حوالي عشرة أمتار وعرضه حوالي ثلاثة أمتار، وكانوا قد وضعوا قطعا خشبية مربعة الشكل في نهايته وتمّ تغليفها بقماش أسود، وطرفا الطريق مغلق بألواح خشبية لكي لا يجيد أي من الأطفال الفائزين عن الطريق.

أما اللعبة فهي كما يلي: ينادى على أحد الفائزين ثم تعصب عيونه ويترك ليسير في الطريق، ويتوقف حين يسمع اسمه، وهذا يعني أنه وصل إلى نهاية الطريق، كل ما يتبقى عليه فعله هو نزع العصاة وحمل قطعة خشبية من تلك القطع الموجودة في نهاية الطريق ذاك بمحض إرادته، وفعل الأطفال الذين فازوا كما تقول شروط اللعبة.

كانت كل الألواح مغلقة بقطعة قماشية سوداء، ولا ينزع القماش حتى يختار كل من تأهل لوحة من الألواح، وكان عدد القطع الخشبية أحد عشر قطعة، هذا لكي لا يكون الأخير مجبرا على أخذ اللوحة الأخيرة المتبقية ويختار بين لوحتين.

بعدها أمروا أن ينزعوا القماش عن القطع الخشبية، وهو ما فعله كل واحد على مرأى من الجميع الذين كانوا ينتظرون ما ستسفر عنه هذه اللعبة التي لا تعطي أي تلميحات عن فائز أو خاسر، وما إن نزع الأطفال القماش الأسود حتى وجدوا أن تلك الألواح الخشبية ملونة إما بلون أحمر أو أزرق أو أخضر، وكانت اللوحتان اللتان تحملهما كل من إيستارا وساديت ملونتان باللون الأحمر، أما ميراي وكايسو وآخران فكانت ألواحهم ملونة باللون الأزرق، والأربعة الباقون فكانت لوحاتهم ملونة باللون الأخضر، ولم يفهم الجميع ما

الهدف من هذه اللعبة التي ظن الكل أنها دون جدوى، سوى شايريدي الذي اقترحها، وكان يبدو أنه لم يطلع إخوته عن الهدف من هذه اللعبة، حتى قال: إذن، لدينا إيستارا وساديت في اللعبة الثالثة، لن تلعبا اللعبة الثانية، أما الآخرون فسوف يواصلون اللعبة الثانية.

استغرب الجميع كلام شايريدي وقال ريوساي: ما هذه اللعبة يا أخي، هل لأن إيستارا وساديت لهما نفس لون اللوحة تتأهلان ولأن عددهما هو الأقل؟ سامحي لكن هذا لا يقنعني.

ابتسم شايريدي قائلاً: عندما لا تفهم، اطلب الشرح ولا تفسر الأمور بنفسك وتعطي تأويلات خاطئة حسب نظرتك. لحظات وقال آريناي مخاطباً ريوساي: لا بد أنه وضع في ذهنه أن الفائز هو من تكون لوحته ملونة بالأحمر؟

- لا، ونظرتك الأخيرة تجعلني أظلم الآخرين إذا اخترت لونا أقرر به الفائز، حينئذ يصبح لي دخل في اللعبة، هذا يجعلني مخادعاً لأني قلت أن الألعاب احتمالية، ولا يتدخل فيها سوى الحظ، اصبروا.

اتجه شايريدي إلى إحدى الجهات وقال اتبعوني. نصب سبعة أبواب خشبية بجانب بعضها ثم علّم باباً باللون الأحمر، وثلاثة أبواب باللون الأزرق وثلاثة باللون الأخضر. قال كايسو مخاطباً ميراي:

أحمر - أزرق - أزرق - أزرق - أخضر - أخضر - أخضر - أخضر

تابع كايسو قائلاً: لكنني لم أفهم بعد ما الذي يريده جدي من خلال هذا.

قال شايريدي: اللعبة الثانية مقررة كما يلي: لدينا ثلاثة مجموعات، مجموعة اللون الأحمر ومجموعة اللون الأزرق ومجموعة اللون الأخضر، ولدي ثمانية أوراق مطوية، أربعة منها فيها أسماء الذين كانت لوحاتهم زرقاء، وأربعة لمن كانت لوحاتهم خضراء. سأسحب



عشوائيا ورقة من كل مجموعة وبعدها أقرأ الاسم، والشخص الذي وقع عليه الاختيار يبقى في مكانه، أما الآخرون من مجموعته فيدخل كل واحد منهم بابا عُلِّم بنفس لون لوحته. قال: لدي هنا أربعة أوراق مدونة فيها أسماء من تحصلوا على لوحات زرقاء، سأختار ورقة. اختار شايريدي ورقة وقام بفتحها وقرأ الاسم. كان الاسم المدون هو اسم ميراي. قال شايريدي: روميتا، اعصبي عيني ميراي والثلاثة الباقون الذين كانت لهم لوحات زرقاء فليدخل كل واحد منهم إلى باب قد عُلِّم بلون أزرق. فعل الأطفال ما قاله لهم شايريدي، ثم اختار من بين الأوراق الثلاثة الباقية اسما عشوائيا وكان الاسم هو كايسو.

نزع شايريدي العصا عن عيون ميراي وقال: افتحي بابا واحدا من الأبواب المعلّمة بالأزرق، إن كان كايسو خلفه تأهلت للمرحلة القادمة، إن لم تصيبي فانتظري حتى يكون لك دور ثان، هذا إن لم يُصَب أي أحد بعدك، وإذا كان لك دور ثانٍ وأخفقت مجددا فإنك ستُقصين مباشرة، ونفس الشيء بالنسبة للآخرين، فهمت؟ قالت ميراي: نعم فهمت يا جدي، واختارت ميراي بابا عُلِّم بالأزرق، وما إن فتحت حتى طارت من الفرحة وقالت: أصبت، لقد أصبتُ يا جدي. تجاهل شايريدي فرحة ميراي وقال: الثلاثة الباقون أقصوا من اللعبة تلقائيا، لأن ميراي أصابت من أول فرصة. قالت روميتا: فهمت الآن لماذا قال أبي أنه لدينا متاهلتان، هذا يعني أنه إذا كانت إيستارا أمام الباب ستكون ساديت فقط وراء الباب، وإذا كانت ساديت أمام الباب ستكون إيستارا هي الوحيدة خلفه، وبذلك تصيب كل واحدة منهما وتتأهل إلى المرحلة الثالثة، أما الآخرون فيضطرون للاختيار. لم يردّ شايريدي على قول ابنته، فالأمر صار بديها بعد أن اتضحت لهم قواعد اللعبة.

كان قد تبقى أربعة أطفال لهم لوحات خضراء، ولم يفلح أي منهم في التأهل، في

الدور الأول أخفقوا كلهم، وفي الدور الثاني كذلك أخفقوا كلهم، ولا أحد تمكن من فتح الباب المناسب.

بهذا تأهلت إيستارا وساديت وميراي للمرحلة الثالثة وقالت إيستارا في نفسها: سأكون الفائزة دون شك؟

أما اللعبة الثالثة فكانت كذلك لعبة عشوائية، وهي أن تختار كل واحدة الفتاة التي تريدها أن تفوز، ما عدا نفسها وأن تكتب اسم الفتاة التي اختارتها في ورقة وتطويها ثم تعطيتها لشايريدي.

اختارت ساديت أن تفوز إيستارا وكذلك ميراي، اختارت أن تفوز إيستارا، أما إيستارا فقالت في سرها: بما أن الفائز لن يرى إلا الشر فلن أخطر بأي من ساديت أو ميراي، إذا كان شايريدي وضع أن الفائز هو الشخص الذي يختاره اثنان فهذا يعني أنني إذا اخترت أي واحدة منهما قد أكون السبب في فوزها لذلك خيارى هو عدم الاختيار.

فتح شايريدي الأوراق الثلاث وتفاجأ عندما رأى أن إيستارا لم تقم بالاختيار. قال: يا لكائك يا إيستارا. إذن تأهلت إلى المرحلة الأخيرة من الألعاب، فقد اختارت كل من ساديت وميراي أن تكوني أنت الفائزة، هذا يعني أنك حتى ولو اخترت واحدة منهما، كنت ستعبرين إلى المرحلة الأخيرة، على أية حال، أنت ستختارين.

قال شايريدي: عليك أن تختاري منافسة لك في اللعبة الأخيرة، إما ساديت... وبدون تفكير قالت إيستارا: أختار ساديت، وهذا واضح لأنها كانت قد اتفقت مسبقاً مع ساديت على أنه إذا انحصرت المنافسة بينهما، فإن ساديت ستدع الفوز ليكون من نصيب إيستارا.

ما إن أتمت إيستارا قولها بأنها تختار ساديت حتى ابتسم شايريدي وقال: انتظري يا ابنتي فالاختيار ليس هكذا وليس بهذه السرعة.

كتب شايريدي اسم ساديت في ورقة صغيرة وكذلك اسم ميراي في ورقة أخرى صغيرة ثم قام بطي كل ورقة، و وضعهما على الأرض.

قال: الآن يمكنك الاختيار يا إيستارا، فاختاري واحدة، التي يكون اسمها مكتوبا في الورقة التي تختارينها ستكون منافستك، فكما قلت سابقا إن الألعاب ستكون ألعابا احتمالية في جزئها الأول.

حملت إيستارا ورقة من الاثنتين وقامت بفتحها، سرعان ما انتابها فرحة غامرة وسلمت الورقة لشايريدي.

قال شايريدي: حسنا، نكاد ننتهي من معرفة الفائز، انحصرت المنافسة بين إيستارا وميراي، ولم تبق سوى مرحلة واحدة سنكملها بعد تناول الغداء، فهذا سيكون مريحا. واتجهت النسوة مباشرة لتحضير طعام الغداء.

أكل الجميع على مضض، فالكمل كان ينتظر في اللعبة الأخيرة وما ستسفر عنه وكان أغلب الأطفال يريدون فوز إيستارا ولعل ميراي كذلك كانت تريد لإيستارا الفوز، أما ساديت فكانت تتمنى أن لا يكون هنالك أي فائز.

انتهى الغداء سريعا جدا وعاد الجميع إلى مكان إقامة الألعاب. عبروا المدخل الثاني واتجهوا إلى الجزء المخصص للأطفال والذي لا يدخلونه إلا إذا أقيمت الألعاب.

قال شايريدي: إيستارا، ميراي، هل أنتما مستعدتان لخوض غمار اللعبة الأخيرة؟

قالت ميراي: أجل يا جدي. أما إيستارا فبقيت صامتة.

- حسنا، اسمعاني جيدا. قبل كل شيء، هذه اللعبة فيها خدعتان، ثم جثى على الأرض و وضع راحة يده اليسرى على الكتف الأيمن لإيستارا وراحة يده اليمنى على الكتف الأيسر لميراي. قال: هناك خدعتان... وفي تلك اللحظة همت إيستارا بقول شيء قبل أن ينزل شايريدي يده عن كتفها ويضع سبابته على شفيتها قائلا: اصمتي يا ابنتي فلم

أكمل كلامي بعد.

تابع شايريدي كلامه: كما قلت، خدعتان، والطريق السهل خدعة، وهناك شيء يعتمد على الذكاء فاحذرا. ثم قال لإيستارا: ابنتي، ما الذي كنت تريدین قوله؟

ردت إيستارا بابتسامة تخفي في ثناياها حزنا دفيناً: لا شيء... لا شيء...

- حسناً، لا عليك يا ابنتي، أما اللعبة فتكون كالتالي. أشار إلى حبلين موضوعين على الأرض، كل حبل منهما متداخل مع بعضه تداخلاً شديداً لكنه ليس معقوداً، وكان لونهما أسود فاحم.

قال شايريدي: جلّ ما عليكما فعله يا ابنتي هو فك التداخل الذي هو في غاية التعقيد.

توسط شايريدي بين ميراي وإيستارا وأمسك بأيديهما وقال: تعاليا معي الآن. سار مسافة قصيرة حتى وصل إلى بئرين جافين وكانت في قاع كل واحد منهما نار متقدة، وقال: من تتمكن من فك التداخل في حبلها، يجب أن تأتي إلى هنا وتقوم بإلقاء طرف من طرفي الحبل في النار، بعدها تخرجه وتضعه على الأرض ومن يحترق حبلها أولاً... وقبل أن يكمل قالت إيستارا: فهمنا يا أبتاه، من يحترق حبلها أولاً تكون الفائزة، هيا بنا يا ميراي.

حملت إيستارا حبلًا من الحبلين وكذلك ميراي، وقبل أن تبدأ كل فتاة في محاولة فك التداخل. قالت ميراي مخاطبة إيستارا: أرجوك يا إيستارا، أعطني حبلك، فهذا الحبل جدّ متداخل. وسمعتها شايريدي فقال: إن كلاهما متداخل جداً، لكن إن أرادت إيستارا أن تعطيك حبلها فلا مانع عندي.

قالت إيستارا: تفضلي يا ميراي، وكانت إيستارا شبه متأكدة أن ميراي لن تستطيع فك التداخل الذي بين الحبلين، سواء الحبل الذي اختارته أولاً أو الحبل الذي كانت

تحمله في يديها قبل أن تعطيه لها، فميراي بلهاء قليلا رغم أنها يمكن أن تحدث المفاجآت أحيانا.

بدأت الاثنتان في محاولة فك التداخل وما هي إلا لحظات قليلة حتى أخطأت ميراي وشكلت في حبلها عقدة وأخذ جميع الأطفال يضحكون عليها إلا إيستارا التي قالت لها: حاولي أن تفكي العقدة التي شكلتها فلا يزال الوقت متاحا لك يا ميراي.

أما إيستارا فكانت تدخل طرفا تارة وتخرجه تارة أخرى حتى أزال التداخل، وصار الحبل حبلا عاديا دون تداخل ودون أية عقدة فيه، واتجهت مباشرة إلى أحد البترين ولم تتسارع نبضاتها وهي ترى نفسها على مقربة من الفوز.

أمسكت طرفا من الحبل بيدها وألقت بالطرف الآخر في البئر لكي تقوم بحرق الطرف ذاك وتخرج الحبل بعدها وتتركه يحترق على الأرض، لكنها تفاجأت بأن الحبل لا يصل إلى قاع البئر وحتى ألسنة النار لم تتمكن من إمساك الطرف ولسعه ولو قليلا.

احتارت إيستارا ماذا تفعل وأخذت تمد يدها أكثر وأكثر للأسفل لكن دون أية جدوى، وكان جليا أن الحبل لن يصل إلى النار التي تتأجج في قاع البئر.

نظرت إلى شايريدي قائلة: أبتاه، من المستحيل أن يصل هذا الحبل فإنه قصير جدا، وكان الكل قد ذهب بصره نحو شايريدي الذي كان يستظل تحت ظلال إحدى الأشجار بالقرب من موقع الألعاب، إلا ميراي التي كانت لا تزال تحاول أن تفك العقدة التي شكلتها في حبلها.

نظر شايريدي إلى إيستارا ورفع كلتا يديه قليلا وكفى بشفتيه على أنه لا يعلم شيئا، لم ينطق بكلمة، ونظر إلى الآخرين قائلا: لا تحاولوا أن تستفسروا، قلت كل ما لدي، وجميل منكم أن تبقوا صامتين، شاهدوا فقط.

بقيت إيستارا تحاول دون جدوى إلى أن تركت الحبل من يدها، جلست على الأرض،

ثم قالت: هل يعقل أنه كان يستهزئ بنا أم أن هذه خدعة من الخدعتان اللتان تكلم عنهما قبل أن نبدأ؟

في تلك اللحظات كانت ميراي قد فكت حبلها لكن تركت فيه عقدة وحيدة وكانت قد سمعت من إيستارا أن الحبل لا يصل إلى البئر فاتجهت نحو حبل إيستارا وحملته وأخذت تحاول ربط إحدى طرفيه مع طرف من طرفي حبلها.

كانت إيستارا غارقة في التفكير: ما الحل كي تحرق الحبل، فجأة أتتها فكرة، فقامت مسرعة لكنها رأت أن ميراي قد ربطت الحبلين ببعضهما، وتهمّ بإلقاء طرف من طرف حبلها في قاع البئر الذي تتوقد النار داخله، وألقت طرف حبلها لأنها تعلم أن الفائز هو من يحترق حبله أولاً وبذلك تفوز.

أسرعت إيستارا، وأخرجت الحبل قبل أن تتذوقه ألسنة النار. قالت لميراي: قال أن هناك خدعتان والخدعة الأولى هي التعاون، وبما أنك ربطت حبلينا فهذا يعني أننا تعاوننا، وبذلك نقع في الخدعة الأولى، فالحل السهل خدعة.

تابعت: والآن يا ميراي دعينا نكمل اللعب وأرجو أن تفهمي عمّا قريب أنك أختي، والأخت لا تحب لأخواتها إلا الخير، وإلا فإنها ليست أختنا أبداً.

فكت إيستارا الحبلين وأخذت حبلها وقالت لا بد أن الذكاء الذي تكلم عنه يكمن في الحبل، فجأة انتبهت إلى أنّ الحبل عبارة عن أكثر من حبلين قد تم ضمهم مع بعضهم البعض واللون الأسود هو ما منعها من ملاحظة أن الحبل مضافور.

بدأت إيستارا بفكه أما شايريدي فقد قام وهو يقول: أحسنت. ابتسم الجميع وهم مندهشون مما تفعله إيستارا.

فكت إيستارا الحبل لأربعة حبال وبدأت بعقد أطراف الحبال الأربعة حتى صار حبالاً واحداً طويلاً كفاية ليصل إلى ألسنة النار أما ميراي فكانت العقدة التي تركتها عائقا في

فكّ الحبل المضفور وأخذت تحاول أن تفك العقدة التي شكلتها، في الوقت الذي كانت إيستارا قد أحرقت طرف الحبل وأخرجته تاركة إياه على الأرض يحترق.

لم تمض إلا لحظات حتى احترق الحبل تماما واتجه الأطفال كلهم نحو إيستارا يعانقونها ويهنئونها بفوزها، كذلك ميراي فقد تركت حبلها، واتجهت نحو إيستارا تهنئها، أما إيستارا فكان بالها مشغولا بالخدعة الثانية التي تكلم عنها شايريدي.

اتجه شايريدي نحو الأطفال وقال: حسنا يا أبنائي، والآن أعلن الفائزة، وقبل أن يعلن شايريدي اسم الفائزة قالت إيستارا: عذرا يا أبتاه، لكن ما هي الخدعة الثانية التي كلمتنا عنها، أظن أنه لا توجد إلا خدعة واحدة لا غير أم أنا مخطئة؟

أجاب شايريدي: الخدعة الثانية هي التعاون يا ابنتي، قريبا ستفهمين كل شيء. قال بعدها: أما الآن، فالفائزة في الألعاب لهذه السنة والتي ستذهب إلى جزيرة الضياء... فهي ميراي.

كذب الجميع ما سمعته آذانهم... ليؤكد شايريدي ثانية بقوله: نعم، الفائزة لهذه السنة هي ميراي!

هنا ذهبت سويريتا وانهمرت دموعها، وكذلك زوجها كايفيري، وكان جليا أن سويريتا ذهبت إلى الغرفة لتبكي وكايفيري لمواساتها.

صُدم الجميع، ذهلوا وكذبوا آذانهم، والتفت كل شخص إلى الآخر يسأله هل صحيح أن شايريدي قال أن ميراي هي الفائزة هذه السنة.

نظر شايريدي إليهم قائلا: أجل... أجل، لا تحتاروا، فميراي هي الفائزة.

قالت إيستارا بنبرة صوت حادة وناقمة على شايريدي: ما هذا، أنت تغشّ، قلت أن من يحترق حبلها أولا هي الفائزة، ثم تقول أن ميراي هي الفائزة، وهي لم يحترق حبلها بتاتا، حتى أن ألسنة النار لم تداعب حبلها، وبأن عدم الرضى على قرار الجد شايريدي

من الجميع وحتى من ميراي نفسها.

قال شايريدي: أولاً أنت يا إستارا من قلت: فهمنا، الفائزة من يحترق حبلها أولاً، ولست أنا القائل.

قبل أن يكمل قالت إستارا وهي في أوجّ الغضب: لا تحاول التلاعب بالكلمات، فحتى ولو لم أقل أنا ذلك الكلام، كنت ستقوله، لذلك لا تحاول التذاكي علي، أنا الفائزة وليست ميراي، وعليك الاعتراف بهذا حالا بدل هذه المهزلة التي تقوم بها. اندهش الجميع من ردة فعل إستارا، وكيف لا، وهم يرون الجمال المتجسد في محياها البديع غير راضٍ.

قال شايريدي: جعلتك تصمتين في المرة الأولى ووضعت سبائتي على شفتيك لتصمتي، وفي الثانية تسرعت ولم يكن بمقدوري جعلك تصمتين. تابع: على أية حال، كنت قلت لك دعيني أكمل كلامي في المرة الأولى، لكنك لا تتعلمين، فماذا أفعل لك؟

كانت نيماسول الصغيرة غير راضية البتّة، وبقيت تستميت ليغيّر شايريدي قراره، وقالت بنبرة صوت حادة: لنفترض إذن أنك لم تكن تريد قول من يحترق حبلها أولاً ستفوز، ماذا كنت ستقول إذن؟... أخبرنا دون تردد أو تفكير حتى نرى إن كنت صادقاً. قال شايريدي بهدوء تام: ببساطة كنت سأقول أن من يحترق حبلها أولاً، ثمّ أفسح لك المجال لتكملي الجملة، لأنك متسرعة دائماً، وتلك الخدعة الأولى وقعت فيها، والتعاون كان الخدعة الثانية وحسبته الخدعة الأولى، ولعل الجميع فكر أن التعاون هو الخدعة الأولى. الآن، ما رأيك؟ ألسنت مبدعا يا ابنتي؟

نظر شايريدي إلى الجميع وقال: حتى لا تقولوا أنني مخطئ، كنت سأختار الخاسر ليكون فائزاً، لأني جعلت الألعاب تعتمد على الحظ، ونحن نعلم أن الحظ يجعل أناساً



تستحق الخسارة تفوز، وأنا سأستحق الفوز تخسر، وهذا ما دفعني لاختيار الخاسر.  
اندهش الجميع لطريقة تفكير شايريدي وقالت روميتا: لكن يا أبي، لماذا جعلت  
المرحلة الأخيرة تعتمد على الذكاء وجعلت فيها خدعتين؟  
ظن الجميع أن روميتا أوقعت أباه في الفخ أخيراً، وقال ريوساي: أجل يا أخي، لماذا  
جعلت اللعبة الأخيرة لعبة ذكاء إذن؟

ابتسم شايريدي ثم قال: غيّرت طبيعة الألعاب، كيف لا أضع فيها عنصر الذكاء  
والتمويه، هل فقدتم عقولكم يا ترى؟ غيرت الألعاب لذلك وجب أن أدخل الذكاء، ولو  
لاحظتم، فالألعاب لم تتغير.

قال: كنا نختار الفائز، تغيرت طبيعة الألعاب، فمن البديهي أن نأخذ الخاسر!. في  
الألعاب القطعية نختار الفائز، وفي الألعاب الاحتمالية نختار الخاسر، هذه هي العدالة!  
لحظات وأسرعت إيستارا بالذهاب إلى غرفة النوم. لم تكن غاضبة لأنها لم تُفَز، بل  
لأن ميراي قد وقعت في ورطة كبيرة، قياساً على كلام روميتا حول الألعاب، وما أخبرتها  
به ماوريسي عند أول لقاء، وما أخبرها به الشاب الذي يأتي لشراء الصوف، وردّة فعل  
والدي ميراي عند إعلان شايريدي اسم الفائزة.

تسارعت نبضات قلبها، وأصبحت تنفّس بوتيرة مضطربة. قالت وهي تضغط على  
رأسها: مخادع... مخادع... يالني من غبية... استطاع أن يوقع بي في فخّه... كيف لم  
أنتبه... والآن، ماذا سأفعل لأنقذ ميراي... يالني من حمقاء... يجب إنقاذ ميراي بأي  
ثمن... حتى لو كلفني ذلك إيقاف القصة!!

فجأة تردّد صوت خافت حولها: كم مرّة عليّ أن أقول لك اهدئي، لا تنفكي  
تحاولين بكل الطرق القفز من عالم الرواية إلى هذا العالم، لازلت هنا!!  
قالت إيستارا بابتسامة: صدّقني، سأقتلك يا لونغفيرو لو حدث شيء لميراي، وتذكر

كلامي هذا جيداً!

- لن تفعلني أي شيء!!

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. بالله من يرضى أن يقطّب القمر حاجبه.

آسف، أنا آسف!

قالت إيتارا بهمسات خافتة: حسناً، قبلت اعتذارك، والآن اعقد خنصرك بخنصري  
وعدي أن لا شيء سيحدث لميراي... خنصر يدك اليمنى وليس يدك اليسرى أيها  
الأعسر، نحن في مرحلة صعبة، ولن تخدعني حتى بعفويتك!!

فجأة دخلت ساديت وقالت بنبرة متوترة: إيتارا، ماذا سنفعل الآن؟!

انهارت إيتارا وقالت: ساديت، أفسدت كل شيء لتوك!

قالت ساديت باستغراب: ماذا... ماذا فعلت، انحصرت المنافسة بينك وبين ميراي،

كيف أفسد كل شيء؟

لتسرع إيتارا بالقول: اعذريني يا أختي... تشوشت أفكارني في ظلّ ما فعله

جدك... ثم تمتمت: مشاكس، نجوت هذه المرة!!

## الفصل الثاني والعشرون: فرحة ميراي

" لن توجد السعادة أبدا ما دامت الأشياء التي نؤمن بها تختلف عن الأشياء التي نقوم بها. "

ألبير كامو

سادت الفرحة قلب ميراي وتمنى كل الأطفال لو كانوا مكانها، إلا إيستارا وساديت اللتان كانت ضلوعهما تتفتت لأنهما تعلمان أن ما سيحصل لميراي هو شيء سيء، ولم تمضِ إلا ثوانٍ قليلة حتى حُملت ميراي فوق سرير حريري مطرز بخيوط جميلة تبهج العين، وحُمل السرير فوق أكتاف أربعة رجال وصارت ميراي كأنها أميرة محمولة على عرشها وكل العيون موجهة صوبها، وكان ذلك السرير مملوءا ببراعم الأزهار والورود. بدأت ميراي تلقي بتلك البراعم فوق رؤوس الأطفال وهي تقول: شكرا... شكرا...

كان والدا ميراي قد عادا بأمر من شايريدي، وهما يحاولان كبح سيل الدموع، ولم تنفع مواساة النسوة اللاتي كنّ يشددن على سويريتا، لم تطر من شفيتها أية ابتسامة مصطنعة، وهي تسمع ميراي تقول: جدي، جدتي، أمي، أبي، إخوتي... صرت أميرة، سآتي دائما لزيارتكم. كانت العيون والشفاه تترجم ألما عميقا في القلوب.

أخذت ميراي إلى غرفة الفائز، والتي كانت مشيدة بطريقة فخمة جدا. لحظات ليصل موكب ميراي إلى تلك الغرفة، وتقدم شايريدي وأخرج مفتاحا نحاسيا غريبا من أحد جيوبه ثم قام بفتح الباب.

ما إن رأت ميراي الغرفة من الداخل حتى بدأت تقول بصوت عالٍ: ما أجملها... يا لروعتها، ما هذا النعيم الذي سأعيشه في هذه الأيام الثلاث؟

قال شايريدي: لم تري بعد النعيم الذي ستعيشينه يا ابنتي في جزيرة الضياء، ستسعين هذا النعيم تماما.

كانت تلك الغرفة شديدة الاتساع، وجدرانها كانت مزخرفة بزخرفات جميلة وأسرة حريرية، أما خارجا فقد أمر شايريدي جينيوسي بحراسة ميراي، وبدأت الأطعمة الشهية واللذيذة تأتي لميراي من كل الألوان والأذواق التي ما إن تبتلع لقمة واحدة من تلك المأكولات الشهية حتى تحس بالشبع التام، وكانت ميراي تعيش لحظات مليئة بالسعادة، وأي سعادة تعادل سعادة أن يكون للإنسان ما يرغب به دون أن يبوح به!

هذا بالنسبة لميراي، أما إيستارا وساديت فكانتا تفكران في طريقة لإنقاذ ميراي من ورطتها التي تعتقد أنها نعمة. كانتا جالستان لوحدهما في الغرفة، تفكران في حل يمكن أن ينجي ميراي، وقالت ساديت لإيستارا: لدي اقتراح لكن لا أعلم إن كان مجديا أم لا.

- تكلمي، فنحن لسنا في وقت يسمح لنا أن نفكر في اقتراحاتنا قبل أن نبوح بها، هات ما عندك فالوقت قصير جدا والأيام الثلاثة ستنتقضي قريبا، ولا أريد أن يحدث أي مكروه لميراي، لذلك تكلمي؟

قالت ساديت: ما رأيك يا إيستارا أن تجعلي البير يهجم على حراس تلك الغرفة ليلا وبعدها نتسلل إلى الداخل ونخرج ميراي ونهرب من هنا بأقصى سرعة دون رجعة، أرى أن هذا حل سديد.

قال إيستارا: البير، البير يهاجم، البير يقتل، أليست لديك أية أفكار أخرى بعيدا عن القتل والدماء؟

قالت ساديت: لا توجد أية مشكلة في هذا الحل لأنهم أشرار!؟

- لا، هذا حل غبي فقد رأيت والدك يصعد لسطح الغرفة الفاخرة، ولا بد أنه يراقب الآن كل النواحي، وبذلك إن جعلنا البير يهجم على جينيوسي سينادي الرجال الآخرين، ومن ثم فأمر مؤكد أن الآخرين سيحضرون كل أسلحة لديهم لقتل البير وربما قتلي وهذا يقضي على فرصة التسلل لتلك الغرفة، أضيفي إلى هذا أن والدك وكايفيري وجينيوسي

طيون جدا وأنا متأكدة من أن الأمور خارجة عن إرادتهم. أخذت إستانرا نفسا عميقا وقالت: يجب التفكير بخطة تكون سديدة حتى تتمكن من إنقاذ ميراي.

قالت ساديت: لا أرى أي مشكلة في جعل البر يهجم عليهم دفعة واحدة، فهو ذو سرعة هائلة، رشيق جدا، ويطيعك، المشكلة الوحيدة هي أن طهارة روحك وجمال قلبك، جعلنا منك فتاة ترى كل شيء جميلا.

قالت إستانرا: طهارة روحي، وجمال قلبي، جعلاني أبذل جهدي لمسح الغبار عن كل جمال، لست طيبة أبدا مع الأشرار يا أختي، يمكنني أن أكون قاسية... ثم أشارت بأصابعها نحو ساديت وكأنها ستثب عليها. قالت: أنا الوحش... هممم...

قالت ساديت بجدّة: متى ستفهمين بأنّ هناك أشخاصا سيئين يعيشون بيننا، إلى متى تبقين تحسنين الظن بالأشرار، ماذا تحاولين أن تثبتي من خلال هذه الطيبة المفرطة والإحسان اللامتناهي... أنا أقول لك، مجرد نعجة حمقاء وغبية وسط قطع من الذئاب. انتابت إستانرا نوبة من الضحك، ثمّ قالت: ماذا سأفعل يا أختي، تيارات حي كلها مستمرة!

تابعت: صحيح أن أفكاري ومشاعري تسير وفق طريق إيجابي إلى مالا نهاية، مهووسة بحب الخير المستمر لجميع البشر، لكن صديقي، طيبي المفرطة شمس تنير حياة الأشخاص الطيبين الذين يقعون بسهولة في الأخطاء، وفي نفس الوقت هي شمس تحرق العيون العمياء للأشخاص السيئين، لديّ ثقة مطلقة بأن الله تعالى يحفظني ويحرسني... هي أكثر من طيبة مفرطة، إنها براءة يا ساديت، براءة، الله تعالى وحده يعلم أسرارها، البراءة بحر ترسو فيه زوارق الطيبين إلى شاطئ الخير، لكنها كذلك بحر يغرق سفن الآثمين.

قالت ساديت: مشاعرك البيضاء هذه ممّ مصنوعة!

ابتسمت إستانرا وقالت: منذ الصغر وأنا أشرب حليباً أيضاً لا تشوبه شائبة، حتى

أني لا أضيف له قطرة قهوة واحدة، وأملأه بالعسل بدل السكر!  
قالت ساديت: يا لك من مجنونة!. تابعت: لكن حتى ولو تمكنا من إخراج ميراي،  
كيف سنذهب بعدها، أو بالأحرى كيف نهرب وإلى أين سنهرب؟  
ابتسمت إيستارا في وجه ساديت وقالت: ببساطة أنا لا أعلم؟ لكن يجب أن نخرج  
ميراي أولا من ذلك السجن الذي بداخله النعيم.

- لا، لا أوافقك الرأي أبدا يا إيستارا، يجب أن نبني خطة محكمة وكاملة، لا أن نضع  
خطة ناقصة ونفشل بعدها في مسعانا الذي نريد الوصول إليه.  
قالت إيستارا: ماذا سنفعل؟ كل النواحي أماننا مغلقة، هل نكمل مسيرنا في هذه  
الحياة ونترك ميراي لتواجه مصيرا معقدا. تابعت: هذا المجنون جعلني في ورطة حقيقية،  
دعيه هو يحل هذه المشكلة!

قالت ساديت: من هذا المجنون؟

- المجنون الذي رمى السهم وبذلك غيّر جدك الألعاب وصارت ألعاب حظ، لولا  
تدخله لكانت جرت الألعاب عادية وفوزي يكون محتما، لقد خرب الخطة بأكملها. ثم  
نظرت إلى ساديت قائلة: هل عرفتم أي شيء عن الشخص الذي أطلق السهم؟  
- لم نعرف شيئا، كيف سنعرف خاصة أنه أطلق السهم من خلف الأشجار دون  
يترك دليلا واحدا؟

- لو لم تتعب يدا جدنا لكان رامي سهام عبقرى، ولكنّا أقمنا جنازة الجد شايريدي،  
لكن نجاته أفضل، أتمنى أن يصحح أخطائه قبل موته، أما نحن فلا شيء لنفعله، وكما  
قلت لك، دعي ميراي تواجه مصيرها.

- إيستارا، لا تقولي هذا، فمصيرها كان ليكون مصيرنا، وربما سنواجه مصيرها هذا  
يوما ما إن لم نقم بوضع حد لهذا المصير السيئ، ووضع حد هو الصواب، أليس كذلك؟

قالت إيستارا: أجل، لكن ما باليد حيلة، ولم تراودنا أية فكرة سديدة.

نظرت إيستارا من خلال النافذة إلى الشمس الغاربة وقالت: انظري إلى الشمس، إنها تكاد تغرب دون أن نصل إلى شيء يساعد في يساعد في إنقاذ أختنا.

- هناك قول كانت تقوله أُمِّي وهو: اصبري قليلا ولا تستسلمي، تراجعِي قليلا ولا تنسحي، إذن يجب أن نصبر قليلا، ومن الممكن أن تأتينا فكرة لامعة بحلول الليل.

حل الليل وتناول الجميع عشاءهم وقالت إيستارا لساديت: مِراي في عيشة هنيئة ما فيها بأس ولا بليّة، لكن قد تكون وصية لشيء بدون سحبة وقد تصير للشرور هدية.

- ليس وقت قوافيك، فكري في حلّ، فردت إيستارا: إنها الفطرة، ماذا سأفعل؟

ساديت ذكية، قربي تكون غبية، فأقول لها يا أختي الوفية، لديك إيستارا، الفتاة الجنية التي ترسم ابتساماتك المخفية!. أما الآن فهيا نتجه إلى غرفتنا لنفكر في حل ينقذ أختنا من المأزق الذي نحن فيه.

دخل الجميع إلى غرفهم للنوم واتجهت ساديت وإيستارا إلى غرفتهما التي تغيرت أجواء لياليها، فمِراي التي كانت تنام معهما قد صارت في تلك الغرفة الفاخرة، تنام لوحدها دون دفء الشعور، وربما دون الشعور بالسرور وألوان الحبور.

استلقت كل من إيستارا وساديت على فراشيهما وقالت ساديت بصوت خافت: إيستارا، إيستارا، وجدت فكرة رائعة ومتأكدة أنها ستعجبك كثيرا.

قفزت إيستارا نحو ساديت وقالت: أطلعيني عليها لأنظر إن كانت ستعجبني أم أرفضها كما رفضت اقتراحك الأول الذي كان اقتراحا غبيا، ولنقل أنه كان دون تمحيص وتمعن في نتائجه.

قالت ساديت: آسفة، لكنني نسيته، تكلمت كثيرا لدرجة جعلتني أنسى، لماذا قفزت من مكانك إلى هنا؟

- هيا تذكرني، قلت أن لديك اقتراحا ثانيا لإنقاذ ميراي، قولي رجاء أنك تذكرت.  
- حسنا تذكرت، والآن اسمعيني جيدا. الغرفة محروسة من كل الجوانب، وكذلك من الأعلى، ولا يمكن الاقتراب من الباب، سيكون هذا أشبه بأمر مستحيل، إذن اقتراحي أن نحاول إنقاذها بعد انقضاء الأيام الثلاثة، لذلك يجب أن نعلم إلى أين ستذهب بعد انقضاء الأيام الثلاثة، ما رأيك؟

أمسكت إيستارا بوجنتي ساديت قائلة: اخلدي للنوم يا صغيرتي، وإذا لم تستطعي النوم فلا تنطقي بكلمة، حتى ولو راودك اقتراح ورأيت أنه شديد فابقي صامتة.  
ردت ساديت بنبرة صوت ناعسة: أظن أنني سأنام، تعبت من التفكير في حلول جديدة دون جدوى، تصبحين على خير.

نامت ساديت وبقيت إيستارا شاردة الذهن تفكر في طريقة لإنقاذ ميراي، والشيء الذي زاد من إصرارها على الوصول لحل هو سماعها لساديت وهي تقول في نومها: لا يا ميراي، لا تصنعها هكذا، انتظري سأعلمك ولن يضحك عليك أحد بعدها...  
في تلك اللحظات ألفت الدموع تحية على عيون إيستارا وبدأت تسيل لتروي وجنتيها الناعمتين، لكنها سرعان ما مسحت دموعها.

قالت: لا بد أن أجد حلا، لا أن أبكي، إنقاذ ميراي سيكون بمثابة تحقيق أسمى أمنية لدي في الواقع الذي أحياه، أُمي رحمها الله أنقذت البر الأبيض، ماما روميتا وماما ماوريسي أنقذتاني، لذلك لن أخذل ثقة أحد بإذن الله تعالى.

بقيت طوال الليل وهي تفكر وتفكر ولم تترك فراشات النعاس لكي تداعب جفونها لو للحظة وظلت تفكر وتضع في الفرضيات والنتائج حتى قامت وتمطّت وسمعت صوتا لعظامها وهي تقول بصوت ناعم: سبحانك يا الله... ما أجمل هذا الإحساس الرائع، أشعر كأني أولد من جديد...يااه.



كانت ساديت تغطّ في نوم عميق جدا وبخطوات صغيرة هادئة اتجهت إىستارا نحوها وبدأت تهزّ في كتفها ببطء شديد كي لا تسبب الخوف لهذه الأخيرة فتصرخ في جنح تلك الليلة وأخذت تقول: ساديت استيقظي، هيا استيقظي يا كسولة.

قالت ساديت: اخلدي يا إىستارا إلى النوم ولا تكوني مزعجة، ثم تقلبت على جنبها الآخر وبدأت تأخذ في أنفاس عميقة نسبيا وهي تستشعر متعة النوم. لكن إىستارا بقيت تحركها يمينا وشمالا حتى أفقدتها متعة النوم.

أخذت ساديت تحكّ في عيونها وهي تقول: ماذا يا إىستارا؟ هل هاجمك الشبح؟  
- لا تعلمين شيئا غير البير الأبيض والسؤال، هلا أفقت رجاء أم علي أن أصبّ دلو ماء بارد فوقك حتى تستفيقي وتسمعي الكلام الذي سأقوله لك؟  
- حسنا، لا داعي لذلك، أنا كلي آذان صاغية، فقط قولي عسى أن يستطيع كلامك هذا أن ينقذ ميراي المسكينة.

- جيد، بما أنك تذكرت، فيمكنني البدء بما ستفعلينه صباح الغد إن شاء الله. قالت إىستارا: لا شك أنك تذكرين الشاب ذو البنية القوية الذي قلت لي أنه يأتي كل ثلاثة أيام، لكي يأخذ بعض الصوف والزاد من هنا دون أن يتلفظ ولو بكلمة واحدة.  
- أجل، كيف لا أتذكره وهو يأتي إلى هنا منذ سنين ليأخذ الصوف وخيوط النسيج وبعض الزاد، لكننا نريد إنقاذ ميراي، فما شأنه هو في هذه القصة؟

- شأنه شأن كبير في هذه القصة، وأظن أنه يستطيع مساعدتنا يا ساديت وليس لنا حل سوى أن يكون حلقة رئيسية في مصيبتنا.  
- لكن كيف يكون هذا، لم أفهم ما تريدني قوله، وهو لا يتكلم أية كلمة، فكيف يكون إذن حلقة رئيسية؟

- حسنا سأوضح لك. لا شك أنك تذكرين أنه في إحدى المرات التي أتى فيها كنت

أنا من أخذت الكيس له.

قالت ساديت: أجل، إنني أتذكر، إنه نفس اليوم الذي تعارفنا فيه.

- تماما. الآن ركزي جيدا فيما أقوله. عندما أعطيته الكيس في ذلك اليوم قال لي:

احذري من الألعاب دون أن تقلقي. قالت ساديت: في أي شيء تفيدنا جملته، وأظن أنه قد انتهى كل شيء ولا حل لإنقاذ ميراي.

- اصبري يا ساديت، لم ينته أي شيء، لكن قد بدأ كل شيء، فاسمعيني ولا

تقاطعيني رجاء لأن لديك عملا صعبا عليك القيام به هذا اليوم.

- قولي، وأعدك أنني سأسمع كلامك هذه المرة دون أن أقاطعك ولو لمرة واحدة.

قالت إيستارا: الكل يعلم أنه سيأتي اليوم، إذن احرصى على أن يكون الأطفال كلهم

حاضرون عند قدومه، هذا أولا، وثانيا احرصى وبأية طريقة على أن تكونين أنت من يقدم له الكيس، وعندما يسألك عني فقولي له لقد فازت في الألعاب.

قالت ساديت: ساحيني يا إيستارا لكن لم أفهم، فيما سيفيدنا هذا كله، خاصة أننا

سنكذب والكذب تصرف سيء ومُشين.

- أعلم، لكن في هذه الحالة قد ننقذ نفسا بريئة، ولا شك أن الكذب لتحصيل أمور

خيرة لا بأس به، ولا يعقل أن أذهب إليه وأقول: سيدي، أختنا فازت في الألعاب،

أرجوك أنقذها!. هو لن يتدخل إذا فاز طفل من أطفال الضيعة، وبما أنه حذرنى من

الألعاب، فهو يعرف كل شيء، لكنه لا يتدخل، لكن هناك دافع سيجعله يتدخل في

حالتي، ألا وهو أنني غريبة عنكم.

أريد الابتعاد قدر المستطاع عن الكذب حتى وإن كان لأمر طيب، لكن في هذه

الحالة يجب الإقدام عليه. أما عن حضور جميع الأطفال، فهذا سيجعله غير قادر على

تمييز ميراي إن كانت غائبة أم لا، وأما غيابي فسيكون جليا له لأني غريبة عنكم، وتذكرني

أنه في المرة السابقة حدّق بي كثيراً، لذلك سأكون غائبة حتى يلاحظ غيابي ويستنتج أنني فزت وتؤكد لي فوزي، نحن لن نخدع ولن نكذب، سننقذ حياة أختنا البريئة.

- حسنا فهمت، لكن ماذا لو لم تجرِ الأمور كما نريد لها أن تجري؟ تخيلي لو أن جدي شايريدي أصرّ على حضورك، أو أن الشاب ذاك لن يأتي، ألن تكون خطة فاشلة؟  
- لن تكون خطة فاشلة، لكنها ستكون خطة لم يقدر لها الاكتمال، ونكون قد فعلنا ما بوسعنا فعله، وتأكدي أنّ الله تعالى لن يخذلنا.

- لا يزال يراودني سؤال يا إيستارا وهو ما نفع هذا الذي سنقوم به، وإن جرت الخطة كما نتمنى فكيف ننقذ ميراي حينها، ثم انتبهت وقالت: مهلا، مهلا، حينها، الشاب ذاك سيريد إنقاذك وهذا يعني أنه أنقذ ميراي، سيأخذ ميراي معه لأنه لو أبقاها هنا فهذا يعني أن الأمر السيئ سيحدث دون شك.

قالت إيستارا: تماماً، والشاب سيأخذ ميراي معه.

- إذن، سننقذها لكنها ستعيش بعيدة عنا، ونحن بعيدون عنها، هذا ما تعنيه. ثم أردفت تقول: صحيح أني أريد إنقاذها، لكن لا أريد أن تكون هناك مسافات بيننا.  
قالت إيستارا: تمهلي قليلاً، من قال أنها ستعيش بعيدة عنا؟ ستعيش معنا، لكن أنا وأنت فقط في الوقت الراهن، ريثما يعود جدك شايريدي إلى رشده ويلغي هذه الألعاب أو يتدخل شخص ما ويلغيها.

قالت ساديت: سنعيش ثلاثتنا معاً، لكن كيف يكون هذا، فالشاب لن ينقذ إلا فتاة واحدة، لم أفهم ما ترمين إليه؟

- صحيح، هو سينقذ فتاة واحدة، لكنه سيأخذ ثلاثة، هذا كل ما في الأمر.

- أفكارك وكلماتك مبهمة، كيف يكون إنقاذه لفتاة هو أخذه لثلاثة؟

- أظن أنك نسيت بهري الأبيض الجميل والوديع، سيكون بطل المرحلة الثانية من

هذه الخطة، لأنني سأرسله ليتبع الشاب، بعدها يعود ويرشدنا إلى أين ذهب هذا الأخير. تابعت: هذه الخطة كاملة رسمتها، لم يتبق سوى أن نتمنى سيرها كما أردنا دون خطأ واحد، وقالت: صحيح أن جدك جعل الألعاب احتمالية ومزج فيها عنصر الذكاء والخداع، لكن سيرى، سننقذ ميراي بإذن الله، هزمناه مرة عندما جعلناه يجس نفسه وأهله، لذلك لن تصعب علينا هزيمته مجددا.

- من أين تأتين بكل هذه الأفكار يا عبقرية؟

أجابت إيستارا: دعك من هذا الآن، ولا تنسي ما قلته لك وحاولي تنفيذ الخطة بحذافيرها فأنت ساديت، الشعاع الذي سيهزم الضياء الكاذب الذي تعيشه أختنا ميراي. فجأة شعرت ساديت بالحماسة وقالت: أجل، فأنا ساديت... البطلة التي ستكسر النباريس وتطفئ قصة لونفيرو المظلمة!

مباشرة ضربت إيستارا على جبينها وقالت: أيتها الذكية، أطفئي النار الشريرة التي تلتهم أرواح جدك وإخوته، حتى تشرق قصة لونفيرو. تابعت: والآن هيا انزعي ثوب الكسل عنك، فقد حان الآن وقت الصلاة.

### الفصل الثالث والعشرون: ارتباك ساديت

" ثلاث أفزعني و أضحككني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، و غافل و ليس يُغفل عنه، و ضاحك

ملء فيه و لا يدري أساخط ربّه. "

سلمان الفارسي رحمته الله

في الصباح استيقظ الجميع كالعادة، واستيقظ الأطفال كذلك، أما إيستارا فلم تخرج و بقيت في الغرفة بعدما أوصت ساديت بالخطة التي يجب تنفيذها.

كان الأطفال يلعبون في الساحة الواسعة تلك على مرأى من شايريدي الذي لاحظ عدم وجود إيستارا معهم تلعب، فنادى ساديت التي لبّت نداءه مباشرة واتجهت نحوه قائلة: ها أنا ذا يا جدي، ما الأمر؟

قال شايريدي: لا أرى إيستارا تلعب معكم، أين هي يا ترى؟

- تركتها نائمة في الغرفة وحاولت إيقاظها مرات عدة لكنها أصرت على أنها تريد النوم فتركتها تنام دون أن ألح عليها فتزعج.

- حسنا يا ابنتي، شكرا لك، يمكنك العودة واللعب. وهو ما فعلته ساديت مباشرة.

بقي شايريدي جالسا في مكانه للحظات، ثم قام واتجه إلى الغرفة التي تنام فيها إيستارا وطرق الباب ثلاث طرقات، لكن الباب لم يفتح ثم نادى بصوت مؤدب: إيستارا يا ابنتي، هل أنت بخير؟ لكن لم يتغير شيء، فلا إيستارا خرجت ولا الباب فُتح.

قرر شايريدي فتح الباب، وبدأ بدفعه ببطء لكن الباب لم يتحرك وكأنه مغلق بإحكام، وهنا ظن شايريدي أن إيستارا هربت خاصة أنه لم يرَ البير الأبيض في الأرجاء والذي كان قد ذهب يصطاد.

دفع الباب بقوة بإحدى كتفيه وفتح الباب الذي لم يكن مغلقا بتاتا إنما كان يحتكُّ

بأحد الأفرشة وهو ما منع فتحه بسهولة، ليجد إيستارا نائمة في مكانها، وهذا من روعه.  
اقترب من إيستارا وحاول إيقاظها لكنها لم تستيقظ، فعاد بخطواته إلى الورا ببطء  
وأغلق الباب من جديد تاركا إيستارا نائمة.

كانت ساديت تلعب مع الأطفال وهي تنظر هنا وهناك، في انتظار أن يأتي الشاب  
لتخبره أن إيستارا فازت وبذلك ينقذ ميراي، فجأة سمعت أمها تنادي عليها، فشعرت  
ببعض القلق وقالت في نفسها: الآن تنادينني يا أمي، في هذا الوقت الجدّ الحرج.  
قالت: سأذهب بسرعة حتى لا يأتي ذلك الشاب في غيابي وبعدها تفشل خطتنا،  
لكنها فكرت قليلا وقالت لكايسو: اذهب إلى أمي وأخبرها أنني أرسلتك بدلا عني، وهو  
الأمر الذي فعله كايسو دون تردد فقد كان فتى مرحا يكاد لا يتعب أبدا.  
ما إن وصل إلى روميتا حتى قال: لقد أتيت عوضا عن ساديت يا خالة، أنا تحت  
أمرك.

نظرت إليه روميتا بابتسامة وقالت: شكرا لك يا كايسو، عد إلى ساديت وقل لها أن  
تأتي هي لا أحد غيرها، هيا أسرع.  
أخبر كايسو ساديت بما قالته له أمها فذهبت إليها وما إن وصلت حتى قالت كأنها  
مستعجلة: ماذا هناك يا أمي؟

قالت ساديت ذلك لأنها كانت خائفة من أن يأتي الشاب أثناء غيابها، بذلك يأخذ  
الكيس صبي آخر وتفشل الخطة التي رسمتها إيستارا لإنقاذ ميراي.

قالت روميتا: ماذا دهاك يا ابنتي؟ أنا حتى لم أقل لك كلمة واحدة بعد.

قالت ساديت بصوت مؤدب لكنه مستعجل: إذن، ماذا يا أمي؟ تكلمي.

- اليوم لا تستطيع خالتك سويريتا أن تحضر الصوف لذلك الشاب، لذلك قمت أنا  
بتحضيره بدلا عنها، إذن تفضلي هذا الكيس وإذا جاء ذلك الشاب فسلميه إياه، ثم

عودي للعب، هذا كل شيء!

احتارت ساديت في التوافق بين رغبتها وحلاوة الأقدار وقالت: منذ اليوم لن أترك أي شيء فعله خير حتى ولو كنت مستعجلة، وأخذت الكيس مباشرة!

بينما كان الصبية يلعبون حتى جاء الشاب لأخذ الصوف، وكعادته رفع يده محييا بها الجميع دون التلفظ ولو بكلمة.

ردّ الكبار التحية عليه بأن رفعوا أيديهم، وما هي إلا لحظات حتى لمح ساديت حاملة الكيس وهي تتقدم به بخطوات ثابتة وكانت تقول في سرها: سأنقذ ميراي، كل ما يلزم هو نجاح الخطة وسيرها كما نرجو أنا وإيستارا... فجأة تمت: أقصد أنه هو من سينقذ ميراي!

لحظات وأصبحت ساديت أمام الشاب مباشرة، وهي تنظر في عينيه السوداوتين.

قالت: تفضل يا سيدي.

جثى الشاب على إحدى ركبتيه ووضع القطع الفضية. حمل الكيس واستدار مباشرة.

سار خطوة ولم يتلفظ بكلمة، ولم يسأل أبدا عن إيستارا، فجأة استدار ونظر إلى عيون ساديت، ثم نظر نحو الصبية وشايريدي والأعيان.

في تلك اللحظة التي استدار فيها داعب ساديت شعور بالفرحة، لأنها ظنت أنه سيسألها عن إيستارا، خاصة أن لغة عيونها كانت تتوسل للمساعدة، لكن بعدها انكسر شعاع الأمل لديها في إنقاذ ميراي، فالشاب تابع سيره دون التلفظ بكلمة ودون السؤال واستدارته كانت عبارة عن تحية ذهابه.

واصل الأطفال اللعب، أما ساديت فذهبت مسرعة إلى إيستارا، والدموع تذرف من عينيها. ما إن دفعت الباب حتى وجدت إيستارا واقفة عند الباب تنتظر في عودتها بخبر مفرح.

ما إن رأت إيستارا الدموع على وجنتي ساديت حتى قالت: ماذا جرى يا ساديت؟  
أخبريني، ما الذي يبكيك هكذا؟

ارتمت ساديت في أحضان إيستارا وقالت: فشلت خطتنا وحدث ما لم نكن نتوقعه،  
وأظن أنه لا سبيل لنا الآن لكي ننقذ ميراي.

أخذت إيستارا تمسح على ساديت وهي تقول: اهدئي وأخبريني، ماذا جرى؟  
أجابت ساديت: لقد أتى ذلك الشاب وأخذ الكيس ثم ذهب مباشرة بعد تحية  
الذهاب. لم يتبق لنا أي شيء لنفعله، كان هناك بصيص أمل وقد اندثر كلياً، لم يتبق أي  
شيء، والخطئة التي ظننا أنها موضوعة بإحكام باءت بالفشل.

صدمت إيستارا، ولم تدرِ ماذا تفعل، أتبكي على ميراي التي تواجه مصيراً مجهولاً، أم  
تواسي ساديت التي تبكي أمامها؟

لحظات واستجمعت قوتها ومسحت عيون ساديت قائلة: فعلنا ما بوسعنا فعله، دعينا  
نتمنى حدوث معجزة تنقذ أختنا ميراي.

اختفت الدموع من عيون ساديت لكن بقيت آثارها على وجنتيها. قالت: كان  
الأطفال كلهم حاضرون، والمرحلة الثانية من الخطئة التي طلبت أن أنفذها لم أستطع  
تنفيذها، رغم أنني قدمت له كيس الصوف، لأنه وضع القطع الفضية على الأرض وقام  
مباشرة دون أن يتفقد الصوف.

هنا لم تتمالك إيستارا أعصابها وأمسكت بتلابيب ثوب ساديت وقالت بحدة: غبية،  
غبية ولا تنفعين لشيء، ظننت أن المرحلة الثانية تُبقي على أمل ضئيل، لكنك دمرت كل  
شيء، أنا من أخطأت عندما ظننت أنك قادرة على تنفيذ الخطئة، ظننت أن ساديت  
ستقول له أن الفتاة الغريبة قد فازت، لكن ساديت كانت تنتظر أن يقول لها ذلك  
الشاب: أين الفتاة الغريبة يا صغيرة؟ هل فازت في الألعاب حتى أنقذها؟... أخبريني يا



ساديت؟... هل فازت الفتاة الغريبة لأني أريد إنقاذها؟... أيّة حمقاء اعتمدت عليها؟  
تابعت تلوم ساديت وتقول: غبية وحمقاء... ابتعدي عني، ثم قامت بدفعها دفعة  
أسقطتها على الأرضية المفروشة بالحصير.  
غرقت ساديت في دموعها وبقيت تقول: آسفة... آسفة...  
لحظات وانحنت إيستارا ماسحة عيون ساديت. قالت: انكتمي، وأني مسحت  
دموعك فهذه ليست طيبة، فقط لا أريد سماع صوت بكائك فيأتي جدك وإخوته.

## الفصل الرابع والعشرون: ذكاء أم عزاء؟

" لا شيء يمكننا أن ننضحى به إلى الأبد. كل شيء يعود فيما بعد في صورة مغايرة،  
وحيثما تحدث مثل هذه التضحية الكبيرة، حين يعود إلينا الشيء الذي ضحينا  
به، يجب أن يلاقيه جسد صحيح قادر على المقاومة لكي يتلقى صدمة الثورة  
الكبيرة. لذلك إن أزمة روحية بهذه الأبعاد إنما تعني الموت في كثير من الأحيان إذا  
حدثت في جسم أضناه المرض. عندئذ يكون السكين في يد الضحية، والموت  
مطلوبا من المضحي. "

كارل غوستاف يونغ

عاد الهدوء لساديت، وقالت إيستارا: يجب أن أفكر في شيء يمكن فعله الآن رغم أنني  
لا أجد غير أن أستسلم لهذا الواقع المرّ.  
فجأة أتى شايريدي وقال: ماذا هناك، لقد سمعت صراخكما فأتيت، هل من  
مشكلة؟

قالت إيستارا بعد أن ذهب الغضب الذي كان يترجاها في كل لحظة أن تطرده: كنت  
نائمة وأتت إلي وصرخت في أذني؟ كيف لا أنزعج من هذا التصرف، كاد نبض قلبي  
يتوقف، والآن لا تريد أن تعتذر مني.  
طلب شايريدي من ساديت أن تعتذر لإيستارا وهو الأمر الذي فعلته ساديت دون  
أن تبدي أي استياء.

قال شايريدي: حسنا، والآن اذهبا للعب يا ابنتي؟  
خرجت الاثنتان من الغرفة وقالت ساديت لإيستارا: لماذا كذبت على جدي الآن، ألم  
تقولي أنك لن تكذبي مجددا؟  
قالت إيستارا بنبرة صوت حادة: ما بك، أأنت حمقاء، ماذا كنت سأقول له؟ هل

أقول له أن الخطة التي رسمتها لإنقاذ ميراي من براثنكم قد فشلت بسبب ساديت؟! اتجهت ساديت إلى البئر ومألت دلوا لتغسل وجهها، أما إيستارا فقالت: لا تبحتني عني رجاء، لأني أريد الجلوس لوحدي.

وفجأة لاحظ كايسو أن إيستارا ليست معهم، فسأل ساديت، لأنها خرجت معها من الغرفة قبل حوالي عشرين دقيقة فقط، فأجابت ساديت بأنها لا تعلم أين ذهبت، ولم تلاحظ حتى ذهابها، وسمع شايريدي كلامهم فأخذ يبحث عن إيستارا في الأرجاء، لحظات فقط قبل أن يجدها مع النسوة اللاتي كن يعددن الطعام لميراي، وقال: ما الذي أتى بك يا إيستارا إلى هنا؟ وتابع كلامه: خاصة أنك استيقظت قبل قليل على ما أظن، أو لنقل أن ساديت أيقظتك.

- كنت بصدد غسل وجهي، قبل أن تداعب أنفي هذه الرائحة الطيبة والزكية، اتبعها حتى وجدت نفسي هنا، بت أريد تذوق لقمة واحدة، فهلا سمحت لي؟  
- لا يا ابنتي، فحتى نحن لا نستطيع تذوقه لأنه مخصص فقط لمن يفوز في الألعاب، وميراي كانت الفائزة. قالت إيستارا: لقد أخطأت فالطعام الشهي في هذه السنة مخصص للخاسرة، ولم يخصص للفائزة، وبما أنك قلت قبل لحظات أن الطعام هذا مخصص للفائز فيمكن لي أن أتذوقه على الأقل، لأني كنت أنا الفائزة في الحقيقة لولا فلسفتك.

ابتسم شايريدي ابتسامة عريضة وقال: على كل شخص يتكلم معك أن ينتقي كلماته بحذر، حسنا، احلمي صحننا من الصحنون التي هناك، واتجهي عند روميتا لتملأه لك لكن قبلها اشربي القليل من العصير فهو جيد لك لأن معدتك لا تزال خاوية.

- سمعا وطاعة يا أبتاه، وشكرا جزيلا لك لأنك وافقت على طلبي.

- لا تشكريني بتاتا، وافقت لأنك كنت شديدة الفطنة وهذا كل ما في الأمر.

اتجهت إيستارا لتحمل صحننا من الصحنون، وكان هناك صنفان من الصحنون

موضوعة جنب بعضها البعض.

ما إن كادت تحمل صحننا حتى قال شايريدي: لا تأخذي من ذلك الصنف يا إيستارا، لأنه مخصص للخاسرة حسب مفهومك!

نظرت إيستارا إليه وقالت: أممم... لكن كلنا لدينا هفوات.

بقي شايريدي ينظر إلى إيستارا وهو مبتسم ولحظة فقط حتى رآها تسقط وانزلق الصحن الذي كانت تحمله من يديها فأسرع نحوها وأعانها على القيام، وأخذ يمسح على يديها الصغيرتين ويقول: سيري برفق يا إيستارا مرة أخرى، فردت عليه: تذكرني يا أبتاه بخالتي، فعندما كنت أسقط كانت تمسح على يديّ، وتقول لي سيري برفق يا إيستارا، لا تستعجلي حتى لا تسقطي مرة أخرى.

قال شايريدي: إذن تعلمي أن تسمعي كلام الكبار!

شربت إيستارا كأسا من العصير وأكلت قليلا من الطعام المخصص لميراي، وعادت نحو الأطفال الذين كانوا يلعبون ويمرحون لكي تلعب معهم، ورأت ساديت جالسة لوحدها تحت إحدى الأشجار فأسرعت نحوها.

جثت عند ركبتي ساديت وأخذت تضمها إليها وتقبل جبينها وهي تقول: أنا آسفة يا أختي، أنا آسفة يا طائري الحبيب، أرسلني لونغفيرو إليك شخصيا لأعتذر عمّا بدر مني... أنا آسفة... آسفة...

رفعت ساديت بصرها وقالت بصوت فيه الكثير من الحزن: ألم يخبرك بأية فكرة قد تنقذ ميراي؟!... أقصد هل لديك أية فكرة أخرى لكي ننقذ أختنا ميراي؟ أنا خائفة جدا عليها.

قالت إيستارا: سأطلعك على شيء لكن يجب أن يبقى سرا بيننا وإياك أن تبوح به لأي أحد، فوافقت ساديت دون تردد.

- لقد تذوقت قليلا من الطعام الذي تتناوله ميراي هذه الأيام، ولا يمكن أن تتخيلي كيف كان طعمه، كان لذيذا جدا لدرجة أنك تنسين أنك تعرفين المذاق الحلو وتشعرين أن هناك شيئا يفوق الحلاوة، ثم رفعت رأسها قليلا وقالت أمم، كم كان طعمه رائعا وأريد تذوقه ثانية؟.

هنا قالت ساديت: لكن كيف حدث هذا يا إيستارا، فهم لا يتركون أي صبي يتناول من طعام الفائز، ولم يحدث هذا أبدا.

أجابت إيستارا: لكنك تعلمين أنني ذكية، وهذا ما قد حصل.

قالت ساديت: لكن هذا لا يفيدنا في أي شيء وطبعا لن يفيدنا أبدا في إنقاذ ميراي، فأرجوك دعينا من هذا، وفكري بطريقة لننقذها، أرجوك يا إيستارا، أرجوك.

- ما أغباك، ألم تفهمي بعد أن ميراي تعيش في نعيم ورخاء لا يمكن لنا أن نتخيله، لا شك أن السعادة تغمر قلبها. أتمنى لو كنت مكانها، لكن ماذا أفعل، يجب أن أصبر، يا حسرتي لأني فزت هذه السنة!

- ماذا دهاك؟ أنسيت أنه بعد انقضاء الأيام الثلاث سيحل مكروه بالفائز، أم أن الطعام أنساك هذا، وأكثر، هل نسيت أن أمي بكت، وقالت أنها تتمنى لو أمكنها إيقاف الألعاب، أنسيت كل هذا؟ إلا إذا كنت تفضلين العيش الهنيء لثلاثة أيام وبعدها لا يهتمك ماذا سيحصل لك حتى وإن كان سيئا، وتذكري ما قالته أمي لي عندما ضربتني وجعلتني أقطع وعدا بأن لا أقول لك أية كلمة، وما قالته لك عندما أرادت منك أن تنسحي.

- قلتها وسأعيدها، غبية لأبعد حد، لا وجود أبدا للمكروه، إنما الفائز سيحصل على النعيم فقط في الثلاثة أيام، وبعدها كذلك في الجزيرة، وأمتنا روميتا قالت لك ذلك لأنها أساءت الظن، فقد ظننت أن جدك يرسل الأطفال إلى جزيرة فقيرة، ومن ثم

يُستعبدون فيها.

تابعت: استنتجت أن الطفل الفائز يرسل إلى عائلة في تلك الجزيرة، عائلة ليس لديها أطفال، ومن ثمّ يدلّلونه ويغمرونه بالعطف والحنان.

أمّا روميتا حتى ولو لم تسئ الظنّ، إلا أنّها لن تتحمل ابتعادنا عنها، فمن الصعب جداً امتلاك هذه القدرة الرهيبة، قدرة التخلي عن سعادتنا لأجل سعادة الآخرين، لكن جدك شايريدي لديه هذه القدرة، فهو يضحى بسعادته وسعادة إخوته وأبنائه وبناته من أجل سعادة أقاربكم الذين لا يزالون يقطنون بالجزيرة.

والدتنا روميتا معها حق، لأنّ لا أحد يفرط في فلذة كبده، لكنها - هي والحالة سوiritنا والحالة ماوريسي طبيتهنّ طيبة طاهرة، نقية وذات صفاء عذب، غير مذمومة أبداً وهي طيبة عادلة، أما الجدّ شايريدي فطيبته طيبة مطلقة، ومن الصعب الوصول إلى تلك المرتبة الرفيعة، أين يضحى المرء بسعادته من أجل سعادة غيره.

احتارت ساديت حيرة كبيرة، فجأة قالت: انتظري، لكن الشاب طلب أن تحذري من الألعاب؟

- لو أراد تحذيري حقاً، لحاول أن يأخذني من هنا، فالأصح هي الأفعال، وليست الأقوال إلا إذا كانت نياتنا صادقة، وأظن أنّه يسيء الظن بأهلك لأنهم منعزلون عن القرى الأخرى ولا يخاطبون الناس، لذلك فأمر طبيعي أن تتولد لديه شكوك مريبة حولهم وحول عاداتهم، أضيفي إلى ذلك أن الشكوك يلهبها الشيطان فيصبح المرء يعتقد في إخوانه ما ليس فيهم.

قالت ساديت: خربت أفكارك كلها، أنسيّت أن جدي لم يرسل أبي وزوج خالتي للبحث عن قرينك، وقلنا أنّه كان يريدك أن تفوزي، فكيف هذا؟

- ها قد قلتها، من كنا نظنّ أنّه أكبر شرير، هو في الحقيقة أفضلهم وصاحب أكبر

قلب، جدك شايريدي ذو طيبة مطلقة لا تشوبها شائبة، وكان يريدني أن أفوز لينسيني الفاجعة التي أَلَمَّتْ بقلبي بعدما عرف أنني فقدتُ أُمِّي، ولذلك لم يرسل أباك وزوج خالتك وكذب علي لأجل أمر خير.

قالت ساديت: مهلا، لكنه لم يوافق على مشاركتك في الألعاب إلا بعد أن أُصِرَّتْ عليه؟

أجابت إِيستارا: غبية، هو لم يوافق على إشراكي مباشرة خوفا من غيرة بعض الأطفال وتغيّر معاملتهم لي، لكن لما رأى جميع الأطفال متحمسين لأن أشارك، وبكلّ ودّ، وافق مباشرة.

إن طيبة الجدّ شايريدي المفرطة والمطلقة التي تؤثر أن يلحقنا الأذى على أن يلحق غيرنا، جعلتنا نسيء الظنّ به للأسف.

بعد كل هذا، اقتنعت ساديت بكلام إِيستارا تماما وقالت: ما أشدّ ذكاءك، أتمنى لو كنت ذكية مثلك، كيف لم تنتبهي لهذا من قبل حتى بقينا نفكر ونظن أن ميراي سيحدث لها مكروه، وهي لا شك أنها ستذهب إلى الجزيرة الخلابة، جزيرة الضياء.

قالت إِيستارا: ما أطيب قلبي وليس ما أشدّ ذكائي. لذلك انزعني ثوب الحزن عنك وهيا بنا نلعب، فقد تحدثنا في الموضوع كثيرا، واعلمي أن الأذكاء أنفسهم يعانون لكي يفهموا الأمور أو يبسطوها.

تابعت: قريبا إن شاء الله سنلتقي بميراي في جزيرة الإخاء.

## الفصل الخامس والعشرون: الكشف عن لغز الضيعة

" عندما يتراكم عليك كل شيء وتصل إلى نقطة لا تتحملها، فاحذر أن تستسلم، ففي هذه

اللحظة يتمّ تغيير قدرك. "

مولانا جلال الدين الرومي

وحل اليوم الثالث أخيراً، واستيقظ الجميع كالعادة، أمضت النسوة اليوم في أعمالهن الخاصة أما أمّ ميراي سويريتا فكانت شاحبة الوجه وتملأ الكآبة تعابيرها ورحلت عنها ابتسامتها البشوشة، ولم تكن قادرة على اصطناع بسمّة واحدة.

كانت روميتا والنسوة الأخريات يبادلنها أطراف الحديث وكأخن يردن أن ينسينها ألماً حل ضيفاً على قلبها دون دعوة قبيل أقل من يومين، و ذلك الألم لم يكن سببه سوى فوز ابتها ميراي هذه السنة، ومّر اليوم بكامله والأحزان تلف صدرها وتعصره عصراً و أطبق فك الألم على قلبها تماماً ما إن حل الليل، وهرعت إلى غرفتها دون أن تسيع لها لقمة واحدة وأغلقت الباب وأمسكت الوسادة وأخذت تفرغ دموعها فوق الوسادة التي استقبلت الدموع النازلة بصدر رحب، وتلك الدموع كانت حمماً تحرق خديها، وفي كل لحظة كانت تكبح صوتها حتى لا تُسمع من الخارج، ولم يبقَ غير الأنين يتأرجح بين زوايا الغرفة التي كانت تنهر ظلمتها شمعة صغيرة أسالت الشمع على الأرضية، وكأنها تقول لسویريتا: حتى أنا أبكي لأملك وأريد أن أحكي دموعك بشمعي، واتجهت النسوة كلهن بعد العشاء إلى غرفهن بأمر من الأعيان، في حين ذهب جميع الأطفال للنوم.

كانت البوابة الرئيسية موصدة وبدأ شايريدي وإخوته بغلاق أبواب ونوافذ الغرف من الخارج لألاً يخرج أي صبي وإن كان هذا الأمر غير وارد باستثناء تجراً إیستارا على فعله.

نام الأطفال كلهم لكن إیستارا كانت لا تزال مستيقظة وجوانحها الرقيقة ترتجف من



شدة الخوف على ميراي التي لا تعلم ماذا سيحدث لها.  
كانت ميراي قد تناولت عشاءها الفاخر، وبعد أن تأكد شايريدي من أنها أنهت طلب من ريوساي أن يأخذ كأسا من العصير لميراي وأن لا يبرح غرفتها حتى يتأكد من أن ميراي شربت الكأس كله، فالكأس كان بها مخدر يجعل المرء ينام لحوالي ساعتين.  
كانت إيستارا في الغرفة مع ساديت التي نامت مباشرة، أما هي فكانت تفكر: هل سيأتي الشاب وينقذ ميراي، فهو الأمل الوحيد المتبقي.

قالت: لا يمكن أن أصبر حتى يأتي ذلك الشاب، هذا إن أتى أصلا. فقامت واتجهت نحو الباب وحاولت فتحه لكنها تفاجأت عندما لم يُفتح وأدركت أنهم قاموا بغلق الباب من الخارج كي لا يستطيع أي أحد الخروج، ولم تبق لها سوى النافذة، لكن النافذة كانت هي الأخرى مغلقة من الخارج.

عادت إلى فراشها محبطة، وهي تأمل أن يأتي ذلك الشاب لينقذ ميراي، لكن شعاع الأمل تبدد عندما تذكرت أنّ الغرفة التي يقيم فيها الفائز في الأيام الثلاثة تبقى محروسة من كل الجوانب وكذلك فوق السقف، وبدأت تنسج بأفكارها طريقة يتمكن بها الشاب من إنقاذ ميراي، وما تبادر لذهنها هو أن يقتلهم الشاب بما أنه يملك جسما قويا، لكنها قالت: وإن يكن، صحيح أنه يملك جسدا قويا، لكن ماذا بوسعه أن يفعل لو كانوا يحملون سيوفا، فهم في الأخير يفوقونه عددا؟

ثم عادت وقالت: لا بد وأن يكون له أصدقاء، ويمكن أن يطلب مساعدتهم وبذلك يسهل كثيرا إنقاذ ميراي، فجأة وضعت رأسها على الوسادة وبدأت تقول: سامحيني يا ميراي، فعلت كل ما يمكنني فعله لإنقاذك لكنني لم أستطع، وذلك الشاب لو أنه أراد مساعدتنا لكان فعل في اليومين السابقين، لا، بل كان يساعد الفائز في الأعوام السابقة.  
فجأة ومضت في عقلها حقيقة صادمة عن أهل الضيعة، حقيقة مرة وقاسية لم تنتبه

لها أبداً قبل هذه اللحظة، حقيقة كانت جلية لها، لكنها لم تستفسر، وظنّت أنّ الأمر يتلخص في أن صلاتهم وعبادتهم تقع خارج مجال ملاحظتها.

أهل الضيعة يعيشون حياة عبثية، وتلك الحقيقة أدخلتها في متاهة... ضاعت في تلك المتاهة... لكنّها بقيت متيقّنة بأنّ المرء يتيه لما يفقد الإيمان، أما إن كانت نفسه مطمئنة بالإيمان، فالله هو من يرسم له الطرق.

قالت: بسم الله، سبحان الله، الحمد لله، باركك الله، يرحمك الله، لن يخذلنا الله... أيعقل أنّ ساديت وميراي لم تكونا تفهمان أصلاً ماذا أعني بهذه الكلمات. وتابعت تقول لنفسها: والعقاب الذي أنزلوه بأنفسهم... أيّ صيام ذاك...

تلك الحقيقة جعلت مرآة آمالها تنكسر، مزّقت قلبها إلى أشلاء، سحقت عظامها، أغرقت روحها في أمواج ألم عنيف جداً. قالت: أصبح كل شيء واضحاً... جزيرة الضياء، البناء، الألعاب، الفائز، الأخشاب... ميراي ستقدم كقربان... تضحية بشرية...

استقامت واقفة وراحت تردّد: رحماك يا الله... رحماك يا الله... لا... لا... لا... لا يمكن، يستحيل... أنا لا أستوعب هذا. كان الألم يخرق روحها، ويفجّر قلبها، ولما نظرت إلى ساديت، وجدتها نائمة بكلّ سرور، تعابيرها تقول لا حزن في هذا العالم!!

فجأة قالت لنفسها: مهلاً... كيف كانتا تصليان معي إذن؟ هل يعقل أنهما كانتا تتوضّئان لوضوئي، تقومان لقيامي، تركعان لركوعي وتسجدان لسجودي... وإذا كان هذا صحيحاً، فهل يعقل أنهما كانتا تقومان بكلّ ما أقوم به دون أن تسألاني عما أفعله؟

كانت ساديت غارقة في النوم حين سألتها إيستارا قائلة: ساديت... ما تلك الأفعال النابضة بالسكينة التي كنا نقوم بها ثلاثتنا صباحاً، في منتصف النهار... وليلاً...

كان هناك جزء صغير من عقل ساديت لا يزال واعياً، وأجابت دون أن تفتح عينيها: لا أدري... كنا نفعل ما تفعليهن وحسب، فأنت لم تقومي بأي شيء يضرّنا، كنت

تخاطرين بنفسك لأجلنا، ولأجل كل طفل في الضيعة، طيبتك ونقاء روحك البريئة أنبئنا  
أن الشر لا يعرف طريقا إلى قلبك، ولذلك لم نفكر في سؤالك، لو سرت بنا في الظلام  
لسرنا خلفك!... نامي يا أختي... نامي...

سبحانك يا الله... إنها البراءة... البراءة الأصلية، التي تبقي الفتى طفلا صغيرا، وتبقي  
الفتاة طفلة صغيرة... تبقينا أطفالا بريئين، هذه البراءة تجعلنا نسير وحسب، لا تعترض  
البتة، لكن لا يمكن خداعها أبدا لأن الله تعالى يحرسها.

انسكبت دموع إيستارا كسيل جارف، فقد كانت العاطفة الأخوية المحمومة التي تشعر  
بها تجاه ميراي وساديت أقوى من كل رابطة عرفت في حياتها، والآن ها هي ساديت  
تؤكد لها، في نفس الوقت، هي ترى أختها الثانية ستسلب منها بكل قسوة، رأت أن  
هناك من يحاول أن يسلب عنها ميراي التي أصبحت جزءا لا يتجزأ منها.

نامت ساديت في حجر إيستارا، وظلت هذه الأخيرة تمسح على رأسها برفق وحنان،  
لحظات وسمعت ساديت تقول: في عرسك يا ميراي سأنتشر براعم الورد فوقك... ستباركك  
إيستارا، وتلون يديك بالحناء، لكن احذري، لأنها ستلون وجهك كذلك...

أشرقت ابتسامة خافتة في محيا إيستارا، وتردد صوت في ضميرها النقي، راح يقول لها  
أن المسألة ليست في أنها ستخسر ميراي، بل ستخسر نفسها.

كانت الأزمنة المتجسدة في تلك اللحظات ترسم لها الوجه البشوش لميراي، كانت  
تراها بكل وضوح، ترى صورتها، تقاسيم وجهها، خفة دمها، كان طيفها يسايرها، ولم  
تحتمل فكرة أنها لن ترى ميراي مرة أخرى.

كان غياب ميراي يدق عقلها كمطرقة ضخمة ليهشمه، بالرغم من أن الحضور  
الروحي لميراي كان باقيا بقرعها، يتلمس النور في حضرتها. تلك الحقيقة كانت جلية لها  
أكثر من أي وقت مضى، كان وجدان ميراي محفورا بوجدانها، كانت صورة ميراي أمامها،

لكن الواقع يحاول محوها.

كانت جذوة الأمل تتداعى، وبدأت تخفت، لحظات الجذل بدأت تتلاشى، صوت أخبرها أنها فقدت والدها، أمها، والآن هي على وشك فقدان أختها، وما بيدها حيلة. تشوّقها الروحي لميراي أصبح محرقاً أكثر من الاحتراق المادي، وشايريدي وإخوته يصبون زيت الغوى الشيطاني والضلال فوق وردة الشوق المورقة والمتزينة بألوان الفرح و الحبور لتصبح رمادا يتناثر في غياهب الضلال واللامبالاة الإنسانية.

لم تتقبل فكرة أنها لن ترى ميراي مجدداً، ولن تتلمس ريش تلك الحمامة الوديعه، لم تتقبل فكرة عيشها بعيداً عن عش ذلك الطائر الجميل...

من خلال تلك الرؤى الروحية كانت تحيا مع طيف ميراي بانشرائح وبكل سكينه، لكن قلبها كان يتمزق من خلال اضطراب أجنحة ميراي داخل ذلك البناء، من خلال تجرأ شايريدي على محاولة تمزيق تلك الرابطة العميقة التي تربطها بميراي.

كانت ترى ميراي كنعجة وديعه، وها هو شايريدي قد اختار قربانه بعناية، لم يرض بتقديم القمر قرباناً، لكنه رضي بنعجة وديعه. كأنه يريد أن يتحدى قوة الحب، ونسيمة الوديع الذي إذا هيّجته الأيدي الآثمة صار عاصفة مدمرة.

قالت: يالني من غبية لا تنفع لأيّ شيء. أمي أنقذت ببرا، أمهاتي في هذه الضيعة أنقذن قمراً... وأنا لم أستطع إنقاذ نعجة.

كان لدى إيستارا إيمان عميق بأن تلك العاطفة الصادقة الغضة والريقة تجاه من نحبهم ونكنّ لهم أنقى وأرقى مراتب الأخوة الطاهرة، والتي تحوي كل أنواع السلام والحبور وحبّ الخير لجميع البشر، يمكنها أن تتحول لتصبح فوضى تدمر حياة الآثمين.

برفق وضعت رأس ساديت على الوسادة، ثم قامت مجدداً واتجهت نحو الباب لتحاول فتحه، لكن دون جدوى، حاولت من النافذة، دون جدوى، حتى أنها راحت تبحث عن

ثغرة في الجدار. قالت: فقط بضعة لبنات... للأسف، لم تجد ثغرة واحدة.

بقي قلبها الصغير يخفق بشدة، لحظات وقالت: يمكنكم تقييدي بالسلاسل، يمكنكم إغلاق الأبواب والنوافذ، يمكنكم إقامة الحدود، تضيقها، غلقها، يمكنكم أن تسجنوا جسدي في هذه الحجرة، لكن لا يمكنكم أبدا سجن الروح السابحة فيه وتقييدها، لا يمكنكم منعها من عبور جميع الحدود واختراق كل الآفاق، هذه الروح يمكنها التحليق إلى ما وراء الحدود... لن تفهموا أبدا عالم الروح بما أنكم غارقون في طين الجسد.

سالت وتدفقت عذوبة طبيعتها عبر أنهار حبها لتبلل جوانب روحها، أخذت نار الألم، غدت تباشير الأمل، انتعشت آمالها وتفتحت من خلال الحقيقة الأزلية الراسخة، الثابتة والخالدة التي لا جدال فيها: هناك خالق عظيم لا يحدث شيء في الكون إلا بإذنه، سطر الكون بدقة وعناية، الكون منسجم ومتناغم، والحب موجود... هناك عاطفة روحية تسيّر بنا إلى من نحبهم من خلال إلهام روحي مكتوب في أرواحنا وأرواح من نحبهم بنفس اللغة، ونفس الكتابة، وما على الروح سوى ترجمة أنوارهم الساكنة داخلنا.

أشرقت أنوار الإيمان في روحها لتغدق قلبها... غمرتها فيوض الروحانية لتغرقها في بحر من النعم، بركات النعم السماوية... من يتألم لا يحتاج أبدا إلى أن تخفّ شدة الألم... يحتاج فقط إلى الصلاة... الجسد لا يسكن أبدا إذا لم تسكن الروح، وسكون الروح لا يكون إلا في الصلاة... ما أجمل الصمت، ومناجاة الله، هي أعذب روحانية يشعر بها الإنسان، المرء لا يسمو فوق هذا العالم المادي إلا إذا تعلق روحه وكل جوارحه بالله الواحد الأحد الفرد الصمد.

في لحظات الوحدة تلك، خالجهها شعور عميق... انشرح صدرها... قامت ويمّمت وجهها إلى القبلة، شرعت في الصلاة... الله أكبر...

في ثنايا تلك المناجاة الإلهية وعذوبة ذلك الهدوء الروحي، وصفوة الراحة العذبة من

أتعاب هذه الحياة وهمومها... صلت... صلت متخلصة من كل شيء دنيوي، صلت ملقية عن كاهلها كل ثقل...

ما أجمل الصمت العميق، ما أطيب عزلة الصلاة المحيية للروح، ما أعذب المناجاة الإلهية، ما أعذبها وما أحلاها... إلهي أنا أسلم كل شيء... ما أجمل هذا الاستسلام والانكسار والخضوع لعظمة وجلال الخالق سبحانه... ما أجمل هذا التلاشي المادي وما أجمل هذا الانفتاح الروحي، هذا الانغماس في ثنايا الحبور الروحاني يجعل الروح درة متألقة في سماوات حبا وتعلقنا بالمحبوب الأزلي... ألم يقل شمس تبريز أن هذه الروح سماوية... مهما امتلكت، ستبقى حزينة دائما، هذا العالم ليس بيتها...

تقطعت كل السبل بإيستاراء ضاق الكون بأسره عليها، تلاشت من هذا العالم، لتنتفح روحها في سمّو روعي وتغرق بدعواتها في بحار الخشوع، رفعت كفيها إلى السماء، فاضت دموعها، بقيت تبكي بشدة وهي تدعو: إلهي، ليس لنا سواك... اللهم اهدهم، اهدهم واحفظ ميراي من كل سوء... أبعد عنها كل شجرة حسودة، أتوسلك ربّي... بحق المجتبي ﷺ، احفظها يا رب... آمين... آمين...

بعد أن تأكد شايريدي من أن الغرف أُغْلِقَت كلها حمل مشعلا واتجه إلى الناحية المحرمة على الأطفال، وسار الآخرون خلفه حتى والد ميراي، كايفيري، وكل واحد منهم يحمل مشعلا في يده. لم تمض سوى دقائق معدودة حتى وصلوا إلى هناك وقاموا بتثبيت المشاعل بالقرب من الشيء المغطى بالقماش الأسود الذي لم يفهم الأطفال ما هو، وحتى إيستاراء، رغم أنها حاولت أن تعرف، وتراجعت بسبب الوعد الذي قطعت له شايريدي.

أنارت النار الملتهبة في رأس كل مشعل ذلك المكان وطردت الظلام الذي كان يستولي على تلك الناحية وبدأ شايريدي والآخرون بمحاولة نزع القماش الذي كان يغطي ذلك الشيء بعد أن أحاطوا به من كل ناحية. لحظات فقط وبدأ التراب ينزاح فوق سطح

الأرض، فالقماش كان يغطي ذلك الشيء لتُدفن حوافه في الأرض.

كان جليلا أن القماش كان تحت الأرض وعميق نسبيا، فلو رأيتهم وهم يحاولون نزعه لعلمت أنهم احتاجوا قوة كبيرة لإخراجه. كانوا يشهقون ويزفرون، فقد كان إخراج القماش من تحت الأرض شاقا، أما شايريدي الذي رغم كبر سنه إلا أنه أخذ نفسا عميقا واحدا وأخرجه. بعد ذلك اصطف الجميع على مستوى واحد وقاموا بإحكام قبضاتهم على القماش وأخذوا يعودون بخطواتهم إلى الوراء، ولم يكن من السهل بتاتا نزع القماش رغم قوتهم، خاصة أن ما كان تحت القماش كان يفوق ارتفاعه العشرين مترا. كانوا يتراجعون إلى الوراء بشق الأنفس والقماش ينتزع من فوق ذلك الشيء شيئا فشيئا وينسحب فوقه ببطء، وأخيرا صار ذلك الشيء جليلا للعيون، كان عبارة عن بناء حجري ضخيم تقادم عهده، ذو جدران حجرية يبدو أن القدم لم يؤثر عليها، وبقيت محتفظة بشدة صلابتها.

حمل شايريدي مشعلا وبدأ يسير حول البناء، وأخوه ريوساي خلفه. التفت شايريدي إلى إحدى اللبئات الحجرية وقال: بناء قديم كهذا يحتوي على آلاف اللبئات، ولبنة واحدة تحتوي على الأحجية... وسمعه ريوساي فقال: تحتوي على ماذا يا أخي؟

قال شايريدي: يقولون أن العبقرية التي ليس لها تفسير، لونغفرو كيمراي، قد... فجأة غير الموضوع وقال: الكثير من الأمور يجب أن تبقى جاهلا إياها، لنتابع عملنا.

أما الناظر لهذا البناء لأول مرة فيغرق في التساؤلات حول ماهية هذا البناء الذي يتوارى خلف الأشجار الكثيفة والفارعة الطول التي تحيط بهذه الضيعة الصغيرة.

هل هو بقايا أطلال ولّى عليها الزمن وغشاها غباره اللاذع الصامت وظلاله الشاحبة، ومع هذا ما يزال محتفظا بهيئته التي تتجلى في هيئته التي يظهر عليها، أو هو صرح حاول الزمن طمسه فأبى إلا الوقوف في وجهه. تتجلى رهبته أكثر وأكثر كل لحظة فيبدو كأنه صرح وما هو بصرح، يبدو كأنه حصن وما هو بحصن، فكل تصور وتخيل عن ماهيته

بالتحديد لا يبلغه، فبقدر ما يُعجز التفكير، يصدم الوجدان ويجعله جاثيا بعينين جاحظتين من هول الصدمة عند إدراك حقيقته التي تصلب الأطراف وتقطع بصيص الأمل في الحياة، بل ورؤية جمالها ومفاتها عند لمس حقيقة ذلك البناء عن قرب. كان يقارب ارتفاعه العشرين مترا أو أكثر وطوله حوالي خمسة عشر مترا، وشُيّد بطريقة توحى أنه يؤدي إلى النهاية المحتومة لكل إنسان، ألا وهي الموت.

كان هذا البناء مشيدا على أرضية مربعة شيدت جدرانها من الصخر الصلب القاسي وتراصت اللبنة فيما بينها بملاط من الطين والصلصال لتكون متماسكة جدا، ومن الجانب الأمامي له كانت هناك بوابة خشبية ضخمة. وبمجرد فتحها تظهر أدراج لولبية تؤدي إلى الأعلى من الجانبين، في نهايتها كانت هناك ساحة ذات شكل بيضاوي، يعتلي هذه الساحة في الجهة العلوية مقاعد للجلوس مصنوعة من جلود الحيوانات وأوبارها، مزينة بشكل يبعث الخوف، وكان هناك طريق يميل إلى الضيق يبدأ بمجرد نهاية تلك الأدراج الضيقة ليمتد بقبضته على تلك الساحة ويمتد متخذا شكلا حلزونيا، عند بدايته باب لدى شايريدي مفتاحها وعلى طرفي هذا الطريق الحلزوني يرتفع جدار بعلو مترين، وينتهي عند فتحة دائرية الشكل، إذا رميت ببصرك من خلالها ستعرف أنها لا توحى إلا بمغيب حياة الشخص الذي يسقط من خلالها، وكان هناك سلم حديدي يربط بين حافة الفتحة الدائرية والقاع.

وبالعودة إلى الجدران الداخلية، فكان كل واحد يبعد ثلاثة أمتار عن الجدار الخارجي المقابل له، والبعد بين الجدار الداخلي والجدار الداخلي المقابل له هو سبعة أمتار، ليكون المجموع خمسة عشر مترا مع سمك اللبنة الذي كان حوالي نصف متر. أما نهاية هذا البناء من الخارج فقد كان متخذا شكل قبة.

هذا وفي اليوم الذي رأت فيه إيستارا الرجال ينقلون حزم الأخشاب، وعندما قال



ريوساي لشايريدي أظن أننا نقلنا ما يكفي لندخره، كانوا استراحوا لفترة قصيرة ثم تابعوا نقل الحزم إلى الناحية المحرمة على الأطفال. بدأ الرجال بإدخال حزم الأخشاب إلى البناء، كل واحد يحمل حزمتين بيديه ويعطيها فيما بعد لشايريدي الذي كان يلقي بالحزم من خلال الفتحة الدائرية الشكل.

أمر شايريدي كلاً من كايفيري زوج سويريتا، وآريناي زوج روميتا، وجينيوسي زوج ماوريوسي بالمغادرة، ففعلوا كما أمرهم ونزلوا الأدراج اللولبية بمشعل كان يحمله آريناي وكان هذا الأخير وجينيوسي يحاولان مواسة كايفيري الذي كان يرى أنه مغلوب على أمره وأن ما بيده أية حيلة. كانت الدموع تنهمر من عينيه، وكان الاثنان يحاولان مواساته بكل طريقة، وإن لم تكن هناك أية طريقة للمواسة إذا كانت فلذة الكبد ستواجه خطراً محدقاً. أدخلت الأخشاب كلها وأتى ريوساي بميراى، وكانت نائمة بعد شربها ذلك المشروب الذي كان يحتوي مخدراً يجعل الإنسان نائماً تحت تأثيره. بعد ذلك رمى شايريدي المشعل الذي كان في يده من تلك الفتحة، لتتقد النيران في القاع شيئاً فشيئاً.

عصب شايريدي عيني ميراى وربط يديها وبدأ يقول: سامحينا يا ابنتي، لكن في هذه الحياة هناك من يجب أن يضحي. لحظات ورشّ ميراى بقطرات ماء باردة، وهذا من خلال جرة صغيرة كان قد أتى بها، وما إن استفاقت ميراى حتى وجدت نفسها ملقاة على أرضية حجرية، كانت بداية الطريق الحزوني، فاستقامت واقفة وبدأت تحاول فك أيديها لكن محاولاتها باءت بالفشل.

أغلق شايريدي باب الطريق الحزوني، ثم دخلت العجائز، لايفيتا، جودفيتا ورياكشا وهنّ يحملن مشاعلا في أيديهن، ومعهنّ دوكيجواي، والكلّ مُرتدّ عباءة سوداء، وكان دوكيجواي يحمل عبائتين حتى يرتديهما كل من شايريدي وريوساي. اتجهوا وجلسوا على المقاعد الموضوعة في الجهة العلوية، في انتظار أن يلحق بهم شايريدي وريوساي.

وضعت المشاعل في أماكن مخصصة لها في الجدار الخلفي للبناء، ثم عصب الأعيان عيونهم. كان الظلام حالكا، لكن الوهج البرتقالي كان ينير بعض الجوانب من البناء دون أن يصل إلى الطريق الحلزونية التي تؤدي إلى سقوط الماشي فيها إلى الهاوية.

كانت ميراي عند بداية الطريق الحلزونية أين تركها جدها، وبما أن شايريدي أغلق باب الطريق الحلزوني الذي يوجد على طرفيه جدار ارتفاعه حوالي مترين فلم يكن باستطاعتها الخروج، وبدأت ميراي بالتقدم صوب الفتحة الدائرية.

لم تكن ميراي تعلم بتاتا أين هي، فقد كانت عيونها معصوبة، أما يداها فكانتا مربوطتان. حاولت تحريرهما لكنها لم تستطع فقد كان الخيط الذي رُبِطت به يداها متينا جدا وبذلك كان من المستحيل أن تنزع العصاة عن عينيها لترى أين هي.

فجأة بدأت تصرخ بصوت باكٍ: أمي... أبي... أين أنتما... نادى على أمها سويريتا التي كانت تحترق في سيل دموعها، نادى على والدها الذي كان قلبه يحترق على ابنته، لكن دون جدوى... للأسف، لم تلتق ميراي أي جواب.

بدأت ميراي تحسّ بالتعرق وكلما خطت خطوة في الطريق الحلزونية كانت تقترب من نهايتها، والنار المتأججة كانت تسبب حرارة كبيرة تجعل كل شخص يحسّ بالتعرق الشديد. واصلت ميراي التقدم وهي لا تعلم إلى أين تتجه البتّة.

انتهت ميراي إلى أنها تتقدم وفق طريق حلزونية، فقررت أن تسير في الاتجاه المعاكس، لكنها ما إن وضعت أول خطوة في الاتجاه المعاكس حتى رفعتها بعدما أحسّت أنها قد أحرقت قدمها، صرخت بأعلى صوتها: أمي، أبي... أمي... أبي.. وكان صراخها المصاحب بنبرة بكاء شديد يتردد صدها في أنحاء البناء الضخم، لكن هذا لم يحرك ساكنا للأعيان الجالسين في حين كانت حرارة الأرضية لا تزال تنخفض بتقدم ميراي، وترتفع إذا ما تراجعت للخلف ولم تفهم السبب، لذلك لم تكن بيدها أية حيلة سوى أن تتقدم حتى

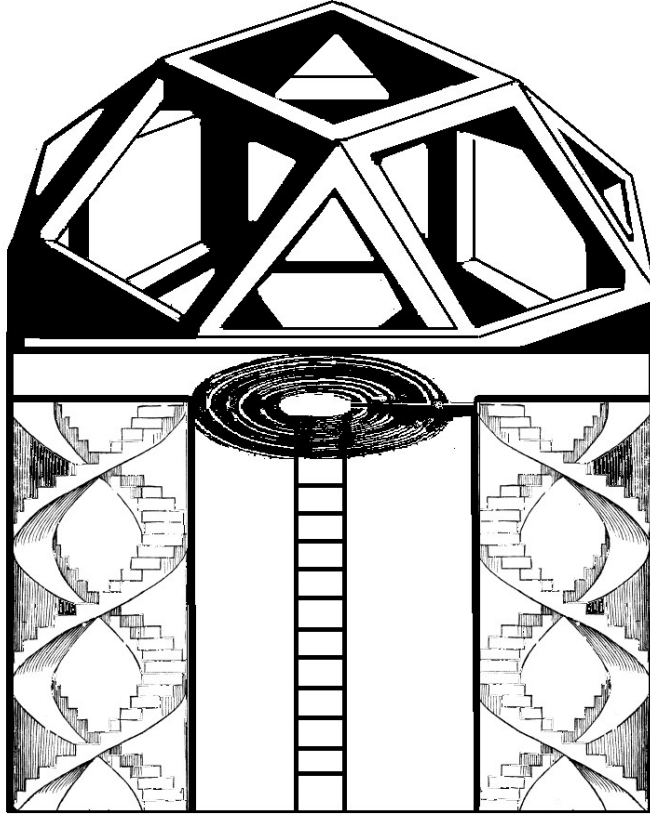
أصبحت إحدى رجليها في الهواء والأخرى على الأرضية.  
رفعت رجلها التي كانت على الأرضية، لحظات وسمع صراخ يكاد يصمّ الأذان تردد  
صداه في أرجاء البناء.  
قال شايريدي: سامحينا يا ابنتي، كان هذا مصير الفائز في الألعاب، فهناك أناس يجب  
أن يضحوا في هذه الحياة... ثم تتم: الأمر الجميل هو أن هذا الأمر انتهى. تابع: لنغادر  
هذه المحرقة، فهناك عمل آخر ينتظرنا في الغد... هيا اخرجوا...

تمّ بحمد الله تعالى وعونه الجزء الأول من سلسلة عهد النساك وفسيفساء الآثام، ويتبعه

الجزء الثاني والثالث إن شاء الله:

مثنوي الناسك المولوي - «شهادات واعترافات عبقرّي آثم»

شطرنج الحرف الكوني - «تأملات في اضطرابات عقل بديع»



التصميم الداخلي للبناء الموجود في الضيعة - « المحرقة »

## خاتمة

الأطفال الظرفاء، لماذا لا يرون فراشة براءتهم؟ أجل، لأنهم أطفال! فراشة البراءة التي تتراقص داخلهم لها قدرة عجيبة جدا على مداعبة أحاسيسنا. تلك الفراشة، كانت تقبع في أعماقنا، لكن بانتهاء مرحلة الطفولة، سيكون من الصعب جدا رؤيتها داخلنا، لذلك نراها من خلال الصغار. مهلا، ماذا يحدث لفراشة براءتنا نحن إذن؟ لا تتلاشى، لكنها تنام! للأسف، ليس لنا مناداتها باسمها! لا نستطيع ملامسة أجنحتها حتى نوقظها، ماذا سنفعل؟. الأمر بسيط جدا، علينا جعل الروح روح طفل ظريف، طاهرة ونقية. عندها تستيقظ فراشة براءتنا!. نغدو كشرنقة رقيقة تمزقها أنفه الأشياء، فكلّ انكسار سيكون مدمرا، وكل ألم، يعذبنا بقسوة، لكن البركة التي يمنحنا إياها الله ستكون أعظم. تكمن البركة في أن فراشة براءتنا ستتراقص فوق صفحات الروح من جديد، دون أيّ خوف، تحلق دون حزن، أرضها السكينة، وسمائها طمأنينة نادرة. حينها ستنسب عبر الأفكار، تكشف لنا الكثير من الأسرار. في هذه القصة استيقظت فراشة البراءة داخل إيستارا جايكوي فكانت وراء تشكيل بداية جديدة أكثر إشراقا لقصة لونغيرو كيمراي.



# عهد النساء وفسيفساءات الأثام

الأطفال الظرفاء، لماذا لا يرون فراشة براءتهم؟ أجل، لأنهم أطفال! فراشة البراءة التي تتراقص داخلهم لها قدرة عجيبة جدا على مداعبة أحاسيسنا. تلك الفراشة، كانت تقبع في أعماقنا، لكن بانتهاك مرحلة الطفولة، سيكون من الصعب جدا رؤيتها داخلنا، لذلك نراها من خلال الصفار. مهلا، ماذا يحدث لفراشة براءتنا نحن إذن؟ لا تتلذضي، لكنها تنام! للأسف، ليس لنا مناداتها باسمها! لا نستطيع ملامسة أجنحتها حتى نوقظها، ماذا سنفعل؟ الأمر بسيط جدا، علينا جعل الروح روح طفل طريف، طاهرة و نقية. عندها تستطيع فراشة براءتنا! نغدو كشرنقة رقيقة تمزقها أتفه الأشياء، فكل انكسار سيكون مدمرا، و كل ألم، يعذبنا بقسوة، لكن البركة التي يمنحنا إياها الله ستكون أعظم. تكمن البركة في أن فراشة براءتنا ستتراقص فوق صفحات الروح من جديد، دون أي خوف، تحلق دون حزن أرضها السكينة، و سمائها طمأنينة نادرة. حينها ستنسب عبر الأفكار، تكشف لنا الكثير من الأسرار. في هذه القصة استيقظت فراشة البراءة داخل إيستارا جايكوي فكانت وراء تشكيل بداية جديدة أكثر إشراقا لقصة لونفيرو كيمزاي.



978-977-86272-9-9



مسار

للنشر و التوزيع

Don't  
Miss  
the  
New  
Book  
by  
Lorena  
Alcaraz